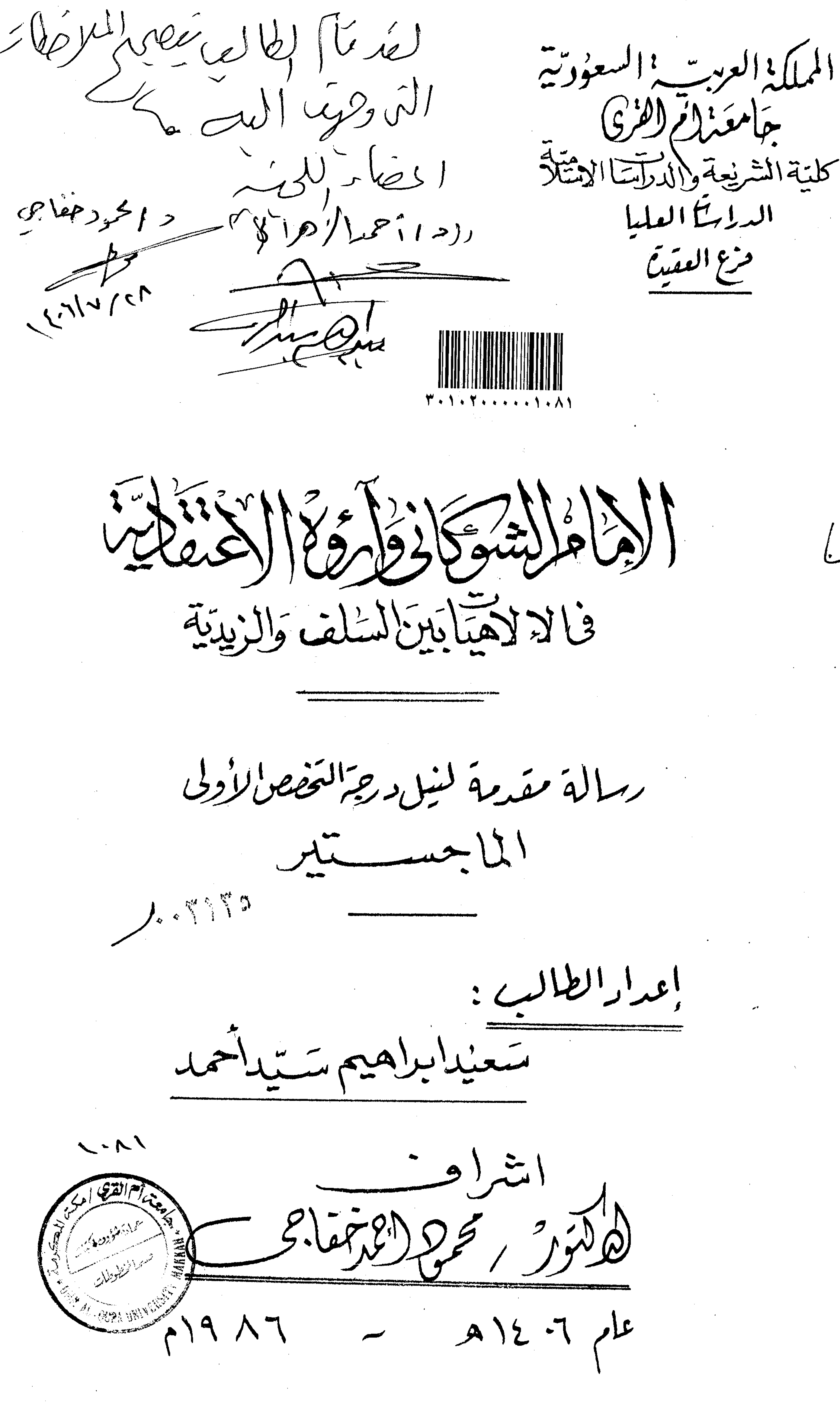


المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الدراسات العليا

فرع العقيدة

لقد قام الطالب بتصحيح الملاحظات التي وجهت إليه أعضاء اللجنة

د/ محمود خفاجي

٢٨/٧/١٤٠٦

الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية

في الإلهيات بين السلف والزيدية

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى

الماجستير

إعداد الطالب:

سعيد ابراهيم سيد أحمد

إشراف

الدكتور / محمود أحمد خفاجي

عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين ، ولا حول ولا قوة الا بالله ،الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه الله تعالى بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلك طريقته الى يوم الدين .

أما بعد :

ان الله تعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الأرض أحوج الى رسالته من غيث السماء ، ومن نور الشمس الذى يذهب عنهم جنادس الظلماء ، فكانت ضرورتهم الى رسالته أعظم الضرورات ، وحاجتهم اليها مقدمة على جميع الحاجات ، فانه لا حياة للقلوب ، ولا سرور ولا نعيم ولا أمان الا بأن تعرف ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بادراك ذلك على التفصيل ،فاقتضت حكمة العزيز العليم ، بأن بعث الرسل به معرفين واليه داعين ، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه وعلى هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة جميعها .

وقد شهد الله سبحانه بالعلم لمن يرى أن ماجاء به الرسول من عند الله هو الحق ،لا آراء الرجال فقال تعالى : " ويرى الذين أتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ".(١)

فمن المحال أن يكون صلى الله عليه وسلم قد أحال أمته فى فهم ما أخبر به

---

(١) سورة سبأ آية : ٦ .

عن اللـه تعالى ، وأسمائه وصفاته وأفعاله على مستكرهات التأويلات وما تحكم به عقولهم ، وهو القائل : " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنهـا الا هالك " (١)

وقال أبو ذر : " لقد توفى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وماطائر يقلب جناحيه فى السماء الا ذكر لنا فيه علما " (٢) ، فكيف يتوهم من للـه ورسوله فى قلبه وقار أن يعتقد أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قد أمسك عن بيان هذا الامر العظيم ولم يتكلم فيه بالصواب ؟

ثم من المحال أن يكون خير أمة وأفضلها وأسبقها الى الخير قصروا فى هـذا الباب ، وانما ابتلى من خرج عن منهجهم الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف ـ بظنهم أن طريقة السلف هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقـه ولا فهم لمراد اللـه ورسوله منها ، وأن طريقة المتأخرين هى استخراج معانى النصوص وصرفها عن حقائقها بغرائب اللغات ، ومستكرهات التأويلات .

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقابلة التى مضمونها اهمال ونبذ الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم ، فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقـل والجهل بالسمع .

وقد أسهم ذلك بنصيب وافر فى توسيع دائرة الخلاف بين الفرق الاسلامية ، وسارت به الى أبعد نتائجه خطورة ، ولم يكن وراء ذلك دافع سوى الانتصار للمذهب ، والتعصب للرأى ودفع الخصم عن الاحتجاج بالآية ، بدعوى أنها مصروفة عن ظاهرها ومؤولة .

ولم يكن هذا المنهج الكلامى قاصرا على الفلاسفة ، بل كان هناك فرق الشيعـة

---

(١) الحديث جاء فى موضوعين من سنن ابن ماجه الاول : ١/١٤ (المقدمة باب اتباع سنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، عن أبى الدرداء رضى اللـه عنـه ، والموضع الثانى : ١/١٦ عن العرباض بن سارية رضى اللـه عنه ، وجاء الحديث فى الترهيب والترغيب ١/٥٢ عن العرباض ، وقال المنذرى : " رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة باسناد حسن " .

(٢) ابن القيم الجوزية مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٧ .

على تعددها وكثرتها ، مثل الرافضة ، والقرامطة وغيرهم ، والمعتزلة الذين أصّلوا لذلك أصولا ووضعوا لذلك قواعد تابعهم فيها فرق الزيدية ، بعد الامام زيد ، وآل البيت الأول رضى الله عنهم ـ فقد كانوا بعيدين كل البعد عن ساحة التشيع التى يعمها الجهل والهوى والعصبية ـ ولقد صوّب هؤلاء وأولئك الفرق الزائغة سهامهم الى كتاب الله بدعوى التأويل فأبطلوا الشرائع وصرفوا القرآن عن ظاهره •

وأنا واحد من طلاب العلم شغلتنى هذه القضايا مدة طويلة ، وشغلنى ذلك الخلاف الناشب بين الفرق الاسلامية على كثرتها وما ترتب على ذلك الخلاف من أحكام بلغت حد الرمى بالالحاد والزندقة حينا ، والكفر والخروج عن الملة حينا آخر مما جعلنى استخير الله سبحانه وتعالى فى اختيار بحثى عن موقف " الشوكانى وآراؤه الاعتقادية فى الالهيات بين السلفية والزيدية ، لأنه أبرز مفكر بعد الذين جاءوا قبله ، وخصوصا أنه من القطر اليمنى •

عالج هذه القضايا بفكر واضح ، ومنهج مفصل ، بعيدا عن اللبس والغموض ، وأيضا لانه خرج من البيئة الزيدية فى اليمن معتصما بالكتاب والسنة ، حرا ، وما أصابه عمى التقليد ، ولا التعصب للمذهبية ، داعيا فى كل مؤلفاته للاخذ بما كان عليه السلف الصالح ، والقرون الاولى ، مخاصما فى الله كل من نبذ هذا المنهج القويم والصراط المستقيم ، ولو كان من أعز الناس وأقربهم اليه •

وقصدت كذلك بهذه الدراسة العقدية لشخصية مرموقة وداعية من دعاة الحق يمثل المدرسة السلفية فى مواجهة الرافضة والزيدية والمبتدعة والمقلدة ، لأساهم فى الكشف عن مبطلاتهم وأقيم دعائم الحق فى افساد مسالكهم وأضع بذلك لبنة أخرى فى صرح البحوث والمكتبات الاسلامية الشامخ بتقديم هذا البحث المتواضع لينتفع به الاجيال المتعاقبة •

ولم أشأ أن أجعل أقوال " الشوكانى " هى القول الفصل بينه وبين خصومه ، وانما توخيت فى ذلك موضوعية البحث ، وأمانة الناقد ، فما من قضية أو فكرة أثيرت للنقاش فى هذا البحث بين " الشوكانى " وبين خصومه الا ورجعت فيها الى مصادرها

فى كتب أصحابها مستوثقا مما ينقله " الشوكانى " عن هؤلاء ، والحق أقول لقد وجدت الشوكانى أمينا فيما ينقل ويأخذ ، منصفا فيما ينقد ويمحص ، وهذا يدل على دقة الرجل وأمانته لهذا كله كانت شخصية " الشوكانى " احدى شخصيات المجتمع الاسلامى الجديرة بالدراسة والعناية ، لزيادة التوضيح والتعريف بمنهجه ومسالكه السلفية ، حتى يحتذى بأقواله ويقتدى بفعاله ، وخصوصا فى الاقطار والجهات التى زادت فيها غربة الدين وعمت فيها طريقة المقلدين .

حيال هذا كله رأيت أن أقوم بهذه الدراسة " الشوكانى وآراؤه الاعتقاديـــة " ، راجيا أن أكمل بها ماسبقنى به الكتاب من دراسات مستقلة عن جوانب أدبية أوتفسيرية أو فقهية لهذا الامام مع تصحيح بعض ما وقع فيه من سبقنى من أخطاء وهفوات لا يسوغ أن تبقى دون تصحيح وتوضيح وتقويم .

ولعل ما قدمته يدل على اننى لا أقصد بكتابتى هذه عن " الشوكانى " والزيدية تنسيق وتجميع لمادة علمية كتبت عنه ، وانما قصدت بهذه الدراسة المقارنة لعلـــى أصل الى الصورة الصحيحة لآراء الشوكانى عن أصول الدين من بين ما يقوله الزيدية والمعتزلة وأقارنه بأقوال السلفية وأئمتها بعد عرضها على الكتاب والسنة الصحيحـة .

وهذه الغاية ولا شك تلقى على الباحث الاعباء الثقيلة ، لأنها تقتضى منه تحقيق الحوادث والمواقف ، وتحقيق صحة الاقوال المنسوبة الى كل جهة تكلم عنها الشوكانى ، وكذلك الاقوال المنسوبة اليه ، وتحليل المواقف وتدقيقها للوصول الى المدلول الصحيح .

ولم تكن هذه المهمة سهلة المنال ، لذا بذلت فيها قصارى جهدى وفكـرى ، ومنتهى وسعى ، وقد ضاعفت من صعوبة دراستى للشوكانى بين السلفية والزيدية علـى هذا النحو ، قلة المراجع التى تحوى الفكر الزيدى ، وذلك لان معظمها مطمور لم يحقق منه الا النزر القليل ، فكلفنى ذلك السفر للحصول على المخطوطات أو تصويرهـــا أو زيارة من قاموا بتحقيق كتب ورسائل فى تراث الزيدية ، واستحضرت صورا لمخطوطاتها من بعض المكتبات فى الدول العربية والاجنبية .

لهذه الأسباب وغيرها كانت صعوبة البحث لآراء الشوكانى مقترنة بآراء الزيديـة

ومناقشة السلفية لها .

وقد كان منهجى فى البحث والتحليل والنقد على أساس الالتزام بالرجوع الى المصادر الأصلية والفرعية فى الموضوع وتحقيق القول تحقيقا علميا ، وتمحيص الآراء المنسوبة الى كل قائل ، مع اجراء الدراسة المقارنة لجميع الأقوال والآراء لبيان الصحيح منها واختياره ، وتوضيح الزائف منها ورده على أساس من الأدلة والبراهين القرآنية والسنة النبوية ، والدلائل العقلية والعلمية الصحيحة ، وقد التزمت الحياد التام فى مناقشة الآراء والأحكام وعرضها بأمانة ، وناقشت أصحابها من غير تحيز أو تجن على أحد ، ولو كان يختلف معى رأيا أو مذهبا .

وكانت خطتى فى هذه الرسالة أن قسمتها الى مقدمة وبابين وخاتمة .

أما المقدمة : فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، ودوافع الكتابة فيه ، وأهدافها ، وأشرت فيها الى بعض الصعوبات التى واجهتنى ، وتكلمت فيها عن منهج البحث وخطة الرسالة .

أما الباب الأول : فقد خصصته لدراسة حياة " الشوكانى " وعصره وقسمت هذا الباب الى أربعة فصول :

الفصل الاول : الحالة السياسية فى عصر الشوكانى . تحدثت فى هذا الفصل : عن العلاقات السياسية التى ترتبط بها حكومة الائمة الزيدية ، والتى كان الشوكانى رئيس قضاتها ، ووزير امامها ، والمستشار الاول لمهامها ، وأنه كثيرا ماكان يمارس الرد على خطابات الملوك والعلماء نيابة عن الامام ، فتكون سببا لرد عاديات الزمن عن اليمن ، واحلال الوفاق بدلا من الافتراق ، وبينت مقالة الشوكانى عن دعوة آل سعود : من اقامة الدين الحنيف فى جميع البلاد التى فتحوها ، وأن من دخل فى حوزتهم أقام الصلاة والزكاة ، والصيام وسائر شعائر الاسلام بعد أن كانوا لا يعرفون من الاسلام شيئا ، كما وضحت اعجاب الشوكانى بدعوة التوحيد التى قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب وقادة

الدعوة من آل سعود ، مما يدل على ان دعوتهم لقيت قبولا لدى كبار العلماء والمحققين ، فلم يجدوا خروجا فى الاصول العقدية ، ولا فى الفروع الفقهية ، غير أنها جددت التوحيد بعد الشرك ، وأعادت الهدى بعد الضلال •

الفصل الثانى : الحالة الدينية فى عصر الشوكانى :

تحدثت فى هذا الفصل عن الفرق والطوائف التى كانت فى هذا العصر ، ومدى الصراع بينها وبين أهل السنة من جانب ، وبينها وبين بعضها من جانب آخر ، تمثلت فى فرق الشيعة ، والزيدية بعد الامام زيد ، وزيدية اليمن المعتزلة ، والرافضة ، والباطنية ، والاشاعرة ، والصوفية •

ثم بينت أثر الحياة السياسية والدينية من الناحية الايجابية والسلبية ، وكيف كان الشوكانى يعالج بحكمة وحنكة ، وبما أوتى من جاه ومركز رفيع فكان يخمد أوار الثورات ، ويئد الفتن فى مهدها •

الفصل الثالث : حياة الشوكانى :

تحدثت فى هذا الفصل : عن اسمه ، ونسبه ، ومولده ونشأته ، وحياته العلمية ، وأبرزت دوره ودعوته الى العقيدة السلفية على ما كانت عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم ، ثم دعوته الى تطهير العقيدة وتنقيتها من مظاهر الشرك والوثنية • ثم وضحت دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد ، وأشرت الى مؤلفاته فى هذا المجال ، وتوليه للقضاء الاعلى باليمن •

الفصل الرابع : أساتذته وتلاميذه :

تحدثت عن ذلك ، وأبرزت مسموعات الشوكانى ومقروءاته العديدة فى مجالات العلوم المختلفة • وذكرت طائفة من تلاميذه ، الذين أخذوا العلم ودرسوا عليه وترجم لهم الشوكانى فى البدر الطالع ، ثم ذكرت مؤلفاته وكتبه المطبوع منها والمخطوط والذى لايزال معظمه مطمورا بمكتبة صنعاء بالمسجد الكبير •

وأما الباب الثاني : وموضوعه آراؤه في الالهيات :

قسمت هذا الباب الى سبعة فصول ، خصصت كل فصل للحديث عن جانب من هذه الآراء :

الفصل الأول : في التأويل ومنهجه فيه :

تحدثت في هذا الفصل عن موقف الشوكاني في التأويل وبينت منهجه في تحليل الالفاظ لبيان المعنى في لغة العرب ، ووضحت دلائل التأويل في القرآن واستعماله لها ، وحققت القول في آية " ال عمران " التي يجري تحت ظلالها الاختلاف في الآراء ، وموقف كل من المحكم والمتشابه ، ثم بينت موقف الزيدية من التأويل ، وذكرت نبذة عن مدى اتصال الزيدية بالمعتزلة واعتناقهم لمبادئهم وأصولهم الخمسة ، والتزامهم بالعقل ومبادئه ، وموقفهم من الآيات القرآنية والنصوص الحديثية المتعلقة بذات الله وصفاته تعالى ، ثم ناقشت هؤلاء الزيدية ومنهجهم الكلامي بين يدي آراء السلفية وأقوال الشوكاني وأبطلت فساد هذا المنهج في تقديم العقل على النقل وتأويل النصوص .

الفصل الثاني : في الاستدلال على وجود الله ومنهجه فيه :

بينت في هذا الفصل : الفرق بين المنهج القرآني والمنهج الفلسفي الكلامي في الاستدلال ، ووضحت المنهج الذي اختاره الشوكاني وأغناه عن أدلة المتكلمين ومنهجهم في الاستدلال على وجود الله ، واعتماده في ذلك واهتمامه وعنايته بدلائل الفطرة السليمة والنفوس المستقيمة ، ودليل الانفس والآفاق ، ودليل المعجزات ، مصحوبا بالشواهد القرآنية والاحاديث النبوية ، ثم بينت منهج الزيدية في الاستدلال الذي لايختلف عن منهج المعتزلة والمتكلمين في الاستدلال بالجوهر والاعراض ، وناقشتهم في هذا المنهج وبينت فساده ولوازمه الباطلة بأقوال السلفية وكلام الشوكاني .

الفصل الثالث : في وحدانية اللـه :

تحدثت في هذا الفصل عن : أنواع التوحيد ودلائل اثباتها لدى الشوكاني ، وبينت خطأ المتكلمين في اثبات توحيد الربوبية ،وأثبت توحيد الالهية الذي هو مناط الايمان والذي تدور حوله آيات القرآن في تقديره وتقريره ، ووضحت توحيد الاسماء والصفات وبينت الركائز والقواعد التي بني عليها هذا التوحيد ، ووضحت سبيل السلفية والشوكاني في التعبير عن هذا الحق بالالفاظ الشرعية النبوية ، خلافا للمعطلة والنفاة الـذين جعلوا ما ابتدعوه من الالفاظ والمعاني هو المحكم الذي يجب اعتقاده ، واعتمـاده ، ثم وضحت علاقة التلازم والتضمن والشمول بين أنواع التوحيد الثلاثة ، ثم ناقشـت الزيدية فيما ذهبت اليه من التوحيد الذي جعلته في مقدمة أصولها الخمسـة ، فرفضوا أو استبعدوا كل مايمس المفهوم المطلق للذات الالهية ، فنفوا الصفات الزائدة على الذات ، فأبطلت هذا المذهب المشوب بالجهل والمباين للعلم بأقوال السلفيـة وآراء الشوكاني .

الفصل الرابـع : في الصفات الالهية العقلية ومنهج الشوكاني في اثباتها .

تحدثت في هذا الفصل عن تعريف هذه الصفات ، وبينت منهج الشوكانـي في اثباتها ، فذكرت أنه لايعول على غير الكتاب والسنة وحدهما في الاسماء والصفات ، مع توضيح أن هذا المنهج يتسم بالتنزيه والتقديس فما ثبت للـه تعالى من اسمـاء وصفات لا يماثل شيئا من خلقه كما هي القاعدة المتفق عليها عند السلفية ، وذلك لبطلان طريقة قياس الغائب على الشاهد ، وبينت ان الشوكاني حفظ حرمة النصوص ، دون تكيف أو تكلف ، وأثبت بالدلائل هذه الصفات كما تقرر بالادلة النقلية والعقلية ، فأثبت علـى هذا النحو صفات اللـه تعالى من العلم ، والقدرة والارادة ، والحياة ، والسمـع والبصر ، وصفة الكلام للـه تعالى . ثم بينت موقف الزيدية من هذه الصفـات ، وناقشتهم فيما ذهبوا اليه من انها والذات الالهية سواء بسواء ، ولانه ليس للـه مـن صفات مفارقة للذات ، فأبطلت هذا المنهج الذي يؤدي الى تعطيل صفات الكمـال

الثابتة له تعالى بكتابه وسنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم .

الفصل الخامس : في الصفات الخبرية ومنهج الشوكاني في اثباتها .

تحدثت في هذا الفصل عن : تعريف الصفات الخبرية ، وبينت مابذله الشوكاني من جهد في توضيح مذهب السلف في اثباتها والذى يتلخص في ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وبينت أن الشوكاني يرى أنها الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة ، فلوضوحه عن الطرق الكلامية والمذاهب الفلسفية ، رجع اليه بعد طول الحيرة امام المتكلمين أبي الحسن الاشعرى في " الابانة " كما رجع الجويني امام الحرمين ، والرازى ، والغزالي في " الجام العوام " وذكره الذهبي في ترجمتهم في " النبلاء " والشوكاني في " ارشاد الفحول " ، وقسمت هذه الصفات الخبرية من وجهة نظر المتوهمين في اثباتها الى ثلاثة اقسام : **أولا** : مايوهم المكان والجهة من صفات كالعلو ، والاستواء ، والنزول ، والمجيء وغيرها . **وثانيا** : مايوهم نسبة الاعضاء للـه تعالى من صفات : كالوجه ، واليدين ، والعينين ، والساق وغيرها ، **ثالثا** : مايوهم أن لله تعالى عواطف وانفعالات : كصفة المحبة للـه ورضاه ، وكراهية اللـه وغضبه ، وأثبت كل نوع منها بالادلة النقلية ، والبراهين القرآنية العقلية ، على الوجه الذى يليق بجلاله ، ويناسب كماله ، وبينت أن الشوكاني والسلفية التزموا بالمنهج الذى رسمه القرآن والسنة في الحديث عن الصفات الخبرية ، ثم بينت موقف الزيدية والطرق الكلامية من هذه الصفات فوضحت أنكارهم لها ، وتأويلهم للآيات والاحاديث الواردة في اثباتها ، وركوبهم متن اللجاج في صرفها عن ظاهرها وحملهم هذه النصوص مالا يمكن أن تحتمله لكي يتم لها مقالة النفي ، وناقشت هذا المذهب الفاسد فأبطلت أدلة النفاة ، بما انعقد عليه الاتفاق في عصر الصحابة والتابعين والائمة على التسليم المطلق بما جاء في الكتاب والسنة عن الذات الالهية وصفاتها .

الفصل السادس : فى أفعال العباد .

بينت فى هذا الفصل : تيار الجبرية الذين يقولون بالغاء الحرية الانسانية، وأنه لا اختيار للعبد فى أفعاله ولاقدرة له ، وتيار المعتزلة والزيدية الذين يقولون بالحرية الانسانية المطلقة تحقيقا لمبدأ العدل الالهى عندهم ، وبينت أن الشوكانى لايرى أن واحدا منها قد أصاب ماعليه سلف الامة وأئمتها ، ووضحت ما قرره الشوكانى فى أفعال العباد ، من ان اللـه تعالى فاعل مختار ، وأن جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار ، كيف يشاء ، وبينت مقالة الحق فيما ذهب اليه الشوكانى فى الآجال والمحو والاثبات وأنهما عامان ، يدخل تحت عمومها العمر والرزق والسعادة والشقاء وغير ذلك ، ثم وضحت تفريق الشوكانى بين الكونيات والدينيات بما لايدع حجة لاهل المعاصى فى الاحتجاج بالقدر ، وبينت ماذكره فى الارادة الانسانية ، واسناد العمل الصالح والعمل السىء له مع اثبات أن مشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة اللـه تعالى وبينت رأيه فى الهداية والاضلال ، وأنها نتائج لمقدمات ومسببات ، لاسباب ، وقارنت ما ذكره الشوكانى فى هذا الفصل بمنهج السلفية فى كل موقف سبق ، ثم بينت منهج الزيدية فى أفعال العباد الذى ينبنى على مبدأ العدل الالهى وأن اللـه لايفعل القبيح ولا يخل بالواجب ، وأن اللـه ليس فاعلا لافعال العباد . وناقشتهم فيما ذهبوا اليه وبينت ما يلزم عن هذا المنهج الفاسد من لوازم باطلة ، كمخالفتهم لما أخبرت به الرسل عن اللـه تعالى ، وكذا مخالفة صريح العقل وصحيح النقل ، ونقدت ذلك بأدلة السلفية وأقوال الشوكانى .

الفصل السابع : روءية اللـه تعالى فى الآخرة .

بينت فى هذا الفصل : كيف أثبت الشوكانى الروءية بالآيات الثابتة ، والمأثور من تفاسير الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين بما لايدع مجالا للمنكرين والجاحدين للروءية أو تأويلها بالانتظار وغير ذلك ، وأبطلت أدلة نفاة الروءية ،

وأن ما احتججت به من الآيات على استبعادها وعدم حصولها وامكانها كقوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " الآية ، وجواب موسى عليه السلام لما سأل الله تعالى الرؤية بـ (لن ترانى) الآية لايدل ذلك على استبعادها وانما يدل على جوازها وأن هذه الآيات حجة عليهم لاحجة لهم ، وبينت باختصار أن مراوغة النفاة وجدالهم أمام منهج الحق لاقيمة له ولا يأتى بفائدة ، ثم بينت موقف الزيدية وأدلتها فى انكار الرؤية ، وقابلت أدلتهم فى الانكار بمقالة أهل الحق وناقشتهم فى ذلك وبينت شبه المنكرين ورددت عليها شبهة شبهة ، عقلية كانت أو نقلية .

وأخيرا الخاتمة : وكانت فى نهاية هذه الرسالة وقد تضمنت أهم النتائج التى توصلت اليها .

وأخيرا فاننى أحمد الله حمدا يليق بجلاله ، ومزيد فضله ، وعظيم شأنه ، على ما أفاضه على من نعمة ، وما أمدنى به من عون وتوفيق فى اعداد هذا البحث، وأسأله تباركت أسماؤه، وتعالت صفاته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

ثم أتوجه بخالص شكرى وتقديرى لاستاذى الفاضل الكريم فضيلة الدكتور : **محمود أحمد خفاجى** المشرف على هذه الرسالة ، الذى بذل لى من وقته وجهده الشىء الكثير رغم مشاغله وضيق وقته ، وفتح لى قلبه وبيته ووجهنى الى الصواب ، فجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء ، وأسأله تعالى أن يبارك فى حياته ويمنحه الصحة والعافية والايمان .

كما أشكر معالى مدير **جامعة** أم القرى الدكتور **راشد الراجح** على تشجيعى وثنائه فى اختيارى موضوع الرسالة واسداء النصيحة وبذل العون والمعروف لطلاب العلم.

كما أشكر عميد كلية الشريعة الدكتور **صالح بن حميد** ـ على حسن رعايته لنا وتوجيهنا .

كما أسدى شكرى لكافة المسئولين فى الكلية وفى قسم الدراسات العليا خاصة ، وفى الجامعة عامة على ما يبذلونه لطلاب العلم من رعاية وعناية .

كما ولا أنسى أن أقدم شكرى الى كافة الاخوة والزملاء على ما أبدوا لى من نصائح طيبة أفادتنى فى طريقة البحث .

فلكل هؤلاء أهدى شكرى وعظيم امتنانى .

وأخيرا :

فاننى أقدم هذا البحث المتواضع راجيا من الله تعالى ان أكون قد وفقت الى الصواب ، ولا أدعى لنفسى العصمة عن الخطأ والنسيان — حاشا لله — ، ولكننى بذلت جهدى ، وغاية ما استطيع . فما كان فيه من صواب فهو من الله تعالى . وما كان فيه من الخطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

------*---*

البـــاب الأول

+X+X+X+X+X+X+X+X+X+

الامام الشوكانى : حياته وعصره

+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+

ويحتوى على أربعة فصول :

X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+

الفصـــل الاول : الحالة السياسية فى عصر الشوكانى .

" الثانى : الحالة الدينيـــة فى عصر الشوكانى .

" الثالث : حياة الشوكانى .

" الرابع : أساتذته وتلاميذه ومؤلفاتــــه .

+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+

X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+X+

الفصــــل الأول

الحالة السياسية في عضر الشوكانـــــى

|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|+|

* تمهيـــــــد .
* الحالة السياسية .
* علاقة اليمن بالدولة العثمانية وأشراف مكة وتهامة وآل سعود .
  - علاقة اليمن بالدولة العثمانيـــــــــــــــــــة .
  - علاقة اليمن بأشراف مكـــــــــــــــــــــة .
  - علاقة اليمن بأشراف تهامة والمخلاف السليمـــانـــى .
  - علاقة الأئمة الزيدية بآل سعـــــــــــــــود .

* * * *

الفصل الأول

الحالة السياسية فى عصر الشوكانى

تمهيد :

ان البيئات تؤثر فى نفس الانسان مالا يفعله المربون ، وكذلك كان أثر العصر الذى عاش فيه الشوكانى ،دفعه وحمله ماوقع من الفساد والشرور والبدع فى ذلك العصر على التفكير الجدى فى الاصلاح ، واستجماع عزائم الخير ، ففكر فى أسباب الشر ليقتلعها وفى نواة الخير الكامنة ليغذيها ، وكذلك كانت المجاوبة بين الشوكانى وعصره .

تغذت روح الشوكانى غذاءً صالحا مما درس فى صدر حياته وما عكف عليه فى أطوار كهولته وشيخوخته من رجوع الى ينابيع الشرع الاولى ، والكنز المختفى من الهدى النبوى ، وما كان عليه سلف المؤمنين ، فاعتلجت فى نفسه معركة شديدة ، يرى فيما يدرس من الاسلام نورا ساطعا لامعا ، ويرى فى عصره ظلمة شديدة ، وفسادا فى معظم نواحيه ، يرى فى ماضى الاسلام عزة واتحادا ووئاما ، ويرى فى عصره ذلة وانقساما .

تقدم الشوكانى يصلح ويداوى ، ووجد الدواء بأيسر كلفة فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأقوال الصحابة وكبار التابعين ، فتقدم بالدواء ونادى به ، وما كانت آراؤه العلمية الا دواءً لادواء عصره . ولو بحثنا عن البواعث التى بعثته للمجاهرة بكل قول قاله ، لوجدنا الذى بعثه على المجاهرة ، فساد فى أهل العصر ، فى العمل والفكر ، وحق علينا أن نوجز حال عصره ، فى السياسة ، والحرب ، وفى الدين والعلم والفكر ، والطوائف والفرق الاسلامية فى هذا العصر .

الحالة السياسية :

وهى مجموع الحوادث السياسية التى عاشتها الأمة الاسلامية وتعرضت لها فى أقطارها المختلفة مما كان له الاثر على انفعالات الشوكانى ، ففى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى قد انطبق على المسلمين فى هذين القرنين كما انطبق على قرون من قبل ومن بعد ، ما رواه أبو داوود والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الاكلة الى قصعتها ، فقال قائل أومن قلة نحن يومئذ ، قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قال قائل يارسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " (١) .

فالمسلمون قد انقسموا الى دويلات ، وحوزات ملوك ينظر بعضهم الى بعض نظر العدو المفترس ، ونظر الملوك الى رعاياهم نظرة المتسلطين المسيطرين ليسومونهم الخسف والهوان .

لذلك بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، وقد عاصر الشوكانى الكثير من الوقائع ، هوجم الاسلام فى عصره من دول الرومان ، من فرنسا تارة ، ومن الانجليز تارة أخرى ، وكان لذلك أثره على انفعالات الشوكانى فهو يسجل أحداث الحملة الفرنسية على مصر فى ذلك الوقت يقول : " ان الرزية العظمى والمصيبة الكبرى ، والبلية التى تبكى لها عيون الاسلام والمسلمين هى استيلاء طائفة من الفرنجة يقال لهم الفرنسيس على الديار المصرية جميعها ، ووصولهم الى القاهرة ، وحكمهم على من بتلك الديار

---

(١) الحديث أخرجه أبو داوود رقم ٤٢٩٧ فى الملاحم ، باب فى تداعى الامم على الاسلام ، ورواه أحمد ٥/٢٧٨ من طريق آخر وسنده قوى .

من المسلمين ، وهذا خطب لم يصب الاسلام بمثله " (١) .

ويتحدث الشوكانى فى البدر الطالع عن هذه الحملات الاوربية وهذا الاستعمار الفرنسى لمصر لم يسبق له مثيل فى تاريخ الاسلام : " فان مصر مازالت بأيدى المسلمين منذ فتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الآن ، ولم نجد فى شئ من الكتب التاريخية مايدل على انه قد دخل مدينة مصر دولة كفرية " (٢) .

ويبين الشوكانى أن غاية ماحصل أيام العاضد ووزيره شاور ، وفى دولة بنى أيوب من حملات على مصر وصولهم الى دمياط ونحوها على السواحل ، ولم يدخلوا مدينة القاهرة . يقول الشوكانى : الافرنج الذين وصلوا الى مصر أيام العاضد ووزيره شاور ، وكذلك الذين وصلوا اليها فى دولة بنى ايوب ، لم يدخلوا مدينة مصر بل غاية ما بلغوا اليه " دمياط " ونحوها ، ومازالت مدينة القاهرة وسائر بلادها محروسة عن الدول الكفرية ، فان التتار دوخوا جميع البلاد ولم يسلطهم الله على مصر ، بل عادوا عنها خائبين ومقهورين مهزومين ، وكذلك تيمورلنك مع تدويخه لسائر الممالك لم يسلط عليهم ، والله ينصر الاسلام وأهله . (٣)

ويؤرخ الشوكانى للحوادث السياسية ويتابع المراسلات السلطانية التى ولات ورؤساء الولايات الاسلامية ، للمحافظة على الثغور والموانى والمقدسات الاسلامية من صولة أعداء الدين . فيقول : " ولما كانت سنة ١٢١٣ هـ (٤) دخل الفرنج اقماهم (٥) الله الاسكندرية ، واستولوا عليها وعلى مصر والقاهرة ، وجميع

---

(١) دكتور صالح رمضان محمود : ذكريات الشوكانى ص ٢٣ ، ٢٤ . وانظر قاسم غالب أحمد : من اعلام اليمن ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) الشوكانى : البدر الطالع جـ ٢ ص ٨ ، ٩ .

(٣) قاسم غالب أحمد من اعلام اليمن ص ٧٥ — ٧٦ .

(٤) وانظر د . صالح رمضان محمود ذكريات الشوكانى ص ٢٣ ، ٢٤ .
الموافق سنة ١٧٩٨م .

(٥) أى أذلهم وصغرهم .

بلادها ، فكتب السلطان — يقصد السلطان العثمانى — كتبا الى الاقطار فمنها شريف مكة " غالب بن مساعد "(١) يحثه على نصرة الدين ، ولم شعث الموحدين ، يقول : (... فالآن ياشريف مكة ... البدار البدار الى طاعة الملك الغفار لمحافظة قبلتكم ومحتد نبيكم ، منشأ الاسلام ، ومسجد نبيكم عليه السلام ومواطن مضاعفة عبادتكم من ساحة بيت الله الحرام ، فالغيرة الغيرة ، والحمية الحمية من صولة أعداء الدين ... فشدوا عزائمكم ، واحفظوا جهاتكم ، وسواحلكم ، ومنافذ بلدانكم ، وسارعوا الى الرباط الى حدود الكفرة اللئام ببندر جدة وينبع وما والاهما مما فيه صيانة المسلمين ، وحفظ أعراض الموحدين ، وكونوا كلمتكم واحدة ، وأيديكم متناصرة ، ولتكن سيوفكم بارقة ، وسهامكم راشقة ، وأسنتكم فى الطعن متلاحقة ، ومدافعكم صاعقة ، ونبالكم الى أفئدتهم متسابقة ، ولتقصدوا بذلك اعلاء كلمة الله ، والذب عن بيت الله ومسجد رسول الله ... فالبدار البدار الى ما أمرناكم من الرباط والحذار الحذار من خلاف ذلك ... "(٢) .

ويحرر الشوكانى جوابا لشريف مكة يطمئن بوصول الرسائل وتمام الاستعداد على حراسة السواحل والبلدان وصد هجوم متوقع من أعداء الاسلام . فحرر هذا الجواب نيابة عن امامه " الامام المنصور بالله "(٣) يبدوا فى هذا الكتاب مدى الفادحة والالم وشدة الكرب الذى ألمّ بالمسلمين فى عصر الشوكانى ومدى تأثره بما حل بالعالم الاسلامى فى ذلك الوقت يقول : " وصل من جنابكم العظيم كتاب كريم يحكى ما صنعت أيدى الكفر بمصر صانها الله عن كل نكر ، فياله من

---

(١) توفى عام ١٢٢١ هـ — ١٨١٦م .

(٢) الشوكانى الدر الطالع جـ٢ ص ١٠ — ١٥ ، وانظر صالح رمضان محمد ذكريات الشوكانى ص ٣٧ .

(٣) هو الامام المنصور على بن المهدى (١٧٩٥ — ١٨٠٩) م

حادث يبلبل الالباب ، ويجلب من الاحزان مالم يكن فى حساب ، فلقد أبكى وأنكى ، وردع وأوجع ، وأقام وأقعد ، وشتت شمل انس وبدد ، وأهاله من خطب يصك مسامع الاسلام ... لاسيما وتلك ديار مطهرة عن أدناس الكفران ، مقدسة عن ارجاس الطغيان ، معمورة بالايمان وعبادة الملك الديان ، على مرور الازمان ، منذ فتحها سيوف حزب الله ، ومحت أدران كفرها صوارم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلقد أظلم الخطب وأدلهم الكرب ، وضاقت الصدور وغلت من الاحزان قدور ، ورغب الى النفير الصغير والكبير ، وتشوق الى جهاد أعداء الله كل خليل وخطير وكيف لا ؟ وهذه نازلة قد نزلت بالاسلام والمسلمين ، وفادحة عمّت المؤمنين أجمعين ، لانها فى الدين ومن بعدت عن ديارها فقد أحزنت قلبه وقالبه نارها ". (١)

علاقة اليمن بالدولة العثمانية ، وأشراف مكة و تهامة وآل سعود :

عرفنا مما سبق ماكانت تتعرض له البلاد الاسلامية من هجوم وغزو استعمارى ، وتأثر الشوكانى بذلك .

أما بالنسبة للقطر اليمنى وما كان يجرى فيه من مصادمات وفتن بين الدولة ورؤساء العشائر من جهة وبين أصحاب المذاهب والفرق المتخالفة الاتجاه من جهة أخرى ، حتى ان شمس القرن الثالث عشر الهجرى لم تغب عن العالم الاسلامى الا وقد جردت أوربا حملات صليبية مكثفة لاحتلال جنوب الجزيرة العربية الذى هو جزء من اليمن السعيد ، وأشاعت الفرقة وأسباب الخلاف بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد . (٢)

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ٢ ص١٨ ــ ٢٢ .

(٢) د . محمد حسن الغمارى : الامام الشوكانى مفسرا ص٣١ .

علاقة اليمن بالدولة العثمانية :

بعد انتهاء دولة الجراكسة من اليمن عام ٩١٥ هـ أرسل السلطان سليمان ابن سليم العثمان حملة كبيرة من السفن وقفت في جزيرة قمران بالقرب من الحديدة واستطاعت هذه الحملة وما بعدها من حملات القضاء على جميع السلطنات باليمن ثم استمرت الحرب بين الدولة العثمانية والائمة الزيدية في جزر ومد حتى انتهت من اليمن كليا في عهد الامام يحى بن محمد حميد الدين سنة ١٣٣٥ هـ .

وكانت الدولة العثمانية (١) تبسط نفوذها في بعض الاحيان على معظم الديار اليمنية ، وتارة يتقلص نفوذها الى أجزاء يسيرة ، والحرب قائمة لم تنته ، وقد أفنت هذه الحروب معظم الجيوش التركية التى وصلت الى اليمن حتى عرفت اليمن بمقبرة الغـــزاه .

ومن مساوىء الاتراك العثمانيين في اليمن في آخر عهدهم ، تسليم عدن الى الاستعمار البريطاني الذى بث بذور التفرقة بين أبناء الشعب ومهد لتقسيم اليمن الى شطرين وهو مايسمى اليوم باليمن الجنوبية واليمن الشمالية (٢) .

---

(١) الدولة العثمانية نسبة الى السلطان عثمان ، وأصله من التركمان أحد طوائف الترك من أولاد اليافث بن نوح عليه السلام ، وكان جد عثمان بن أرطغول سليمان شاه ايران على ماهان من بلاد التركمان المجاورة لبلخ ، فخرج هاربا من التتار في خمسين ألف ، ولما وصل الروم تولى أولا نيابة عن الامراء السلوجوقيين ، ثم لازال يوسع دائرة ملكه فيما بعد حتى بسط نفوذه على الشام ومصر والعراق واليمن ، وسقطت القسطنطينية في يد أجناده محمد الفاتح واستولى على شبه جزيرة القرم وشبه جزيرة البلقان وغير ذلك .
(مختصر من غاية الامانى جـ ١ ص ٤٨) .

(٢) د . محمد الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٣١ ــ ٣٢ .

وفى أيام الشوكانى أعادت الدولة العثمانية تهامة جميعها الى امام اليمن " الامام المهدى عبد اللـه بن المتوكل " (١) وقد كان خليل باشا قائد قوات محمد على فى اليمن ، فبعد أن استقرت الامور فى يده بعث رسولا من قبله الى الامام المهدى ومعه رسالة من محمد على تشير الى أن قواته جاءت الى اليمن لانتزاع البلاد من ورثة الشريف حمود واعادتها الى امام اليمن ، وبذلك أعادت قوات محمد على تبعية الامام للسيادة العثمانية ، وذلك بتعهد الامام لقائد قوات محمد على فى اليمن بأن يدفع للباب العالى سنويا جزءا من الخراج اعترافا من الامام بعودتهم الى حظيرة الدولة العثمانية • (٢)

علاقة اليمن بأشراف مكة :

عاصر الشوكانى الشريف مساعد وولده سرور ابن مساعد وعبد المعين ابن مساعد ، وغالب بن مساعد (٣) وتولى نيابة عن امامه فى اليمن الجواب عن ما دار بين الشريف غالب والامام من مكاتبات طويلة كما ذكر ذلك فى البدر الطالع •

ومن الرسائل المتبادلة بين شريف مكة غالب بن مساعد وبين الامام المنصور بالله على ، والتى كاتب فيها شريف مكة يحذر الامام المنصور من السماح

---

(١) الامام عبد اللـه المتوفى ١٢٣١ ـ ١٢٦٣ هـ •

(٢) د • طلح رضان محمد ذكريات الشوكانى ص ١٧٥ •

(٣) هو غالب بن مساعد شريف مكة ، ولى الامارة بعد أبيه مساعد • أخوه سرور ابن مساعد) الذى طار صيته فى الآفاق ، ثم مات فى شهر رجب سنة ١٢٠٢ هـ وقام مقامه أخوه عبد المعين ثم رغب عن الامر بعد أيام يسيرة من ولايته لاخيه السيد غالب بن مساعد المذكور وكان وقتئذ فى سن الشباب •
(أنظر البدر الطالع جـ ٢ ص ٥٢٤ •

للانجليز ببناء قلعة بباب المندب (١) فيقول : هذا أمر يتفاقم خطبه ويعز بعد وقوعه معاناته وطلبه ويشمل كافة المسلمين كربه ، وتتولد منها مفاسد جمّة وتضر سائر المسلمين من الأمة وخصوصا الاقطار اليمنية ... " (٢) ويرد الامام المنصور على شريف مكة ينفى السماح للانجليز ببناء قلعة بباب المندب فيقول : قد أرشدتم الى منهج الرشاد ونظرتم الى ثوابت العواقب بعين الانتقاد بيد أن ذلك الخبر غير مطابق للواقع ... وهيهات هيهات وبينهم وبين ادراك هذه الطلبات قلاقل وزلازل .

وفى هذه الرسائل دليل على حسن العلاقة التعاون الكامل بين اشراف الحجاز ودولة اليمن فى مجال السياسة والاقتصاد ومحاربة العدو المشترك .

وقد انتهت دولة الاشراف بالحجاز بارسال محمد على باشا مصر جيشا كبيرا استولى على مكة والحجاز وغالب الجزيرة وقبض على الشريف غالب أمير مكة وصادر ممتلكاته وذخائره وأرسله فى سفينة هو وخواص أهله الى الروم سنة ١٢٢٩ هـ (٣) .

علاقة اليمن بأشراف تهامة والمخلاف السليمانى :

عاصر الشوكانى " الشريف حمود بن محمد بن أحمد مؤسس دولة الاشراف فى تهامة والمخلاف السليمانى ، كما عاصر أولاده ، وأولاد أخيه من بعده ، وذكر عنه فى البدر الطالع أنه : ولد سنة ١١٦٠ هـ ثم استقل بأبى عريش والولايات الراجعة اليها " تصيبيا " ، و " ضمد " ، و " المخلاف السليمانى " (٤) ثم تتابع من بعده

---

(١) أرسلت الحكومة البريطانية فى عام ١٧٩٩م التعليمات الى بمباى بتأمين وتدعيم جزيرة (بريم) بقصد السيطرة على مضيق باب المندب ولمنع أى اتصال من جانب الفرنسيين بالمحيط الهندى عن طريق البحر الاحمر .

(٢) د . صالح رمضان محمود ذكريات الشوكانى ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٤ ـ ٢٤ .

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤٠ .

أولاده ، وكان متوليا لذلك من طرف الامام المنصور بالله (على بن المهدى بن العباس) .

أما العلاقة بينهم وبين أئمة الزيدية فكانت لا تدوم على حال ، فتارة يكونوا تابعين وتارة يحاربونها ويتبعون غيرها . (١)

فهذا الشريف دخل فى طاعة سلطان نجد الملك سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٧ هـ ثم اختلفت عليه فغزاه ودارت معركة عنيفة قتل فيها من جيش الشريف نحو ألفين انهزم بعدها الشريف الى أبى عريش سنة ١٢٢٤ هـ . ولما مات أمير العرب السلطان سعود بن عبد العزيز سلطان نجد والحجاز سنة ١٢٢٩ هـ وصار الامر بعده الى ابنه الامير عبد الله بن سعود وقعت أحداث بين دولة آل سعود وجيش محمد على باشا مصر ، وسقطت الدرعية ، وفى اثر ذلك تصالح الشريف المذكور مع الامام المتوكل على الله أحمد بن المنصور على بن المهدى العباس ، على أن يثبت الشريف على ماتحت يده من البلاد . (٢)

وفى سنة ١٢٣٣ هـ قامت حرب بين الشريف وبين الامام مرة أخرى ، وتوفى الشريف والحرب قائمة ، فخلفه فى الملك ابنه احمد حمود المولود سنة ١٢٠٦ هـ ، واختلفت عليه بعض الاقارب ، فحرضوا بعض القبائل فى الخروج عليه فاستعان عليهم بالباشا محمد على فأرسل خليل باشا مع جيش كثيف الى تهامة فاستولى على أبى عريش وبذلك انتهت دولة الاشراف سنة ١٢٣٥ هـ وأعاد الباشا خليل الى الامام " اللحيه " و " الحديدة " و " زبيد " وما يتبعها من البلاد التهامية " . (٣)

وكان الشوكانى كثيرا ما يهم بدعوة الشريف حمود الى الصلح مع الامام المتوكل فيقول : قد علمنا جميعا أن الله جل جلاله أمرنا فى كتابه العزيز أن نأتمر بيننا

---

(١) نفس المصدر جـ ١ ص ٢٤١ .
(٢) د . صالح رمضان محمد ذكريات الشوكانى ص ١٥٩ .
(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ١ ص ٢٤١ ، جـ ٢ ص ٣٦٩ ـ ٣٧١ .

بالمعروف ونتناهى عن المنكر ، وأن نتواصى بالحق ، وأن نتعاون على البر والتقوى ، ولا نتعاون على الاثم والعدوان .... وانى لا أزال كما علم اللـه أهم فى كثير من الاوقات بالمناصحة عن هذه الفتن التى طالت ذيولها وسالت سيولها فكم من دماء معصومة أراقت ، وكم من أرواح محرمة أزهقت ؟ ، وكم من أموال نهبت ؟ وكم من حرم انتهكت ؟ ، فعمت وطمت وضرّت وفرّقت وما جمعت ، ولم تزل قلة الاتصال قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوى رحم ..... الى أن قال الشوكانى : قد علم اللـه أنه لم يبعثنى على هذه النصيحة الا باعث الدين وما ورد من أجر الناصحين ... ... ومثلك لا يحيد عن الحق ولا يتخطى الصواب ولا أظن بمثلك أن يوءثر الدنيا على الدين ويدع المشى فى طريق الصالحين .(١)

وهنا يبرز لنا حرص الشوكانى على استمرار العلاقات الطيبة بين الشريف حمود والامام ، وهو لم يقم بذلك النصح والارشاد والصلح الا بدافع الدين ، والصلح بين المتخاصمين ، وحقن دماء المسلمين ، وحفظ أعراضهم وأموالهم ، وهذا شأن العلماء العاملين ، والائمة المصلحين .

رحم اللـه الشوكانى وأجزل له المثوبة والجزاء .

علاقة الأئمة الزيدية بآل سعود :

صوّر الشوكانى العلاقة بين الائمة وآل سعود وتحدث عنها ، وعاب على شريف مكة " غالب بن مساعد " دخوله فى حروب مع آل سعود فقال : " لو ترك ذلك واشتغل بغيره لكان أولى له "(٢) ، ويصف الشوكانى دعوة آل سعود بالاستقامة على منهج الاسلام والدعوة لاعلاء كلمة الدين يقول : " انهم أقاموا الدين الحنيف فى جميع البلاد التى فتحوها ، ومن دخل تحت حوزتهم اقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر

---

(١) د. صالح رمضان محمد ذكريات الشوكانى ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٥ .

شعائر الاسلام ، ودخل فى طاعتهم من عرب الشام الساكنين مابين الحجاز وصعدة غالبهم اما رغبة واما رهبة ، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد ان كانوا لا يعرفون من الاسلام شيئا ، ولا يقومون بشىء من واجباته الا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على مافى لفظهم من عوج ، وبالجملة فكانوا فى جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الاخبار الينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات الخمس لأوقاتها ويأتون بسائر الاركان الاسلامية على أبلغ صفاتها (١) .

ومن هنا نعرف أن الشوكانى أمين يوءرخ للاحداث بصدق ، دقيق يخشى اللـه ويكتب التاريخ بكل أمانة وانصاف .

وكان الشوكانى معجبا بدعوة التوحيد التى قام بها الامام محمد بن عبد الوهاب ، وقادة الدعوة من آل سعود وقد سجل نصوصا خاصة بالمراسلات بين أئمة اليمن الثلاثة الذين كان الشوكانى قاضيا ووزيرا ومستشارا لهم (٢) وبين قادة آل سعود ، وكان الشوكانى يحرر الاجوبة على السنة الائمة ، كما كان يقوم احيانا بالرد على لسانه وتوضيح آرائه " (٣)

وكان مما حرره الشوكانى عن قادة الدعوة من آل سعود ما ذكره فى البدر الطالع قال : وتبلغنا عن صاحب نجد (٤) أخبار اللـه أعلم بصحتها من ذلك أنه

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص ٥ .

(٢) هم الامام المنصورعلى ابن المهدى (١٧٩٥ ــ ١٨٠٩) م ، والامام المتوكل أحمد بن المنصور (١٨٠٩ ــ ١٨١٦)م ، والامام المهدى عبد اللـه بن المتوكل (١٨١٦ ــ ١٨٣٥) م .

(٣) د . صالح رمضان محمد ذكريات المتوكل ص ١١٢ .

(٤) هوسعود بن عبد العزيز خلف أباه (محمد بن سعود) صرف عنايته الى انتشار الدعوة ، فتغلب على القبائل الحجازية واستولى على القطيف والبحرين ، ووصل جيشه الى عمان ، ثم استولى على البصرة وفى سنة ١٨٠١ م عمد الى غزو المشهد الحسينى واستشهد فى أثر ضربة رجل شيعى فارسى من جيلان اسمه عبد القادر . (أنظرالسيد أبى الطيب صديق التاج المكلل ص٣٠٢ ــ ٣٠٤

يستحل دم من استغاث بغير اللــه من نبى وولى أو غير ذلك ــ قال : ولا ريب أن ذلك اذا كان عن اعتقاد تأثير المستغاث كتأثير اللــه كفر يصير به صاحبه مرتدا كمــا يقع فى كثير من هوءلاء المعتقدين للاموات الذين يسألونهم قضاء الحاجات ويعولون عليهم زيادة على تعويلهم على اللــه سبحانه ولا ينادون اللــه جل وعلا الا مقترنا بأسمائهم ، ويخصون بالنداء متفردين عن الرب ، فهذا أمر الكفر الذى لا شك فيه ولا شبهــــة وصاحبه اذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين . (١)

ويعرض الشوكانى ماوصل اليه من أخبار عن قادة الدعوة من آل سعود ، ثم يناقش هذه الاخبار على ضوء الكتاب والسنة موضحــا أحكام اللــه فى القضايا التى بلغته . يقول : ومن جملة ما بلغنا عن صاحب نجد أنه يستحل سفك دم من لم يحضر الصلاة فى جماعة .

وهذا ان صح غير مناسب لقانون الشرع ، نعم من ترك الصلاة فلم يفعلهـــا منفردا ولا فى جماعة فقد دلت أدلة صحيحة على كفره ، وعورضت بأخرى فلا حــرج على من ذهب الى القول بالكفر ، انما الشأن فى استحلال دم من ترك الجماعــة ولم يتركها منفردا (٢) .

ويتشكك الشوكانى فى الامور التى تبلغه عن أمراء الدعوة من آل سعــود ، فيتثبت من صحة الاخبار التى تبلغه ويوثق صلتهم بدعاة الحق من رجال وأئمـــة السلفيـــة . أمثال : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وابن القيم الجوزية ، وابن تيمية ، والامام أحمد بن حنبل ، وسائر الائمة المجتهدين .

فيقول : وتبلغ أمور غير هذه اللــه أعلم بصحتها ، وبعض الناس يزعم أنهم يعتقدون اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحا ، فان صاحب نجد ، وجميع أتباعه يعملون بما

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٦ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦ .

تعلموه من محمد بن عبد الوهاب ، وكان حنبليا ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد الى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متاخرى الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما، وهما من أشد الناس على معتقدى الاموات .

وقد رأيت كتابا من صاحب نجد الذى هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به بعض أهل العلم وقد كاتبه وسأله بيان ما اعتقده ، فرأيت جوابه مشتملا على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة .

ويستطرد الشوكانى يؤكد جدارة أمراء الدعوة من آل سعود وثبات قدمهم فى الدين . فيقول : بلغنا أنه وصل الى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة ، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف فى مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه فى الدين .

ويذكر الشوكانى رأيه فى المصنفات والكتب التى ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلماء الدعوة ، والجوابات المحررة المقررة فى الرد على فقهاء صنعاء وصعدة فى مسائل متعلقة بأصول الدين تدل على أنهم من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة فيقول :

وفى سنة ١٢١٥هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ارسل بهما ، أحدهما : يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها فى الارشاد الى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذى يفعله المعتقدون فى القبور ، وهى رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة ، والمجلد الآخر : يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروه فى مسائل متعلقة بأصول الدين ، وجماعة من الصحابة ، فأجابهم جوابات محررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة .(١)

---

(١) ولعل من الكتب التى تتعلق بمسائل الدين فى الرد على هؤلاء ، كتاب " جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والزيدية " ، لمؤلفه عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . نقض فيه كلام الزيدية وأجاب عن المسائل المتعلقة بأصول الدين اجابة محققة ومدققة

وقد هدم عليهم جميع ما بنوه ، وأبطل جميع ماد ونوه لانهم مقصرون ، متعصبون فصار مافعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة (١) .

وقد ترجم الشوكاني لكبار نصراء الدعوة التي قام بها محمد بن عبد الوهاب ، ومن هوءلاء: " سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بما يكشف عن سيرتهم ويبرز نواياهم في الفتح والجهاد ، ونشرهم التوحيد ودحضهم للشرك والبدع والخرافات .

يقول الشوكاني في البدر الطالع : عن سعود بن عبد العزيز والذي كان قائد جيوش أبيه عبد العزيز ، وكان جده محمد شيخا لقريته التي هو منها ، فوصل اليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الاموات ، فأجابه وقام بنصره ، وما يزال يجاهد من يخالفه ، وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الاسلام فيها غريبا ، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية ، وقام ولده عبد العزيز مقامه ، فافتتح جميع الديار النجدية ، والبلاد العارضية ، والحسا والقطيف ، وجاوزها الى فتح كثير من البلاد الحجازية ، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة ، وغالب جزيرة العرب ، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود ، ثم قام بعده ولده سعود ، فتكاثرت جنوده ، واتسعت فتوحه ووصلت جنوده الى اليمن ، فافتتحوا بلاد أبي عريش ، وما يتصل بها ، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش وأمده بالجنود ، ففتح البلاد التهامية كاللحيه ، والحديدة ، وبيت الفقه ، وزبيد ، وما يتصل بهذه البلاد ، وما زال الوافدون من سعود يفدون الينا الى صنعاء بمكاتب الدعوة الى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة ، والقباب المرتفعة ، فوقع الهدم للقباب والقبور في صنعاء وفي كثير من الامكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها (٢) .

---

(١) الشوكاني البدر الطالع جـ٢ ص٦ ـ ٨ .

(٢) الشوكاني البدر الطالع جـ١ ص٢٦٢ .

وقد دار بين الامام المنصور والشيخ الشوكاني وبين أمراء آل سعود مكاتبات وكان من هذه المكاتبات قصيدة كتبها اليهم أيام انتشار دعوتهم في البلاد يقول فيها :

الى الدرعية الغــــراء تسرى ٥٥ فتخبرها بما فعل الجنـــود
وتصرخ في ربا نجد جهـــارا ٥٥ ليسمعها اذا صرخت سعـــود
وابنا مقرن وهم ليـــوث ٥٥ اذا الحرب العوان لهـــا وقود
وتسأل كل ذى فهم وعلـــم ٥٥ سوء الا عند معضلـــة تؤود
ففى أبناء شيخ الفضل فضـــل ٥٥ الى الانصاف فضلهم يقـــود
كذلك بقية القوم طـــرا ٥٥ وكل مسود منهم يســـود
الما تعلموا أنـــا وأنتـــم ٥٥ على صوب الصواب لنا قعـــود
ونهج الحـــق لانبغى ســـواه ٥٥ اليه جل مقصدنا يعـــود
وانا نجعل القرآن جســـرا ٥٥ فمصدرنا عليـــه والـــورود
نرد الى الكتاب اذا اختلفنـــا ٥٥ مقالتنا وليس لنا جحـــود

الى ان قال :

وان الحق مقبول لدينـــا ٥٥ وفينا ماله عنـــا صـــدود
كتاب اللـــه قدوتنا ومـــا فـــى ٥٥ كتاب المصطفى وهما العمـــود
وهدى الصحب افضل كل هـــدى ٥٥ واشرفه وان جحد الجحـــود (١)

ومن هذا يتبين أن الدعوة الى توحيد اللـــه التى قام بها الامام محمد بـــن عبد الوهاب ، وامراء آل سعود قد لقيت قبولا لدى كبار رجال العلم والمحـــققيـــن من علماء التفسير والحديث ، وذلك لانها دعوة جددت التوحيد بعد الشـــرك وأعادت الهدى بعد الضلال ، وعاد الناس بها الى دين اللـــه وصراطه المستقيم ، والعمل بهدى رسوله الامين صلى اللـــه عليه وسلم . فجزى اللـــه تعالى من قامـــوا بها وجاهدوا فى سبيلها جزاء المجاهدين الصادقين .

---

(١) محمد بن محمد بن يحى زيارة الحسنى نيل الوطر ج ٢ ص ٣٠٠ — ٣٠٢

ولما توفى الامام محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ هـ رثاه الشوكانى بقصيدة رائعة قال فيها :

مصاب دهى قلبى فأذكى غلائلى ٥°٥ واصمى بسهم الافتجاع مقاتلى
مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها ٥°٥ وقد سمخت اعلام قوم أفاضلى
لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ٥°٥ ومركز أدوار الفحول الافاضل
امام الهدى ماحى الردى قامع العدى ٥°٥ ومروى الصدى من فيض علم ونائل
محمد ذو المجد عز دركه ٥°٥ وجل مقاما عن لحوق المطاول
لقد شرفت نجد بنور ضيائه ٥°٥ وقام مقامات الهدى بالدلائل (١)

---

(١) د ٠ محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٣٨ ، ٣٩ نقلا عن عبد العزيز بكر — الادب العربى ص ٥٧ الرئاسة العامة للكليات والمعاهد ٠

الفصل الثانى

الحالة الدينية فى عصر الشوكانى

تمهيـــــــد .

(١) أهل السنــــة .

(٢) الشيعــــــة .

(٣) الزيدية بعد الامام زيد .

(٤) الزيدية فى اليمـــــن .

(٥) الرافضـــــــــة .

(٦) الباطنيـــــــــة .

(٧) المعتزلة باليمـــــن .

(٨) الأشاعـــــــرة .

(٩) الصوفيـــــــة .

(١٠) تعقيـــــــب .

تمهيـــــــد :

كانت معظم حياة الشوكانى مناضلة بينه وبين الخارجين على منهـج الكتاب والسنة ، كالباطنية التى تدعى أنهـا من الشيعـة ، ظاهرها التحـلل ، وباطنهـا الكفر الصراح ، والتى أوّلت النصوص طبق هواها ، وتنكر الحديث المروى من جهـة اهل السنة والجماعة ، والزيدية يقوم الشوكانى انحرافهـا عن المنهـج الصحيح ، فالروافض كثيرا ما تحدث الفتن بينهم وبين اهل السنة ، ويذهـب ضحيتهـا عشرات الأشخاص كما حدث فى عهد الشوكانى ونذكره فيما بعـد ، وكذلك فرقـة المعتزلة التى كثيرا مايرد عليهـا الشوكانى كما سيتبين ذلك فـى الفصول القادمة ، والكثير من أهل البيت يخالفونهم ، وتقع بينهم مصادمات كمـا حصل مع السيد محمد بن الوزير الذى رد عليهم فى كتاب " العواصم من القواصم " وغير ذلك من الفرق كالاشاعرة ، والصوفية ، الذين يوجدون فى الجزء الذى يقطنه الشافعية ، وأغلبهم قبوريون ، وقد ندد بهم الشوكانى ، ومن قبله الامام محمـد ابن اسماعيل الأمير ، وهكذا سنجد الشوكانى كثيرا من آرائه كانت للرد على هذه الفرق ، وكانت الخصومة بينه وبينهم قائمة •

ومن الواجب علينا أن نذكر موجزا عن الفرق التى كانت موجودة فى القطـر اليمنى وغيره ، وظلت معاصرة أو بالأحرى التى امتدت فى فروعهـا الى عصـره ، وان كانت جذورها تمتد فى أعماق التاريخ الاسلامى الى أزمان موغلة فى القـدم ، اذ كانت الفرق فى العصر الأموى أو فى آخر عصر الخلفاء الراشدين •

١ ـ أهل السنة :

كانت اليمن احدى مراكز التدريس للحديث النبوى الشريف ، فكانـت لذلك قلعـة من قلاع السنة المطهرة تضم كبار المحدثين كطاوس ، ومعمـر بن راشد ، وهمام وهشام بن يوسف وغيرهؤلاء ، وكان يفـد عليهم أعلام الاسـلام ،

وأئمة الدين كالامام الشافعي ، والامام أحمد بن حنبل ، وابن المبارك ، وابن معين ، ومحمد بن يحى النيسابورى ، واسحاق بين راهوية وغيرهم (١) ، وقد أخذ الشافعي عند قدومه عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء ، وعن مطرف بن باذان ، وهما من كبار أصحاب ابن جريج الذى أخذ عن عطاء بن أبى رباح ، وقصد الشافعي فى رحلته الى اليمن القاضى حسين الطبرى صاحب هجر بوادى الفروات من بلاد سنحان .

ففى المائة الثالثة للهجرة ظهر مذهب الشافعي فى بلاد اليمن ، وكان الداعى اليه فى الجند ومخلاف جعفر عمر بن محمد الحواشى السكسكى (٢) .

وعلى يد هوءلاء انتشر علم الحديث باليمن ، وبقى سائدا بها لاينازعه غيره حتى دخلت المذاهب المخالفة ، كالباطنية ، والقرامطة ، والخوارج ، والصوفية ، والمعتزلة ، وظلت طائفة على الحق من أهل الحديث ، وكان الشوكانى أحد هوءلاء الطائفة التى نبذت التقليد ودعوا الى اتباع السنة ودحض البدعة ، والسير على طريق السلف الصالح .

٢ ـ الشيعة :

وهى أقدم الفرق الاسلامية ظهورا بمذهبهم فى عهد عثمان رضى الله عنه ، بل يقول الموءرخون أنها أقدم فى التاريخ من ذلك العهد ، وأساس مذهبهم : أن الامامة قاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبى اغفالها ، وتفويضها الى الأمة ، بل يجب عليه اختيار الامام لهم ، وأن على بن أبى طالب كان هو الخليفة المختار من النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل الصحابة رضى الله عنهم (٣) ،

---

(١) د . محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٤٠ .

(٢) يحى بن الحسين القاسم : غاية الامانى جـ ١ ص ٢٠٣ .

(٣) محمد أبو زهرة ابن تيمية ص ١٦٧ .

وقد اتفقت فرق الشيعة على ذلك القدر ، واختلفوا من بعد ذلك اختلافا بينا ، فمنهم من غالى فى تقدير على رضى الله عنه ، ومنهم أمة مقتصدة ، فالمقتصدون يرون أنه أفضل الصحابة ، ولكن يقرون بصحة بيعة أبى بكر وعمر ولا يسبونهما ، لان عليا رضى الله عنه بايعهما ، ولأنه رضى الله عنه لم يطعن فيهما .

ولقد قال زيد رضى الله عنه وأتباعه : أن امامة المفضول جائزة ، والاوصاف التى تذكر فى الخليفة من بعد على ، وهى : كونه فاطميا ، ورعا ، عالما ، سخيا ، يخرج داعيا الناس لنفسه ، وهذه الاوصاف للامام الأمثل الكامل ، وهو بها أولى من غيره ، فان اختار أولوا الحل والعقد فى الامة اماما لم يستوف بعض هذه الأوصاف ، وبايعوه ، صحت امامته . وعلى ذلك ، بنوا صحة امامة الشيخين : أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما .(١)

فقد كان زيد يرى أن عليا بن أبى طالب أفضل الصحابة الا أن الخلافة فوّضت الى أبى بكر لمصلحة رآوها ، وقاعدة دينية راعوها ، من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة ، لأن المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن لمن عرفوه باللين والتودد والتقدم فى السن والسبق فى الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

٣ — الزيدية بعد الامام زيد :

عرفنا أن الامام زيدا يرى جواز امامة المفضول ، وعلى ذلك أقر امامة الشيخين أبى بكر وعمر ، ولم يكفر أحدا من الصحابة ، وقد كان هذا المبدأ من أسباب خروج كثير من الشيعة عليه عندما استحر القتال بين زيد وبين يوسف ابن عمرو الثقفى قالوا : انا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك فى أبى بكر

---

(١) أبو زهرة : ابن تيمية ص ١٦٨ .

(٢) الشهرستانى الملل والنحل ص ١٥٨ .

وعمر اللذين ظلما جدك على بن أبى طالب ، فقال : انى لا أقول فيهما الا خيرا ، وانما خرجت على بنى امية الذين قتلوا جدى الحسين ، وأغاروا على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك ، ورفضوا كلامه فسموا رافضة (١) .

ومن بعد ذلك ضعف المذهب الزيدى ، وغالبته المذاهب الشيعية الاخرى ، ولقحته ببعض مبادئها ، ولذلك كان الذين حملوا اسم هذا المذهب من بعده لايجوزون امامة المفضول فأصبحوا يعدون من الرافضة (٢) وهم الذين ظهرت لهم أحداث فى عصر الشوكانى ، أظهرها ماكان فى ليلة أربع عشرة من رمضان سنة ١٢١٦هـ تلك الفتنة العارمة التى عمت صنعاء بين الروافض وأهل السنة ، وسيأتى ذلك ريان بيان .

وعلى ذلك لاتعتبر الزيدية قسمان : المقتصد منهم ، وهم لا يعدون رافضة ، ويعترفون بامامة الشيخين أبى بكر وعمر ، والمتأخرون : وهم الذين يرفضونهما ويعدون رافضة . يقول الشهرستانى : مالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بامة المفضول ، وطعنت فى الصحابة طعن الامامية ، وهم اصناف ثلاثة : جارودية (٣) ، وسليمانية (٤) ، النبريه (٥) ، والصالحية على مذهب واحد (٦) .

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ؟؟؟

(٢) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٥ .

(٣) وهم : أصحاب " أبى الجارود " أنظر مقالات الاسلاميين للاشعرى ص ٦٦

(٤) وهم : أصحاب "سليمان بن جرير الزيدى" المصدر السابق ص ٦٨ .

(٥) وهم : أصحاب " الحسين بن صالح بن حى" أنظر المصدر السابق ص ٦٨

(٦) الملل والنحل للشهرستانى ص ١٦٠ ، ١٦١ .

الزيدية فى اليمن :

كان للزيدية دولتان ، احداهما : فى اليمن ، والأخرى : فى جنوب بحر الخزر من جهات الديلم .

قامت دولتهم فى الديلم نحو سنة ٢٥٠ هـ واستمرت الى سنة ٥٢٠ هـ وظهر فيهـا عشرون اماما (١) ، والذى يبدو أن زيدية الديلم فى القرن الخامس كانوا من الناحية السياسية فى حالة ضعف ، مما مهد لانتهـاء دولتهم بعـد ذلك فى وقت قريب (٢) .

اما دولتهم فى اليمن ترجع الى الامام القاسم بن ابراهيم الرسى (١٦٩ — ٢٤٦)هـ من أولاد الحسن بن على بن أبى طالب (٣) الذى وضع أصول المذهـب الزيدى كما عرف فى هذه الدولة ، أما الذى استولى على اليمن فهو الامام الهادى الى الحق يحى بن الحسين أحد أحفاد الامام القاسم (٤) . خرج الى اليمـن

---

(١) د . يوسف الحسن تاريخ الفرق ص٢٢ ، وتاريخ دول الاسلام للصدفى ص ٢٥٩ .
(٢) د . عدنان زرزور الحاكم الحشمى ومنهجه فى تفسير القرآن ص ٣١ .
(٣) هو القاسم ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علـى بن أبى طالب ، ولد بالمدينة عام ١٦٩ هـ ، وأخـذ العلم عن آبائه ، وعن محمد بن منصور المرادى الذى جمع علوم آل البيت فى كتابه " الوافى " خالط علماء المذهب الحنفى فى الفقـه ، وشيوخ المعتزلة فى الاصـول ، فكان من أكبر علماء المذهب الزيدى ، دعا القاسم الى نفسه فأجابه خلق كثير من مكة والمدينة والكوفـة والرى وقزوين وطبرستان والديلم ، وحثوه على الظهور وكان ممن بايعـه فقيه الزيدية أحمد بن عيسى بن زيد . (أنظر د . أحمد محمود صبحى الزيدية ص ١٢١ ، ١٢٢) .
(٤) ولد بالمدينة سنة ٢٤٥ هـ ، وخرج الى اليمن سنة ٢٨٠ هـ بطلب من أهله نصرة الدعوة ولكنهم خذلوه فعاد الى الحجاز سنة ٢٨٠ هـ ثم راجعوه فعـاد اليهم ووصل صعده سنة ٢٨٤ هـ ، وتوفى بصعده فى ذى الحجـة سنة ٢٩٨ هـ .

سنة ٢٨٠ هـ يطلب من أهله نصرة الدعوة ولكنهم خذلوه ، فعاد الى الحجاز ، ثم راجعوه فعاد اليهم ، وتمكن بعد حروب طويلة مع القرامطة وغيرهم أن يؤسس دولة الزيدية فى اليمن ، وتذكره الزيدية بالبأس والشجاعة ، والورع ، ويعدونه من معجزات جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قالوا : ما من زيدى فى اليمن الا وله عليه حق .

أسس الهادى دولة الزيدية فى اليمن ، وكان أولاده من بعده يبايعون فيها بالامامة بخروجهم أو بالقتال ، وكثيرا مايخرج الأمر من أيديهم ، الى أحفاد القاسم الرسى أو الى غيرهم ممن ينتسب الى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأظهر الاحداث التى مرت ببلدهم فى القرن الخامس ، هو استيلاء الصليحى (١) على صنعاء ، وعلى اكثر مناطق اليمن ، وبالرغم من أنهم لم ينفذوا وجود دولتهم فى بعض بلاد اليمن ، الا أن الصليحى قتل امامهم الكبير فيها الذى دعا لنفسه (٢) سنة ٤٣٠ هـ ، وملك صعده والظاهر ، ولم تعد اليهم صنعاء (٣) الا فى عهد الامام أحمد بن سليمان سنة ٥٠٠ هـ .

ويتبين من مراجعة تراجم أئمة الزيدية وعلمائها أن الصلاة بين دولتهم فى الديلم واليمن كانت دائمة واليها يعود الفضل فى حفظ بقية صالحة من تراث المعتزلة فى اليمن .

٥ ـ الرافضة :

قدمنا أنه لما غالبت المذاهب الشيعية المذهب الزيدى ولقحته

(١) الصليحى هو : المسمى على بن محمد ، أرسل الى القرامطة من أوطان بعيدة ، فلما وصلوا اليه طلع بهم مسار حصن علل فيه قرى ومزارع وفيه أعلن الصليحى ثورته ٤٣٩ هـ ومعه ستمائة رجل وخمسون أنظر تاريخ عمارة مع تعليقات الاكوع: ١٠١ - ١١٦ ، توفى ٤٥٩ هـ أخبار القرامطة لابن زكار ص ٢٥٠ .

(٢) هو أبو الفتح بن ناصر الديلمى دعا لنفسه ٤٣٠ هـ وملك صعدة والظاهر .

(٣) عدنان زرزور الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن ص ٣٣ نقلا عن حايس لبصعدى بلوغ المرام ص ٣٦ - ٣٧ " والمقصد الحسن " .

ببعض مبادئها ، أصبح الذين حملوا اسم هذا المذهب لايجوزون امامة المفضول ، وطعنوا فى الصحابة ولم يعترفوا بامامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وهوءلاء هم الذين كانت لهم أحداث فى عصر الشوكانى ، لذلك نراه يحذر منهم ويوضح خطرهم فيقول :

" من ألقى مقاليد أمره الى رافضى وان كان حقيرا فانه لا أمانة لرافضى قط على من يخالفه فى مذهبه ، ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له ، لانه عنده مباح الدم والمال ، وكلما يظهره من المودة فهو تقية يذهب أثره بمجرد امكان الفرصة " .

ولا يتحدث الشوكانى عن ذلك دون دليل ، وانما عن سابق تجربة وخبرة عرف بهـا احوال الروافض ومقدار عدائهم لمن خالفهم فيقول :

" قد جربنا هذا تجريبا كثيرا ، فلم نجد رافضيا أخلص المودة لغير رافضى ، وان آثره بجميع ما يملكه ، وكان له بمنزلة الخول ، وتودد اليه بكل ممكن ، ولم نجد فى مذهب من المذاهب المبتدعة ولا غيرها مانجده عند هوءلاء من العداوة لمن خالفهم ، ثم لم نجد عند أحد ما نجده عندهم من التجرى على شتم الاعراض المحترمة ، فانه يلعن أقبح اللعن ، ويسب أفظع السب كل من تجرى بينه وبينه أدنى خصومة ، وأحقر جدال وأقل اختلاف (١) .

ويعلل الشوكانى سبب هذا التجرى فيبين أسبابه بانها ترجع الى تجرئهم على سب السلف الصالح ، فكان نتيجته أن هان عليهم سب من عداهم حتى وقع من شياطينهم فى على كرّم الله وجهه حردا عليه وغضبا له فيقول :

" لما تجرءوا على سب السلف الصالح هان عليهم سب من عداهم ، وقد يقع من بعض شياطينهم فى على كرّم الله وجهه حردا عليه وغضبا لـه ،

---

(١) الشوكانى أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنيـة ص ٧٠ ، ٧١ .

حيث ترك حقه ، بل قد يبلغ بعض ملاعينهم الى ثلب العرض الشريف النبوى صانه اللـه قائلا : انه كان عليه الايضاح للناس وكشف أمر الخلافة ، ومن الاقـوم فيها ، والاحق بها .... وقد بلغ من سلفهم وخلفهم الى حد الكذب علـى اللـه وعلى رسوله وعلى كتابه ، وعلى صالحى أمته ، ووقع منهم فى ذلك ما يقشعر له الجلد .

ويسجل الشوكانى وقائع هؤلاء الرافضة ، ومقدار خذلان غلاتهم الى حـد انكار بعض كتاب اللـه ، وتحريف البعض الآخر ، وجحد سنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فيقول :

" ناهيك بقول بلغ الخذلان بغلاتهم الى انكار بعض كتاب اللـه ، وتحريف البعض الآخر ، وانكار سنة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، وجـاوز ذلك جماعة من زنادقتهم الى اعتقاد الالوهية فى ملوكهم بل فى شيوخ بلد انهم، ولا غروا فأصل هذا المظهر الرافضى ، مظهر الحاد وزندقة ، جعله من أراد كيد الاسلام سترا له ، فأظهر التشيع والمحبة لآل رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم ، استجذابا لقلوب الناس ، ثم أظهر للناس أنه لا يتم القيام بحق القرابـة الا بترك حق الصحابة ، ومعظم ما يقصده بهذا هو الطعن على الشريعـة وابطالها ، كما وقع من القرامطة والباطنية والاسماعيلية ، ومن نحا نحـوهـم ، فانهم لما تمكنوا أظهروا صريح الكفر والزندقة " (١) .

أما أظهر أحداث الروافض فى عصر الشوكانى : فهى فى ليلة أربع عشـرة من رمضان سنة ١٢١٦ هـ تلك الفتنة العارمة التى عمت صنعاء بين الروافـض وأهل السنة التى ذهب ضحيتها عشرات الاشخاص ، ونفى بعضهم الى جـزيرة قمران بالبحر الاحمر ، وبعضهم الى حبس زيلع بالساحل ، وكان الشوكانى أعظـم هدف لتلك الفتنة ، ولكن نجاه اللـه ، لان الامام المنصور على بن المهدى كان

---

(١) المصدر السابق ص ٧١ — ٧٢ .

فى صف أهل السنة .

وتلك الحادثة سنة ١٢٢٣ هـ التى أدت الى قطع الطرق بين العاصمة صنعاء وسائر البلاد من قبل قبائل بكيل ، ثم اختلاف الامام المنصور على ، مع ولده الامير أحمد ، بسبب الوزير " حسن بن حسين بن عثمان العلفى " وقد قضى عليها الشوكانى بتدخله ، وأدى ذلك الخلاف الى سقوط تهامة بأجمعها فى يد الشريف حمود بن حمد صاحب أبى عريشن ، فقد استغل الخلاف المذكور وانتهز الفرصة ، فى الانقضاض على هذه البلاد ، وضمها الى حوزته. (١)

٦ ـ الباطنية :

بين الشوكانى خطورة هذه الطائفة ، وشدة كفرها واستهتارها بمحارم الله وما عظمه تعالى من المقدسات ، كما كان لهم دور كبير فى الافساد فى العالم العربى وباليمن بالذات لذلك ينبغى أن نتبين أمرهم وطرق فسادهم، ومناحى زيغهم وزندقتهم . يقول الشوكانى فى كتابه أدب الطلب :

" ان مذهبهم الذى يتظهرون به ويبدونه للناس هو التشيع ، ولا يزال شياطينهم ينقلون من دخل معهم فيه من مرتبة الى مرتبة ، حتى يوقفوه على باب الكفر وصراح الزندقة ، واذا تمكن بعض طواغيتهم من اعمال الكفر فعل ، كما فعل على بن الفضل الخارج باليمن ، من دعاة الناس الى صريح الكفر ودعوى النبوة ثم الترقى الى دعوى الالوهية . (٢)

وهذه الفرقة قد دخلت اليمن سنة ٢٩١ هـ حيث بعث ميمون القداح الى اليمن اثنين من دعاته ، وهما : " على بن الفضل الحميرى ، ومنصور بن حسن الكوفى " ، وهما على مذهب الاثنى عشريه (٣) تغرس فيهما القداح حسن مخايل

---

(١) د . محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٥ .

(٢) الشوكانى أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ٧٢ .

(٣) يحى بن الحسين بن القاسم غاية الامانى تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور جـ ١٠ ص ١٩١ .

الشهامة ، فأطلعهما على سره ، وعرفهما حقيقة أمره ، وأوهما أن المهدى ولده ، وأن نسبه يتصل بأمير المؤمنين على عليه السلام ، ورغبهما فى القيام بأمر الدعوة ، فوجدهما قابلين لقوله فأخذ عليهما العهود الوثيقة ، ثم أمرهما بالمسير الى اليمن ، ولما وصلا بندر البقعة (١) افترقا ، فقصد ابن الفضل بلاد يافع (٢) ، وقصد منصور بن حسن عدن لاعة (٣) ، وأقام كل منهما فى جهة يظهر الزهد والورع والتقشف حتى صار كل منهما مسموع القول في جهته ، وقصدهم الناس وجمعوا لهم الصدقات وعظم شأنهما (٤) .

ثم أظهرا الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وحصنا الحصون ، وبنيا القلاع ، وبدءا بتنفيذ الخطة ، واستوليا على اليمن بأسره الا القليل ، ولما تم لهما ما أرادا ، أظهرا مذهبهما الخبيث حتى قال على بن الفضل مصرحا بذلك الكفر فى أبيات منها :

خذى الدف يا هذه والعبى ٥٥ وغنى هزاربك ثم اطربى
تولى نبى بني هاشم ٥٥ وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعه ٥٥ وهذا شرايع هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة ٥٥ وحط الصيام ولم يتعب

....

ولا تطلبى السعى عند الصفا ٥٥ ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين ٥٥ من أقربى ومن أجنبى
وما الخمر الا كماء السماء ٥٥ حلالا فقدست من مذهب (٥)

---

(١) موضع فى مخلاف بنى عامر باليمن . (٢) حى من حمير ، وسمى الموضع باسمهم .
(٣) مدينة فى جبل جبر من أعمال صنعاء غير عدن الواقع على البحر
(٤) يحى بن الحسن بن القاسم غاية الامانى تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور جـ ١ ص ١٩١ — ١٩٢ .
(٥) د . سهيل زكار أخبار القرامطة ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

وهذا الشعر كله تحليل لمحرمات الشريعة والاستهانة بها ، وادعاء النبوة ، وادعاء رفع التكاليف والفرائض من الصلاة والصيام والحج ، واحلال البنات والاخوات .

وقد بقيت الطغمة فى كثير من البلاد الاسلامية بالشام والعراق ، وخراسان ، واليمن ، وانقطعت من مصر على يد السلطان صلاح الدين بن أيوب ، بعد أن دامت مدة تزيد عن ثلاثمائة سنة ، وانقطعت من اليمن على أيدى الأئمة القائمين من أهل البيت .(١)

وهذه الطائفة الملعونة كان لها دور كبير فى العالم واليمن بالذات ، ومنهم زعماء مثل على بن محمد الصليحى وحلفاؤه ، وبنى زيلع ، وآل حاتم اليامى ، ومنهم أبو طاهر صاحب هجر ، الذى اقتلع الحجر الاسود من الكعبة المشرفة سنة ٣١٧ هـ ، وحمله الى هجر ، ومكث عنده نحو عشرين سنة ولم يرجعه الا سنة ٣٣٩ هـ ، واستباح المسجد الحرام ، وقلع باب الكعبة ، وأخذه مع كسوتها ، ومنهم أبو سعيد الجنابى صاحب البحرين الذى فعل جميع المنكرات وسفك الدماء ، ولم يدع لله حرمة الا انتهكها ، ومما يذكر عنه : أنه كان فيلسوفا ملعونا ، ملك البحرين واليمامة والاحساء ، وادعى أنه المهدى القائم بدين الله .... ودخل مكة وقتل الناس فى المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن .(٣)

ومن شعره فى ذلك :

لو كان هذا البيت لله ربنا ٥٥ لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية ٥٥ محللة لم يبق شرقا ولا غربا

وانا تركنا بين زمزم والصفا ٥٥ جنائز لا تبغى سوى ربها ربا (٤)

---

(١) يحى بن الحسين غاية الامانى جـ ١ ص ١٨٤ .

(٢) د . سهيل زكار اخبار القرامطة ص ٣٥٩ وأنظر ٣٦٢ .

(٣) الشوكانى أدب الطلب ص ٧٢ ، وانظر د . سهيل زكار اخبار القرامطة ص ٢١٥

(٤) المصدر السابق ص ٧٢ .

وكان لهذه الطائفة وقت الشوكانى صولة وجولة وعاثت فى الارض فسادا ، واستحلت ماحرّم اللـه ، ولما اطلع الشوكانى على موء لفاتهم أيام المتوكل على اللـه ، وقد استولى على معقلهم فى شيام من بلاد حراز قال فيهم :

" ماعلى الارض كفر أشد من كفرهم "، وقال فى كتابه " أدب الطلب " :

" انهم لما تمكنوا أظهروا صريح الكفر والزندقة ، وفعلوا تلك الافاعيل من الاستهتار بمحارم اللـه ، وما عظمه كنقلهم للحجر الاسود من الحرم الى هجر (١) .

٧ ـ المعتزلة باليمن :

تدل المصادر التاريخية على أن دخول مذهب الشيعة المعتزلة فى ارض اليمن ، بعناية القاضى جعفر ابن أحمد بن عبد السلام سنة ٥٦٦ هـ (٢) وكان القاضى المذكور على مذهب التطريف ، فتركه على يد زيد بن الحسين البيهقى الروقنى من بلد الحاكم الجشمى ، وهو الذى نقل كثيرا من كتب الزيدية بخراسان الى اليمن .

كما تبين المصادر العلمية أن القاسم الرسى (٣) عندما جاء الى اليمن كان يحمل فى رأسه الفكر المعتزلى ، لذلك يعد من أهم الشخصيات الزيدية

---

(١) المصدر السابق ص٧٢ .

(٢) يحى بن الحسين غاية الامانى جـ ١ ص٣١٨ .

(٣) ولد القاسم الرسى فى السنة التى تولى فيها موسى الهادى بن محمد المهدى سنة ١٦٩ هـ وعاصر سبعة من خلفاء بنى العباس ، ومات فى خلافة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧)هـ ، وتبدأ أخبار انغماسه فى الحركة السياسية للشيعة منذ خلافة المأمون (١٩٥ ـ ٢١٨)هـ ، وقد نشأ فى بيئة شيعية تعمل الى الوصول الى الخلافة ، فكان أول امام شيعى يقود ثورة ضد الخلافة العباسية منذ قتل النفس الزكية فى المدينة وأخيه ابراهيم فى البصرة .

التى بدأت احكام العلاقة بين الزيدية والمعتزلة ، كما يعد الاساس للزيدية المعتزلة ، لأنه أسس لنفسه قاعدة فى اليمن استمر تاثيرها الى ما يزيد عن ألف سنة .(١)

وقد انتشر المذهب الزيدى المعتزلى فى المناطق الجبلية قاطبة بعد تولى الامام الهادى " يحى بن الحسين " الامامة فى اليمن وهو أول من دعى باليمن على هذا المذهب الزيدى (٢) ، وقد توالى على الامامة بعده أولاده ، وأحفاده ، ولم تنقطع سلالتهم فى اليمن حيث انقطعت فى طبرستان من بعد أولاد الاطروش .(٣)

أما مناطق السهول فى اليمن فقد بقوا على المذهب الشافعى السنى ، ولما قدم الهادى الى صنعاء انتزعها من يد أسعد بن يعفر الذى كان يحكم باسم العباسيين فملكها الهادى ولكن اهل اليمن خذلوه ، فترك صنعاء ورجع صعده ثم منها الى الحجاز ثم عاد الى الرس موطنه الأصلى .(٤)

وفى سنة ٢٨٣ هـ استنهض أهل اليمن برسائلهم الامام الهادى ليعود اليهم ، وقد أعلنوا توبتهم الى اللـه تعالى وبعد الحاح كثير أجابهم ، وعاد الى صعدة سنة ٢٨٤هـ (٥) .

وتعتبر كتابات الهادى من أوفى مصادر الفكر المعتزلى (٦) فى عصرها ، ولكن أسلوبه وثيق الصلة بالقرآن الكريم ، وبأسلوب العرب الاولين فى الاستدلال والجدل ، وتعد موءلفات الهادى وجده القاسم بن ابراهيم الرسى من أقدم

---

(١) على محمد زيد معتزلة اليمن ص٣١ .
(٢) الحميرى الحور العين ص١٩٦ .
(٣) ابن الساعى مختصر اخبار الخلفاء١٠ .
(٤) ابن خلدون العبر ص ١٣٠ .
(٥) المجلسى الحدائق الوردية جـ ٢ ورقة ٢٣١ .
(٦) من هذه الكتب

مابااليمن من مصادر علم الكلام المعتزلي (١) .

وقد أقام الهادى مذهبه على أصول المعتزلة الخمسة (٢) ودان بهـــا ، وعمل بمقتضاها ، واعتبرها أساسا لدخول المرء فى الزيدية فيقول : " فمن أقام على هذه الاصول كما أقمنا ، ودان بها كما أدنا ، وعمل بما استحق اللـه عليـه فيها ، فهو منا ، وأخونا ، وولينا ، ندعوه الى ما أجابنا ونجيبه الى ما دعـــا ، ومن خالفنا ، وفارقنا عليها حاججناه بالمحكم من كتاب اللـه ، ورددناه الـى المجمع عليه من سنة رسول اللـه (٣) ، وسيأتى زيادة بيان لهذه الاصول عنـــد الكلام على منهج الزيدية .

وبهذا تصبح الاصول الخمسة كما قررها المعتزلة أصولا للزيدية ، والعمـــل بها فى اليمن ظاهر ومتميز منذ الهادى والقاسم والى الآن .

والجدير بالذكر أن الكثير من أهل البيت الكرام وغيرهم من علماء أهـــل السنة يخالفون المعتزلة ، وتقع بينهم مصادمات كثيرة ، ومن ذلك على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، العلامة : السيد محمد بن ابراهيم الوزير المتوفى سنـــة ٨٤٠ هـ ، وكذلك " الحسن الجلال (١٠١٤ ــ ١٠٨٤)هـ وكذا الحسين بـــن القاسم محمد (١٠٣٥ ــ ١١٠٠)هـ .

ومن هوءلاء الشيخ صالح المقبلى (١٠٤٧ ــ ١١٠٨)هـ .

ومنهم الامام محمد بن اسماعيل الأمير (١٠٩٩ ــ ١١٨٤)هـ .

ومنهم الشيخ الشوكانى ، وأبوه ، وولده ، وكثير من أشياخه وتلاميذه ، فهـؤلاء

---

(١) على محمد زيد معتزلة اليمن ص ١٤٥ ــ ١٤٦ .

(٢) وهى أولا : التوحيد ، ثانيا : العدل ، ثالثا : الوعد والوعيد ، رابعا : المنزلة بين المنزلتين ، خامسا : الامر بالمعروف والنهى عن المنكـــر . أنظر الهادى كتاب المنزلة بين المنزلتين مخطوط (ضمن مجموعـــة) ق ٩٣ ــ ٩٤ ، وأنظر على محمد زيد معتزلة اليمن ص ١٥٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣ .

وغيرهم كثيرا ما خالفوا المعتزلة فى الروءية وأفعال العباد ، وجميع صفات الله تعالى وأثبتوا لله ما أثبته لنفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تأويل ولا تمثيل ، ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، عملا بقوله تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " (١) • وقوله تعالى : " وهل تعلم له سميا " (٢) و " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " (٣) •

كما صنف وألف هوءلاء المذكورون فى الرد على المعتزلة ومن ذلك مصنفات ابن الوزير السابق فى كتابه " العواصم من القواصم " واختصره فى " الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم " (٤) ، فأثبت فيه روءية الله تعالى فى الآخرة ، وغيرها من الصفات التى تنكرها المعتزلة أو يوءولونها ، وله كتاب " البرهان القاطع " وقد أودع فيه من الحجج الدامغة مايكفى ويشفى ، وكتابه " ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان " ، وهو كتاب لم تر العيون مثله كما قال الدكتور خليل هراس ، "وايثار الحق على الخلق " ، وهو وحيد فى بابه لانه من أعظم الكتب التى ترد على المعتزلة • وقد طورد هذا الامام وفر الى بطون الاودية، وشعف الجبال خوفا من المعتزلة ، وكان يتأسف لما حدث ويصف حالته التى صار اليها فى أبيات :

قال فيها :

فحيينا بطور تمطر السحب دونه ٥ ٥ أشم منيف بالغمام موءزر

---

(١) الشورى : آية : ١١ •

(٢) سورة مريم : آية : ٦٥ • (٣) سورة الاخلاص .

(٤) كتب ابن الوزير " الروض الباسم " وكتاب البرهان القاطع فى اثبات الصانع والشرائع " ، " ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان " ، " وايثار الحق على الخلق " • مطبوعة ومتداولة •

وحيينا بشعب بطن واد كأنـه ٥٥ حشا قلم تمسى به الطير تصفـر

....

هنالك يصفو لى من العيش ورده ٥٥ والا فورد العيش رمق مكـدر
فان يبست ثم المراعى وأجدبت ٥٥ فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولا عار أن ينجو كريم بنفسـه ٥٥ ولكن عار أعجزه حين ينصـر
فقد هاجر المختار قبلى وصحبه ٥٥ وفر الى النجاشى جعفـر (١)

٨ ـ الاشاعرة :

ولد الاشعرى بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ وتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، وتخرج على المعتزلة فى علم الكلام ، وتتلمذ لشيخهم فى عصره أبى على الجبـائى ، وكان لفصاحته يتولى الجدل نائبا عن شيخه ، ولكن الاشعرى وجد من نفسـه ما يبعده عن المعتزلة فى تفكيرهم ، ثم وجد ميلا الى آراء الفقهاء والمحدثين (٢) ، ولذا عكف فى بيته مدة وازن فيها بين أدلة الفرقتين ، وانقدح له رأى بعـد الموازنة ، فخرج الى الناس ، ونادا هم للاجتماع اليه ، فرقى المنبر يوم الجمعـة بالمسجد الجامع بالبصرة وقال :

" أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفـه بنفسى ، أنا فلان ابن فلان : كنت أقول بخلق القرآن ، وأن اللـه لا يرى بالابصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب ، مقلع متصد للرد على المعتزلة ، فخرج لفضائحهم (٣) "

وقد بين الاشعرى مذهبه ومآخذه على المعتزلة اجمالا فى مقدمة كتابـه " الابانة " وقد جاء فيها بعد حمد اللـه والثناء عليه :

---

(١) د . محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٢) محمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٨٠ ، ١٨١ .
(٣) محمد أبو زهرة ابن تيمية ص ١٨٥ .

" أما بعد فان كثيرامن المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله به من سلطان ، ولا أوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا رواية الصحابة عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى رؤية الله بالابصار ..... وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا الرواية فى ذلك عن السلف المتقدمين . .....(١) الى أن قال: " وديانتنا التى ندين بها هى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما ورى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم .(٢)

ومذهب الاشاعرة لم يأخذ فى الانتشار بالعراق الا من نحو سنة ٣٨٠هـ (٣)، وكذلك لم يأخذ فى الانتشار باليمن الا من القرن الخامس الهجرى ، ويظهر أن المذهب الاشعرى يجرى فى اليمن مع المذهب الشافعى فى الفروع جنبا الى جنب ، فالاشاعرة غالبا يكونون شافعية المذهب . ويسود المذهب الاشعرى فى المناطق الساحلية باليمن ، وفى منطقة الجنوب ، وقد ظهر هذا المذهب على القاسم بن محمد الجمحى امام الشافعية فى صنعاء وعدن ، وامتد فى أواخر القرن الرابع الهجرى الى المعافر ولحج وأبين وأهل الجند والسحول

---

(١) أبو الحسن الاشعرى الابانه ص ١٢ .

(٢) أبو الحسن الاشعرى الابانه ص ١٥ .

(٣) المقريزى الخطط جـ ٢ ص ٣٥٨ .

وغيرها [١] ، وعمم انتشاره بعد ذلك فى القرن السادس الهجرى [٢] .

وقد سبب اختلاف المذهب الاشعرى مع الزيدية الذين يسكنون شرقى اليمن وشماله كثيرا من المصادمات الدموية ، وتحكم السيف فى غالب الاوقات وأدى الى الفرقة والانفصال ، ولا يزال ذلك مصدر قلق بين الشمال والجنوب [٣] .

ومع أن الوجه البحرى هو الجزء الاستراتيجى لشعب اليمن والمنفذ التجارى الذى هو همزة الوصل بين اليمن والعالم الخارجى ، فلن تتخلى الزيدية عنه مهما كان الثمن ، ومن المستحيل أن تفرّط فيه ، لأن ذلك نهايتها وعزلها عن العالم الخارجى ، وفقدانها لشريان الحياة فى اليمن بأسره [٤] .

٩ ـ الصوفية :

نشأ التصوف فى الاسلام من ينبوعين مختلفين تلاقيا ، فكان النزاع الروحى ، الذى أثار الافكار ، وكان الشكل الذى دخل فيه بعض الذين حاولوا استغلال السذج والتحكم فى أهوائهم .

(الينبوع الأول) : الذى نشأ فيه التصوف ، هو انصراف بعض العباد المسلمين الى الزهد فى الدنيا ، والانقطاع للعبادة . ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرهبنة ، وقال : " رهبانية الاسلام الجهاد " [٥] ، ولما دخل فى الاسلام ناس كثيرون من أهل الديانات السابقة كالبراهمة ، والبوذية التى تعتقد أن تعذيب الجسم تطهير للروح فكان من الطبيعى أن كثر الزهاد الذين غالوا فى الزهادة فى الدنيا ونعيمها ، فوجد التصوف مكانه ، اذ وجد أرضا خصبة .

---

(١) د . حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسى والدينى ج ٤ ص ٤٥٤ .

(٢) الجعدى طبقات فقهاء اليمن ص ١٢ ـ ١٣ .

(٣) يحى بن الحسين غاية الامانى تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ج ١٠ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٧ .

(٤) د . محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٤٩ .

(٥) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل ٢ ، ٨٢ ، ٢٦٦ ولفظه " وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام" .

(المنزع الثانى) : الذى وجه النفوس الى التصوف ماسرى الى المسلمين من الفلسفة والديانات القديمة ، ففكرة الاشراقيين من الفلاسفة يروى أن المعرفة تقذف فى النفس بالرياضة الروحية ، والتهذيب النفسى ، وفكرة الحلول الالهى فى النفوس الانسانية أو حلول الناسوت فى اللاهوت التى جاءت عندما اختلط المسلمون والنصارى كما ظهرت تلك الفكرة فى السبئية ، وبعض الكيسانية ، ثم القرامطة ، وبعض الباطنية ثم ظهرت فى لونها الاخير فى بعض الصوفية (١) .

وقد كان بجوار ذلك المنزع منزع آخر هو مايسمى وحدة الوجود ، وهى فكرة هندية قوامها أن كل شىء فى الوجود مستقل بوحدة ثابتة جامعة ، كما أخذت النزعات الصوفية عن الباطنية كون النصوص والاحكام لها ظاهر وباطن ، وادعاء الباطنية أنه لم يؤت علم التأويل وباطن الشريعة الا الائمة .

وقد نظم الصوفية طبقات أوليائهم ، ففى القرن الرابع الهجرى كان من طبقاتهم ، طبقة الابدال (٢) .

وفى القرن الخامس يذكر الحجويرى (٣) طبقات أخرى من الاولياء ، فهناك ثلاثمائة يسمون الاخيار ، وأربعون يسمون الابدال ، وسبعون يسمون الابرار ، وأربعون يسمون الاوتاد وهم يطوفون العالم بجملته فى كل ليلة ، وثلاثة نقباء ، وأخيرا يوجد القطب أو الغوث ، والاولياء هم ولاة العالم ، والحل والعقد منوط بهم ، وتدبير العالم موصول بهمتهم (٤) .

---

(١) أبو زهرة ابن تيمية ص ١٩٧ .

(٢) التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون جـ ١ ص ٢١٠ — ٢١٣ .
والابدال : جمع بديل ، ويقال أن عددهم سبعون ، أربعون منهم فى الشام ، وثلاثون فى سائر البلاد .

(٣) الحجويرى من علماء الصوفية وأعلامهم فى القرن الخامس ورسالته كشف المحجوب ، وصيغها فى اصطلاحهم ، وهى باللغة الفارسية ، والنقول عنها من كتاب الحضارة الاسلامية نقلا عن كشف المحجوب جـ ١ ص ٢١ .

(٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية نقلا عن كشف المحجوب جـ ١ ص ٢١ .

أما الصوفية في اليمن ، فهي توجد في الجزء الذى يقطنه الشافعية وأغلبهم قبوريون ، وقد ندد بهم الامام محمد بن اسماعيل الامير ، وجاء من بعده الامام الشوكانى ، وكثير من معاصريه ، وتلامذته ، وأنشأوا فيها المقالات الطوال ، ومن ذلك ماقاله تلميذ الشوكانى ، وهو القاسم بن عبد الله بن القاسم المولود سنة (١١٦٦)هـ والمتوفى سنة (١٢٢٢)هـ وقد وجه هذه الابيات الى شيخه الشوكانى :

فدع التصوف واثقا بحقيقة ٥٥٥ واحرص ولا يغررك لمع سرابه
للقوم تعبير به يسبى النهى ٥٥٥ طربا ويثنى الصب عن احبابه
فيرون حق الغير غير محرم ٥٥٥ بل يزعمون بأنهم أولى به
لبسوا المدارع واستراحوا جرأة ٥٥٥ عن أمر ربهم وعن ايجابه
خرجوا عن الاسلام ثم تمسكوا ٥٥٥ بتصوف فتستروا بحجابه
واذا أرابك ماأقول فسل به ٥٥٥ من عنده فى الحكم فصل خطابه
محمد بن على بن محمد ٥٥٥ فمنى ومنك محقق أدرى به (١)

وقد أجابه الشوكانى برسالة سماها " الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد " مختار من قصيدته هذه الابيات ، وقد قسم فيها الصوفية الى قسمين : أحدهما : أهل الزهد والورع ، وثانيهما : أهل الكبائر والفسق والبدع فقال :

خذ الجواب فمابه خطل ولا ٥٥٥ عصبية قدحت بعين صوابه
أى العقيق (٢) سكانه صنفان صنف قد غدا ٥٥٥ متجردا للحب بين صحابه
يمشى على سنن الرسول مفوضا ٥٥٥ للامر لا يلوى للمع سرابه
يرى بميسور من الدنيا ولا ٥٥٥ يغنم غد نفارها عن بابه
....

---

(١) د. محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٥١٦٥ .
(٢) العقيق موضع باليمن جهة تهامة سكانه أو غالبهم صوفية .

....

ولكم مشى هذى الطريقة صاحب ٥٥٥ لمحمد فمشوا على أعقابه

فيها الغفارى قد أناخ مطية ٥٥٥ ومشى بها القرنى يسبق ركابه

وبها الفضيل (١) والجنيد (٢) تجاذبا ٥٥٥ كأس الهوى وتعللا برضابه

وكذلك بشر (٣) وابن ادهم اسرعا ٥٥٥ مبشيا به ، والكدعى مشى به

* * *

أما الذين غدوا على أوتارهم ٥٥٥ يتجاذبون الخمر فى أكوابه

ولوحده جعلوا المثانى مؤنسا ٥٥٥ واللحن عند الذكر من أعرابه

ويرون حق الغير غير محرم ٥٥٥ بل يزعمون بأنهم أولى به

لهم الذين تلاعبوا بين الورى ٥٥٥ بالدين وانتسبوا لقصد خرابه

قد نهج الحلاج (٤) طرق ضلالهم ٥٥٥ وكذاك محى الدين (٥) لاحيابه

وكذلك فارضهم (٦) بتائياته ٥٥٥ فرض الضلال عليهم ودعابه

وكذاك بن سبعين (٧) المهين فقد غدا متطورا فى جهله ولعبابه

---

(١) الفضل بن عياض : هو ابن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على . شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة فى الحديث ، أخذت عنه خلق كثير منهم الامام الشافعى (١٠٥ـ١٨٧) انظر تذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٥ ، الجواهر المضيئة ١ : ٤٠٩ ، وصفة الصفوة ٢ : ١٣٤ ، وابن خلكان ١ : ٤١٥ .

(٢) الجنيد بن محمد بن جنيد البغدادى الخراز أبو القاسم .

(٣) بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى أبو نصر .

(٤) الحلاج : هو الحسن بن منصور أبو مغيث ، ابن تيمية تعارض النقل بتحقيق د . محمد رشاد سالم ج ١ ص ١٦ .

(٥) هو أبو بكر محى الدين محمد بن على الطائى الاندلسى المعروف بابن عربى والملقب عند الصوفية بالشيخ الاكبر والكبريت الاحمر . أنظر ترجمته فى نفخ الطيب ج ٢ ص ٣٦١ ـ ٣٨٤ ، شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩٠ ـ ٢٠٢ ، طبقات الشعرانى ج ١ ص ٦٣ ، ومات سنة (٦٣٨) هـ .

(٦) شرف الدين بن الفارض الحميرى الاصل ، المصرى المولد ، ملقب عند الصوفية بسلطان العاشقين توفى سنة (٦٣٢) هـ ، انظر ترجمته بوفيات الاعيان ص ١٢٧ .

(٧) أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر ، المعروف (بابن سبعين)

===

رام النبوة لامعـــا بعثوره ٥ْ٥ روم الذباب مصيره لعقابـــــه

وكذاك الجيلى (١) اجال جواده ٥ْ٥ فى ذلك الميدان ثم سعـــى به

انسانه انسان عين الكفـر لا ٥ْ٥ يرتاب فيه سابح بعبـــــابه

والتلمسانى (٢) قال قد خُلت له ٥ْ٥ كل الفروج فخذا بذا وكفـــر به

نهقوا بوحدتهم على رؤس الملا ٥ْ٥ ومن المقال أتوا بعين كـــذابه

ان صح مانقل الائمة عنهــم ٥ْ٥ فالكفر ضربه لازب لصحـــــابه

وهذه القصيدة طويلة لا يتسع المقام لسردها ، وقد أوضح الشوكانى كما ذكر فى " البدر الطالع " حال كل واحد من هؤلاء ، وأورد نصوص كتبهم ، وبين أقوال العلماء فى شأنهم وأخيراً قال هذه الكلمة : " وأنا الآن أتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم ، مخالفا لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التى ليلهـــا كنهارها • (٣) •

ومن هذا يتبين أن الشوكانى قد درس آراء أهل عصره فى علم الكـــلام والتصوف وغيره ، وأنه كتب ونقد وله فيها المختصرات والمبسوطات •

وفى نهاية هذا الفصل والذى قبله من الحياة السياسية والفرق الدينيـــة يجدر بنا التعقيب لتوضيح أهم النتائج الايجابية والسلبية ، وأثر هذه الحيـــاة السياسية والدينية فى أهل هذا العصر ومنهم الشوكانى •

== توفى سنة ٦٦٩ هـ • أنظر ترجمته فى شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ، والطبقات الكبرى للشعرانى جـ ١ ص ١٧٧ •

(١) الجيلى له كتابه المسمى " انسان " أتى فيه بعين الكفر كما ذكر الشوكانى •

(٢) التلمسانى : هو عفيف الدين سليمان بن عبد اللــه بن على الكوفـــى التلمسانى • أنظر ترجمته فى وفيات الاعيان جـ ١ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦ هـ كان كوفى الاصل وكان يدعى العرفان •

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ •

١٠ — تعقيب :

كان لهذه الحياة السياسية والدينية — المضطربة والمتناحرة — أثرها السيء على الحياة العامة ، بما حملته من الفرقة والانقسام بين الطوائف والقبائل ، وبما صاحبها من الفتن والمنازعات بين أصحاب الفرق والمذاهب ، وبما حدث بين العشائر والجماعات .

فقد كان للاحداث التي شهدتها الامة الاسلامية وذكرها الشوكاني مبينا ماحدث في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري أثرها السيء من انقسام المسلمين الى دويلات وحوزات لملوك ينظر بعضهم الى بعض نظر العدو المفترس.

وكان نتيجة هذا التفكك والتمزق والانحطاط في شعوب المسلمين ، أن أضعفهم وأذهب بكيانهم ووحدتهم أمام الافرنج ودول الرومان ، فقد هوجم الاسلام في هذا العصر من فرنسا تارة ، ومن الانجليز تارة أخرى كما وضحت ذلك من قبل . يقول الشوكاني : " ان الرزية العظمى والمصيبة الكبرى التي تبكي لها عيون الاسلام والمسلمين هي استيلاء طائفة من الفرنجة يقال لهم الفرنسيس على الديار المصرية (١) ...... وهذا خطب لم يصب الاسلام بمثله (٢) .

كما كان في داخل الاقطار والولايات الاسلامية من اختلاف المذاهب في الاصول والفروع مدعاة للقلق والاضطراب أدى الى الفرقة والانقسام وتدخل الدول الاجنبية لغزو البلاد واندلاع الحروب بين أهلها ، وكان الشعب ضحية هذه الحروب ووقودها . ففي اليمن كان الجزء الساحلي يعتنق المذهب الاشعري في الاصول والمذهب الشافعي في الفروع ، في الوقت الذي كان فيه القسم الجبلي والنجدي من اليمن يعتنق المذهب الزيدي المعتزلي في الأصول ،

---

(١) د . صالح رمضان محمود ذكريات الشوكاني ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الشوكاني البدر الطالع جـ ٢ ص ٨ ، ٩ .

والمذهب الهادوى فى الفروع ، فكان لاختلاف المذاهب مدعاة للاضطراب ، وكثيرا ما يحدث انفصال الجزء الساحلى عن الجزء الجبلى كلما سنحت الفرصة لقيام دولة استقلال أو دخول دولة أجنبية لغزو اليمن فتندلع الحروب ويشتد وطيسها ، ويذهب الشعب ضحيتها كما تقدم ذكره .

أما الفتن بين أرباب العقائد وبخاصة أهل السنة والرافضة ـ فقد كانت لكثرتها جزءاً من الحياة العامة ، وربما اليومية ، وكم وقعت فى عهد الشوكانى من فتن عظيمة بين الرافضة وأهل السنة .

فالرافضة يشتد بلاهم ويتفاقم محنتهم فى بعض الواقعات ، اذ كانوا يقعون فى إصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والسب والذم لجماعة منهم ، مما جعل الشوكانى يحرر رسالة (١) يذكر فيها ماكان عليه الائمة الزيدية من أهل البيت فى صحب النبى ويذكر ماقاله كبار الائمة تجاه الصحابة رضى الله عنهم ، وما أراد الشوكانى بذلك الا أن يرفع العماية ، ويرد الروافض عن طرق الغواية ، فصالوا عليه صولة شيطانية ، وحرروا ضده جوابات زادت على عشرين رسالة (٢) ، مشتملة على شتم الشوكانى ومعارضته ، حتى أبلغوا ذلك الى مقام خليفة العصر ، وعظّم القضية عليه جماعة ممن يتصل به ، فأشار بعضهم بحبسه ، ونصح بعضهم باخراجه من مواطنه ، ولكن الله تعالى حماه ، ووقاه كما هى سنته وعنايته بأهل العلم (٣) .

كما ذكر الشوكانى فى حوادث سنة ١٢١٦هـ وقوع الفتن الكبيرة بين الروافض بصنعاء وغيرهم أدت الى قتل وسجن الكثير منهم ، ونفى بعض المشاغبين الى جزيرة قمران فى البحر الاحمر حتى ماتوا (٤) .

---

(١) الرسالة المسماه " ارشاد الغبى الى مذهب أهل البيت فى صحب النبى " وهى مخطوطة .

(٢) جمعت فى كتاب بعنوان " اظهار الخبى " .

(٣) الشوكانى أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ٣٠ ، ٣١

(٤) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٤٤ .

ولم تكن الخلافات بين أصحاب المذاهب الفقهية بأقل أثرا من خلافات أرباب السياسة والكلام ، فقد كان أكثر الزيدية تضيق صدورهم من الشافعية ، اذ يرون أنهم على مذهب أهل البيت ، فالتأمين ورفع اليدين والضم وغير ذلك من مبطلات الصلاة عند الزيدية ، كما أن الاذان " بحى على خير العمل " واجب عند الهادوية [(١)] ، أما الشافعية فيقولون : حى على خير العمل بدعة يجب ازالتها ، ولم تصح عن زيد ولا عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، كما أن الضم والتأمين مذهب الائمة من اهل البيت ، وهو الذى صح عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم [(٢)] .

حركة التأليف باليمن فى عصر الشوكانى :

المعروف عن الزيدية أنها لا ترشح اماما للخلافة الا اذا كان مجتهدا ، فلا تنعقد له بيعة ، ولا تجب له طاعة ، الا بعد أن يعرض انتاجه من الاجتهادات والتأليف على هيئة من كبار علماء عصره ، فكان ذلك بمثابة حافزا ودافعا قويا للتحصيل والانتاج العلمى ، لذلك لم ينقطع العلماء فى هذه الفترة عن الكتابة والتأليف ، فنشطت حركة التأليف تبعا لذلك خلال القرن الثانى عشر والثالث عشر نشاطا ملحوظا .

كما كان من عوامل دفع هذا النشاط ، وأسبابه المباشرة مادعا اليه الشوكانى من نشر راية الاجتهاد فى الاقليم اليمنى وما وجهه من حملات ضد التقليد فى بقية الاقطار الاخرى وذلك مما أذاعه فى مختلف كتبه ورسائله من

---

(١) يقول الشوكانى ، فى السيل الجرار " حى على خير العمل " لم يثبت رفعه الى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فى شىء من كتب الحديث على اختلاف أنواعها . أنظر السيل الجرار للشوكانى جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢) د . محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٥٣ .

الدعوة الى الاجتهاد ونبذ التقليد كما سيتضح ذلك فيما بعد ٠

ومن أراد أن يعرف حركة التأليف ومقدار الانتاج فى ذلك العصر ، فليذهب الى مكتبة الجامع المقدس بصنعاء العاصمة ، فانه سيجد المؤلفات القيمة والمطمورة التى لا تزال مخطوطة لم تطبع للشوكانى وغيره من العلماء فى ذلك العصر فى مختلف العلوم والفنون ٠

ومن الذين ساهموا فى دائرة المكتبة الاسلامية ، ولهم نشاطات فى التصنيف والتأليف فى ذلك العصر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فى اليمن وهم : ترجم الشوكانى فى "البدر الطالع" لكثير من هؤلاء فذكر :

١ ـ السيد أحمد بن الحسن الجرموزى (١) ، مؤلف : صوارم اليقين لقطع شكوك أحمد ابن سعد الدين ، ومؤلف : الايضاح لما خفى عن الاتفاق على تعظيم صحابة المصطفى ، شرح مجموع زيد بن على الزهر فى اعيان العصر ٠

٢ ـ أحمد بن صالح بن أبى الرجال (٢) ، له كتاب مطلع البدور ومجمع البحور ، وحواشى على شرح الغاية ، وحاشية على الكشاف ٠

٣ ـ أحمد بن صلاح بن يحى الخطيب (٣) ، وله : الرياض الندية وأجاب عليها الشوكانى برسالة سماها الصوارم الهندية ٠

٤ ـ أحمد بن محمد قاطن (٤) ، وله : مختصر الاصابة ، وله : مؤلف فى اسناد الكتب العلمية ، وترجم لاهل عصره فى كتابين ، تحفة الاخوان وتحفة الاحباب ٠

٥ ـ الحسن بن أحمد عاكش (٥) من تلاميذ الشوكانى ، له : اختصار السيل الجرار

---

(١) المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ انظر البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٥ ملحق البدر الطالع ٠

(٢) مولده ووفاته (١٠٢٩ ـ ١٠٩٢) هـ المصدر السابق جـ ١ ص ٥٩ ٠

(٣) المتوفى سنة ١١٩٦ هـ المصدر السابق جـ ١ ص ٦٢ ٠

(٤) المولد والوفاة : (١١١٨ ـ ١١٩٩) هـ ، انظر البدر الطالع جـ ١ ص ١١٥ ٠

(٥) المولد والوفاة : (١٢٢٢ ـ ١٢٨٩) هـ ، المصدر السابق جـ ١ ص ٢١١ ٠

اسماه نزهة الابصار ، ، وله : روض الأذهان فى علم المعانى والبيان وكتاب الديباج الحشروانى فى ذكر أعيان المخلاف السليمانى ، وكتاب الذهب المسبوك فى سيرة سيد الملوك ، وعقود الدرر فى تراجم القرن الثالث عشر ، وحدائق الزهر فى أعيان العصر والدهر ، ونزهة الظريف فى دولة الشريف .

٦ — الحسن بن أحمد الجلال (١) ، العلامة المؤلف والمجتهد ، له : ضوء النهار على الازهار ، وشرح الفصول فى أصول الدين ، وشرح مختصر المنتهى ، وشرح التهذيب فى المنطق ، وشرح القلائد للامام المهدى ، وله : قبض الشعاع وشرحها ، وله : العصمة من الضلال ، والمذاهب شرح كافيه بن الجاجب ، وتيسير الاعراب فى علم الاعراب .

٧ — الشيخ صالح بن مهدى المقبلى (٢) المكى الصنعانى ، له : المنار على البحر الزخار ، والعلم الشامخ ، والالتحاف على الكشاف ، وغيرها .

٨ — حسين بن أحمد حسين السباغى (٣) زميل الشوكانى ، له : الروض النضير أربعة مجلدات ، والروض الناضر فى آداب المناظر .

٩ — حسين بن محمد بن سعيد المغربى (٤) ، له : البدر التمام شرح بلوف المرام ، واختصره ابن الأمير فى سبل السلام ،، وله : رسالة فى حديث " اخرجوا اليهود من جزيرة العرب " وغير ذلك .

---

(١) المولد والوفاة : (١٠١٤ — ١٠٨٤)هـ المصدر السابق جـ ١ ص ١٩١ .

(٢) المولد والوفاة : (١٠٤٧ — ١٢٠٨)هـ انظر البدر الطالع جـ ١ ص ٢٩٠ .

(٣) المولد والوفاة : (١١٨٠ — ١٢٢١)هـ المصدر السابق جـ ١ ص ٢١٤ .

(٤) المولد والوفاة : (١٠٤٨ — ١١١٩)هـ البدر الطالع جـ ١ ص ٢٣٠ .

الفصل الثالـــــــث

" الشوكانى : نشأته وحياتـــــــــــه "

(١) نسبه وموطنه •

(٢) مولده ونشأته •

(٣) حياته العلمية •

(أ) دعوته الى العقيدة السلفية •

(ب) دعوته الى تطهير العقيدة من مظاهر الشرك •

(ج) دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد •

(٤) توليه للقضاء العام •

١ ــ نسبه وموطنه :

الشوكانى : نسبة الى عدنى شوكان أو الى هجرة شوكان (١) .

وقد كان الشوكانى يعتز بهذه النسبة ، وهما اسمان لقرية واحدة بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم ، وهى قطاع صغير اشتهر بالعلم فيه ، قضاه ، زعماء ، أمناء ، علماء ، أما نسبة الصنعانى : نسبة الى صنعاء ، وقد انتقل والده الى صنعاء قبل تولى القضاء بها ، ومع هذا فلم يشغله منصب القضاء عن التدريس والعناية بولده ، فقد أعانه والده الرحيم البار على طلب العلم ، وكان هذا الوالد عفيفا راضيا باليسير ، متنزها عن الشبهات حتى توفى عام ١٢١١هـ بعد أن بلغ ابنه ثمان وثلاثين سنة ، وبعد أن رآه متوليا للقضاء الأكبر (٢) .

٢ ــ مولده ونشأته :

ولد محمد بن على بن محمد بن عبد اللـه الشوكانى ثم الصنعانى فى وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ١١٧٣هـ (٣) ولا مجال للاختلاف فى تاريخ ميلاده بعد هذا النص منه ومن والده (٤) .

---

(١) يلاحظ هنا أنه نسب الى شوكان ، على غير قياس . قال الشوكانى : أنهـا (نسبة غير حقيقية) أنظر البدر الطالع جـ ١ ص ٤٨١ .

(٢) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢١٥ وانظر محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٥٩ .

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢١٥ .

(٤) قد ذهب الذين ترجموا له الى تحديد تاريخ غير هذا التاريخ ، مثل السيد محمد صديق خان ، والدكتور أحمد أمين . أنظر الاعلام للزركلى جـ ٢ ص ١٩٠ ، وزعماء الاصلاح فى العصر الحديث للدكتور أحمد أمين ص ١٩٠ ، طبعة سنة ١٩٤٨م ، وأنظر الدكتور ابراهيم هلال " ولاية اللـه " ص ٣ الامام الشوكانى والاجتهاد " ص ٧ .

وفى أثناء رحلة والديه الى بلدهما لزيارة أقاربهما ولد بهجرة شوكان ، وقد أحاطه أبوه بعناية منذ الصغر ، وأعده اعدادا صالحا لما كان له بعد .

نشأ بمدينة صنعاء ، فقرأ القرآن الكريم ، وجوّده على طائفة من مشايخ القراء ، وحفظ العديد من المتون فى الفقه والنحو ، وعلوم اللغة ، وآداب الحديث ، والتاريخ والأدب ، والعروض ، وطالع كثيرا من كتب العلوم والفنون ، وحصل ذلك قبل العاشرة من عمره ، وقبل أن يبدأ عهد الطلب .

ثم اتصل بمشايخه الكبار ، وشرع فى طلب العلم فدرس على البارزين من العلماء فى عصره مختلف العلوم اللسانية ، والدينية ، والعقلية ، والرياضية ، والفلكية ، وظل يأخذ من شيوخه وينهل منهم ، حتى استوى فى كل ما عندهم من كتب ، واستمر يستزيد فى قراءاته الخاصة على ماليس عندهم ، ولم يرحل الشوكانى عن صنعاء الى غيرها فى طلب العلم لعدم اذن والديه له .

وكان الشوكانى فى اثناء دراسته ، يلقى ما يأخذه عن مشايخه الى تلاميذه الذين اجتمعوا عليه ، ولذلك كانت دروسه تبلغ فى اليوم والليلة ثلاثة عشر درسا ، منها ما يأخذه عن أساتذته ، ومنها ما يلقيه على تلاميذه ، واستمر على ذلك مدة .

ثم تفرغ لافادة طلاب العلم ، فكانوا يأخذون عنه فى كل ليلة زيادة على عشرة دروس فى فنون متعددة واجتمع منها فى بعض الأوقات : التفسير ، والحديث ، والأصول ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والفقه ، والجدل ، والعروض ، وكان فى أيام قراءاته على الشيوخ ، وأقرائه لتلاميذه ، يفتى مدينة صنعاء ، ومن وفد اليها بل ترد عليه الفتاوى من الديار التهامية ، وهو فى نحو العشرين من عمره ، حتى كاد الافتاء يدور عليه وحده ، وهو فى هذه السن .

وقد أحاط ــ الى جانب العلوم العربية والدينية ــ بفنون دقيقة ، كعلم الهيئة ، والمناظرة ، والوضع ، والطبيعة ، والرياضية ، برز فيها دون معلم مباشر ، ودرّسها لتلاميذه .

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص من ٢١٥ ــ ٢٢٠ .

وفى الجملة فقد درس الشوكانى دراسة واسعة واطلع اطلاعا يندر أن يحيط به غيره فى مثل هذه السن ، ومن يرجع الى كتبه ككتاب (اتحاف الأكابر باسناد الدفاتر) وغيره ، يدرك مدى ماكان عليه هذا الرجل ، من تنوع فى الثقافة واتساع فى الأفق ، وعمق فى المعرفة ، ولا غرو اذا سمعنا من يترجم له ويعرّف به يقول : مفسر ، محدث ، فقيه ، أصولى ، موٴرّخ ، أديب ، نحوى ، منطقى ، متكلم ، حكيم .(١)

وبذلك قد بلغ الشوكانى مكانلا ، اعترف له بها كبار العلماء فى اليمن وغيره ، حتى كان يسأله كبار السن من مشايخه عن المعضلات ، فيجيب عليها برسائل مستوفاه ، منها مكاتبة العلامة ابراهيم بن محمد بن اسحاق ، ولما جاءه الرد على الصواب قال فيه :

أيا بدر دين الله هنئت أولا ٥ ٥ بفهمك ان الفهم أقوى الدلائل
بلغت به شأوا رفيعا ومحتدا ٥ ٥ ونلت به مالم ينل كل قائل
وحققت بالتحقيق كل مطلب ٥ ٥ وحزت مع التدقيق كل الفضائل
فكم مشكل فى العلم أوضحت حله ٥ ٥ فكان هو الشافى لصدر المسائل
وكم طالب منك الدليل أقمته ٥ ٥ فأغنى عن التوضيح عن كل ناقل
وأرويت ظمآنا بما قد رويته ٥ ٥ وأوضحت فى الابحاث وجه المسائل (١)

٣ ـ حياته العلمية :

وقد أعانته هذه الثقافة الواسعة العميقة ، وذكاوءه الخارق الى جانب اتقانه للحديث الشريف وعلومه ، على الاتجاه وجهه اجتهادية وخلع ربقة التقليد ، وهو دون الثلاثين ، وكان قبل ذلك على المذهب الزيدى ، فصار علما من أعلام الاجتهاد ، وأكبر داعية الى ترك التقليد ، وأخذ الأحكام اجتهادا من الكتاب والسنة ، فهو بذلك يعد من طليعة المجددين فى العصر الحديث ، ومن الذين

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ١ ص ٢٥ .

شاركوا فى ايقاظ الأمة الاسلامية والعربية فى هذا العصر ٠

ولما رأى الشوكانى تحلل الناس من تعاليم دينهم الحنيف ، وعكوفهم على الموبقات والمنكرات ،وأحس منهم وطأة الجمود ،وخطر التقليد ،وشاهد الآثار المرتبة على ذلك من زعزعة العقائد ، واعتناق الخرافات ، و شيوع البدع ، جرّد همته ، وأوقف حياته على تغيير هذه الأوضاع الفاسدة ، وتطهير العقائد الباطلة ، فقام يجاهد بالكتابه للعلماء والحكام ، ويبين ويوضح للعوام من المسلمين ويرفع النصيحة الى السلاطين والى أولى الأمر من ولاة المسلمين فى اليمن وغير اليمن ٠

وفي هذا الصدد يوءلف رسالة بعنوان " الدواء القاتل فى دفع العدو الصائل " بين فيها : أن الفتنة لاتزال بالبلاد ، ولا يتغلب عدوها عليها ، الا بسبب ما عليه اهلها من ذنوب ومعاصى ، عقوبة لهم ، حيث لم ينتهوا عن المنكرات ، وتفريطهم فى العمل بالشريعة المطهرة ، كما وقع من تسليط القرامطة والباطنية ثم الترك والفرنج ونحوهم (١) ٠

وفى هذه الرسالة ، وصف الشوكانى أحوال المجتمع وقسمه الى أصناف ثلاثة :

أولا : الرعايا الذين يأتمرون ، بأمر الدولة ، وينتهون بنهيها ، وأكثر هوءلاء لايحسنون الصلوات ، ومنهم من تركها كلية ، وأهمل الصيام ، وأتى بعضهم بألفاظ كفرية ، واستغاث بغير رب البرية (٢) ٠

ثانيا : وهم بقية البلاد الاسلامية ، التى ليس للدولة عليها سلطان ممن لم يسكنون المدن ، والأمر منهم اشد وافظع ، كلمة الشهادة عندهم قد ضاعت ، والفرائض قد هجرت ، لايحسنون الصلاة ٠

---

(١) الشوكانى رسالة الدواء العاجل فى دفع العدو ص ٦٥ ضمن مجموعة أخرى طبع السنة المحمدية ٠

(٢) المصدر السابق ص ٥٦ ٠

ثالثا : سكان المدن والأمصار ، وان كانوا أقرب الى الخير من غيرهم الا أن غالبهم جهال ، يهملون ما أوجبه الله عليهم ، ولا يحسنون أركان الصلاة ، ويتعاملون في بيعهم وشرائهم بطرق ومسالك بعيدة عن الشرع ، وبالربا يتعاملون ، وبألفاظ كفرية ينطقون ، وفي الصغائر والكبائر من المعاصي ينهمكون ، ومع ذلك هم أقرب الناس وأسرعهم قبولا للتعليم (١) .

ويوجه الشوكاني النصيحة لأئمة المسلمين ، وأعوانهم لتحمل مسئولية وتبعات المجتمع ، في البحث عن مباشرتهم الناس وكيفية معاملتهم ، وتفقد أحوالهم ، واقامة دين الله وشرعه ، بالعدل فيهم .

ولا شك أن تحول الامة الاسلامية الى ماوصف الشوكاني لايكون الا نتيجة حتمية عن نبذ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجمودهم على آراء العلماء ، واتخاذهم التشيع مذهبا ، والتصوف عقيدة ، والبدع والخرافات مسلكا (٢) .

وبهذا قد وقف الشوكاني على مواطن الداء ، وتشخيص الدواء ، وكشف بروحه الاجتهادية عن طرق اصلاح أمر الدنيا والدين ، وهكذا دارت بحوث الشوكاني ومؤلفاته على اساس الكتاب والسنة ، واحياء علومهما ، وهذه هي الروح الاجتهادية التي دعا اليها القرآن الكريم وسار عليها السلف الصالح ، ويمكن أن نتبين أبعاد حياته العلمية والعملية في ثلاثة خطوط بارزة :

١ ـ دعوته الى العقيدة السلفية في بساطتها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ دعوته الى تطهير العقائد وتنقيتها من مظاهر الشرك .

٣ ـ دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد .

أولا : دعوته الى العقيدة السلفية في الأصول :

رأى الشوكاني : " أن طرق المتكلمين لا توصل الى يقين ، ولا يمكن أن تصيب

---

(١) المصدر السابق ص ٧٠ .

(٢) الشوكاني الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد .

الحق فيما هدفت اليه ، لأن معظمها قام على أصول ظنية ، لامستند لها الا مجرّد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة ، فكل فريق منهم قد جعل له أصولا تخالف ماعليه الآخر، وقد أقام هذه الاصول على مارآه عنده هو صحيحا من حكم عقله الخاص المبنى على نظره القاصر ، فبطل عنده ماصح عند غيره .

وقاسوا بهذه الاصول المتعارضة كلام الله ورسوله فى الالهيات ، ومايتصل بها من العقائد (١) .

وبهذه الطرق الكلامية التى بينها الشوكانى والتى تقوم على الظن من غير مستند لها ، أدّت الى التناقض فى الاعتقاد ، واجتماع النقيضين الذى هو محال ، وما هذا الأمر الا الغلط البحت الناشىء عن العصبية يقول الشوكانى :

" أصبح كل منهم يعتقد نقيض ما يعتقده الآخر ، وكل منهم يزعم أن العقل يقتضى ما يعتقده ، وحاشا للعقل الصحيح السالم عن تغير ما فطره الله عليه ، أن يتعقل الشىء ونقيضه ، فان اجتماع النقيضين محال عند جميع العقلاء ، فكيف يقتضى عقول بعض العقلاء أحد النقيضين ، وعقول البعض الآخر النقيض بعد ذلك الاجتماع ، وما هذا الأمر الا الغلط البحت الناشىء عن العصبية . (٢)

ثم جعلوا هذه الأصول معيارا لصفات الرب تعالى ، فأثبتوا لله تعالى الشىء ونقيضه ، ولم ينظروا الى ماوصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله (٣) فوقعوا فى التناقض أمام فهم كتاب الله العزيز ، الى جانب ماذهبوا اليه من الباطل ، كما فعلت المعتزلة فى مبدأ نفى الصفات .

ومن أعظم الادلة على خطر النظر فى كثير من مسائل الكلام ، انك لا ترى رجلا أفرغ فيه وسعه وطول فى تحقيقه باعه الا قرع سن الندامة عند بلوغ الغاية ، كما

---

(١) الشوكانى كشف الشبهات عن المشتبهات ص٢٢ ، ٢٣ ، وأنظر التحف فى مذهب السلف للشوكانى ضمن الرسائل السلفية . ص٦ .

(٢) المصدر السابق ص٢٢ ، ٢٣ ، وأنظر الشوكانى التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص٦ ، ٧ .

(٣) الشوكانى التحف فى مذهب السلف ص٧ .

وقع من الجوينى ، والرازى ، وابن أبى الحديد ، والشهرستانى ، والغزالى ، وأمثالهم ممن لا يأتى عليهم الحصر فان كلماتهم نظما ونثرا فى الندامة (١) .

وما تصوره الشوكانى عن علم الكلام فى أنه لا يكسب الناس الايمان عن طريق الأدلة الجدلية ، هو ما قرره الغزالى وانتهى اليه ابن رشد ، أن هذه الطرق لا تصلح للجمهور ولا للعلماء ، وذلك لبعدها فى أن تكون طرقا نظرية يقينية ، ولا طرقا شرعية يقينية ، وهى الطرق التى جاء بها القرآن الكريم ليفهم طريقها الخاصة والعامة (٢) ومن هنا صرّح الغزالى " بأن الخوض فى علم الكلام آفة ، وأن الواجب الرجوع الى طريقة السلف لأن مذهبهم هو الحق (٣) .

ويقدم الشوكانى ما يعتبر من أهم الركائز والأسس التى يقوم عليها مذهب السلف فى العقيدة ، وهو ما قاله الله تعالى فى كتابه الكريم : " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٤) ، وقوله تعالى : "ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء " ، " ولا يحيطون به علما " (٥) فقد اشتملت هذه الكلمات على فصل الخطاب ، وتضمنت ، اثبات صفات البارى ، ونفى مماثلة هذه الصفات للحوادث ، وكل كلمة منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ، ودعاوى التحقيق مشوب بشعبه من الجهل ، وذلك لان الله تعالى أخبرنا أنهم لا يحيطون به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلا شك أن صحة ذلك متوقفة على الاحاطة به ، وقد نفيت عن كل فرد من الافراد (٦) .

---

(١) الشوكانى كشف الشبهات ضمن الرسائل السلفية ص ١٩ طبعة سنة ١٣٤٨هـ .
(٢) ابن رشد مناهج الادلة فى عقائد الملة ص ١٤٨ ، ١٤٣ .
(٣) الغزالى الجام العوام عن علم الكلام ص ١٣ ، ٣٣ .
(٤) سورة الشورى : آية ١١ .
(٥) سورة طه : آية ١١٩ .
(٦) الشوكانى التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٩ .

وقد ندم الشوكانى على تضييع جزء ا من عمره فى قراءة المختصرات والمطولات من علم الكلام ، وكانت حصيلته بعد هذه الدراسة الحيرة والخيبة لذلك يقول : " قلت هذا بعد تضييع برهة من العمر من الاشتغال به ، والاكباب على مطالعة كثير من مختصراته ومطولاته ، حتى قلت عند الوقوف على حقيقته من أبيات منها :

وغاية ماحصلته من مباحثى ٥٥٥ ومن نظرى من بعد طول التدبر
هو الوقف مابين الطريقين حيرة ٥٥٥ فما علم من لم يلق غير التحير
على أننى قد خضت منه غماره ٥٥٥ وماقنعت نفسى بغير التبحر (١)

ثانيا : دعوته الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك :

لقد قام الشوكانى يقوّم الانحرافات التى أدخلها غلاة الشيعة والصوفية على العقيدة الاسلامية ، من مظاهر الشرك والوثنية ، فقد آلمه وأحزنه ما رآه من رفع القبور ، وبناء القباب وتجميلها على الأموات من الأئمة والاولياء ، واجتذاب العامة الى زيارتها والتمسح بها والطواف حولها ، والتوسل بأصحابها ، واعتقادهم فى الاموات أن لديهم القدرة على الضر والنفع ، وشيوع هذا فى الناس ، وتأصله فيهم ، وميلهم بهذا عن دعوة اللـه الى دعوة هؤلاء الأموات والعكوف على قبورهم ، وتعظيمهم ، والذبح والنذر لهم .

فقام الشوكانى ينافح ويجاهد معلنا أن هذا هو الكفر والشرك الصراح ، وأن هذا لايتفق مع شهادة " أن لا اله الا اللـه وأن محمدا رسول اللـه " لأن مقتضى هذه الشهادة ، اخلاص التوحيد للـه تعالى ، ولايتم هذا الاخلاص الا بالتوجه الى اللـه بالدعاء والاستعانة والنداء والرجاء والخوف والنذر والذبح للـه وحده لاشريك له فى ذلك كما قال تعالى : " وأن المساجد للـه فلا تدعوا مع اللـه أحدا " (٢) وقوله تعالى : " وعلى اللـه فليتوكل المؤمنون " (٣)

---

(١) الشوكانى المصدر السابق ص١٠ .
(٢) سورة الجن : آية : ١٨ .
(٣) سورة ابراهيم : اية : ١١ .

والدعاء مخ العبادة قال تعالى : " ادعونى أستجب لكم " (١)

" ولا شك أن من اعتقد فى ميت أو حىّ من الأحياء أنّه يضره أو ينفعه اما استقلالا أو مع اللـه تعالى أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به فى أمر من الامور التى لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد للـه ، ولا أفرده بالعبادة " .

" ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون اللـه أو معه حجرا أو شجرا أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية ، وبين أن يكون انسانا من الاحياء أو الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين " (٢)

ويندد الشوكانى بمظاهر الشرك الذى وقع فى بلاد اليمن كما وقع فى غيرها من النداء والاستغاثة بغير اللـه يقول : " ومن أنكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم فليخبرنا ما معنى ما نسمعه فى الاقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيل ، يازيلعى ! يا فلان يا فلان . وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك ؟ ، وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم ، ففى كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه " (٣)

ثم بيّن الشوكانى أدلة النهى عن رفع القبور والقباب وبناء المساجد عليها ، واتخاذ السرج لها " فالرسول صلى اللـه عليه وسلم نهى عن رفع القبور ، وبناء المساجد عليها واتخاذ السرج ، فقد أخرج مسلم ، عن أبى الهياج الأسدى قال : " الا بعثك على ما بعثنى عليه رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم الا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبرا مشرفا الا سويته " (٤)

ولا شك أن تشييد القبور ورفع القباب عليها وتجميلها من شأنه أن يوحى بالعظمة فى نفس الزائر من العوام ، فيقع فى الكفر من حيث لا يشعر . فلهذا

---

(١) الشوكانى الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد ص ١٥ .

(٢) المصدر السابق ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠ ج .

(٤) الشوكانى شرح الصدور ص ٨ وأنظر الدر النضيد ص ١٤ .

نهى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم عن اضاءة القبور أو بنائها بالجص ومايشبهه .

وقد جهر الشوكانى بهذه الدعوة للعوام والخواص ومما كتبه يشنع فيه علـى بعض الخواص ، ممن نسوا كتاب اللـه وسنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم ، لذلـك نراه يرد بشدة على "يحيى بن حمزة " (١) فى قوله : لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والملوك لاستعمال المسلمين " .

فأعلن الشوكانى : أن هذا كان أول نداء بهذه البدعة صدر فى الديـار اليمنية ، وقد تابعه المؤلفون فى الفقـه بهذا التصريح والجواز تقليدا لـه ، واقتداء به ، فأبطل هذه الفتوى بأدلتها من الكتاب والسنة بمثل قوله صلى اللـه عليه وسلم " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد " (٢)

وبرد الشوكانى على "يحيى بن حمزة " وأمثاله دليل واضح على أن التقليـد وترك الاجتهاد كان له أثره السيء ونتيجته الوخيمة فى تشويه العقيدة ، وأن الرجوع الى الكتاب والسنة فى كل قول أو عمل أو اعتقاد هو الصحيح .

وقد أخذت هذه الدعوة الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك حيزا كبيرا من حياة الشوكانى وجهاده واجتهاده ، حتى صار فيها فى اليمن ،كابن تيمية فى مصر والشام ،وكابن عبد الوهاب فى الحجاز وضواحيها ولاقى من جرائها الكثيـر من المتعصبين ، والمقلدين ، وامتدحه كثير من العلماء ،على تمسكه بالكتاب والسنـة والدعوة اليها ، وعانده من أبناء عصره فى دعوته الجهلة والمتعصبون ، حتى إشار بعضهم الى خليفة العصر أن يحبسه أو يخرجه من موطنه ، كما اشاروا باحـراق جميع كتبه ، ولكن عناية اللـه لاهل العلم ،ودفاعه عن ورثة الانبياء ، وقاه اللـه تعالى شر هوءلاء .

---

(١) من كبار أئمة الزيدية فى اليمن (ولد سنة ٦٦٩ هـ وتوفى سنة ٧٤٧هـ) .

(٢) الشوكانى شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ٩ وما بعدها .

ومن قوله ينعى على قومه لمعاداتهم السنة ، وعدائهم الدعوة الى الحق يقول :

يافرقة ضيّعت أعلامها سفها ٥٥ وصيرت رأس أهل العلم كالذنب
ماقام رب علوم فى دياركم ٥٥ الا وجرعتموه أكؤس الكرب
خلائق قد سقاكم سوء مشربها ٥٥ أسلاف سوء لكم فى سالف الحقب
من قال قال رسول الله بينكم ٥٥ غدا بذا عندكم من جمله النصب
فان يقل قال اشياخ الفروع كذا ٥٥ قلتم أصبت وفى التحقيق لم يصب
جعلتم المذهب الزيدى بينكم ٥٥ على جلالته أعجوبة العجب
عاديتم السنة الغراء فكان بذا ٥٥ دعوى خصومكم موصولة النسب (١)

...... الخ وهى طويلة .

ثالثا : دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد :

وقد خص الشوكانى هذا المبحث بمؤلفات عظيمة مثل كتاب أدب الطلب ومنتهى الأرب ، والقول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد ، كما تعرض الشوكانى لهذا الموضوع فى كثير من كتبه ، فى التفسير كلما سنحت له الفرصة ، منددا بتقليد السادة والآباء والأجداد كما هو واضح فى كتابه ارشاد الفحول ، وفى بعض الرسائل كالدر النضيد فى إخلاص كلمة التوحيد ، وبغية المستفيد فى الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد .

فالمعروف أن المقلد ، لا يسأل عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما يسأل عن مذهب امامه فقط ، واذا جاوز ذلك الى السؤال عن الكتاب والسنة فليس بمقلد ، لقوله تعالى : " فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " (٢) فالآية حجة على المقلدين ، وليست بحجة لهم ، لان المراد : أنهم يسألون أهل الذكر ليخبروهم به ، والجواب من المسئولين أن يقولوا قال الله تعالى : كذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذا ، فيعمل

---

(١) د . محمد حسن الغمارى الشوكانى مفسرا ص ٦٨ .
(٢) سورة الانبياء : آية : ٧ .

السائلون بذلك وهذا غير ما يريده المقلد المستدل بالآية الكريمة فانه انما استدل بها على جواز ماهو فيه من الأخذ بأقوال الرجال من دون سؤال عن الدليل ، فان هذا هو التقليد ، ولهذا عرفوه : بأنه قبول قول الغير من دون مطالبة بحجة " (١)

وعلى هذا السبيل دعا الشوكانى ليحرر الناس من الجهل المطبق ، فى عصر كانت مدارسه الاسلامية فى كل قطر تعتبر الخروج عن نص المذاهب ترديا فى هوة الضلال ، ومن شأن هذا الجمود ، وعدم التفكير أن يفكك روابط الدين ، ويقطع أواصر عروته .

وبهذه الدعوة التى قام بها الشوكانى مع من دعا بها من قبل ومن بعد ، كان خلاص المجتمعات من الفساد فى العقيدة ، والتقليد بدون النظر ، واهمال دعوة الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا ذهب الشوكانى : " الى أن ترك الاجتهاد من القادر عليه كفر وشرك ، لأنه تعطيل لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحلال لقول صاحب المذهب محلها . (٢)

فالشوكانى فى هذا وان كان قد تشدد فى الحكم على المقلد القادر على الاجتهاد بالشرك الا أنه يعبر عن الروح الاجتهادية لدى الأئمة السابقين ، فالغزالى (٣) يوجب الاجتهاد على القادر عليه ، لانه غير عاجز ، فينبغى أن يطلب الحق بنفسه ، فالعالم المقلد قادر على معرفة ما يعرفه امامه الذى يقلده ، ومن الممكن أن يتوصل بنفسه الى مايريد ، وكيف يبنى الامر على عماية كالعميان ؟

---

(١) الشوكانى القول المفيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ١١١ .

(٢) الشوكانى القول المفيد فى ادلة الاجتهاد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ١١

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وصاحب كتاب احياء علوم الدين المشهور .

وهو بصير بنفسه ؟ " (١)

وقد بالغ المقلدة فى تعصبهم لأئمتهم ، حتى اعتقدوا فيهم العصمة عن الخطأ فى الاحكام ، فحمل عليهم الشوكانى وندد بهم مبينا أن المجتهد نفسه لايدعى العصمة ولا يعدون الحق وقفا عليهم .

وقد ذلل الشوكانى الصعاب أمام المجتهد فبين أن الاجتهاد ليس بالأمر الذى يتطلب تفوقا فى الاحاطة بعلوم الاجتهاد ، وعلم السنة ، وانما يكفى فيه أن يكون على علم من لغة العرب ، بحيث يستطيع أن يفهم كتاب الله العزيز ، وبعض مهمات كليات أصول الفقه ، والاطلاع على كتب السنة المطهرة التى جمعها الأئمة المعتبرون كالصحيحين وما يلتحق بهما . (٢)

وقد رد الشوكانى على مقلدى العالم الاسلامى بعبارات الائمة كمالك وأبى حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل وغيرهم من علماء الاجتهاد الذين قالوا : اذا صح الحديث فهو مذهبهم أو بعبارة أخرى بهذا المفهوم ، ومن ثم نهوا عن تقليدهم " (٣) .

وبعكوف المقلدين واصرارهم رأى الشوكانى أنهم قد خرجوا على منطق الحياة ، وسنن الكون لادعائهم أن الله تعالى قد رفع ما تفضل به على من قبلهم من الائمة من كمال الفهم ، وقوة الادراك وبلوغ الاستعداد للمعارف ، وهذه دعوى من أبطل الباطلات ، بل هى جهالة من الجهالات ، فان نهاية العالم ليست كبدايته ، بل هو سائر فى طريق التطور ، والكمال ، والنضج العقلى ، عن طريق ازدياد المعارف وتطورها . (٤)

---

(١) الغزالى المستصفى فى علم الأصول ص ١٢٢ .

(٢) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٢١ .

(٣) الشوكانى القول المفيد ص ٣٣ .

(٤) الشوكانى ارشاد الفحول ص ٢٢٣ ، والبدر الطالع جـ ٢ ص ٨٤ ، ٨٥ .

ووجه التيسير الذى ذكره الشوكانى أمام المجتهد فى هذا العصر والذى يأتى بعده واضح من أن تفاسير الكتاب العزيز قد دونت ، وكذلك كتب السنة المطهرة ، وتكلم الائمة فى التفسير ، والتجريح والتصحيح والترجيح ، بما هو زيادة على ما يحتاج اليه المجتهد (١) .

وبهذه العبارات التى وضحت لنا أراء الشوكانى فى التقليد ، وأبرزت أهمية الاجتهاد ، وأظهرت أنه عالم عامل متمكن ومقتنع بما يقول ، نستطيع أن نحكم على الشوكانى أوله بقوة اليقين ، وشدة التدين ، والمحافظة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله قولا وعملا وتطبيقا ، ولذلك نراه أوقف بعض كتبه على بيان وجوب الاجتهاد وعدم جواز التقليد كما بينت ذلك فى بداية الموضوع .

ومن أقوال الشوكانى وأشعاره فى التنديد بالمقلدين وتصوير أحوالهم تسمع فى كتابه " أدب الطلب " هذه الأبيات فيقول :

يا غارقين بشوءم الجهل فى بدع ٥٥٥ ونافرين عن الهدى القويم هدوا

ما باجتهاد منى فى العلم منقصة ٥٥٥ النقص فى الجهل لا حياكم الصمد

لا تنكروا موردا عذبا لشاربه ٥٥٥ ان كان لابد من انكاره مردوا (٢)

٤ ـ توليه للقضاء العام :

ظل الشوكانى متجمعا عن بنى الدنيا ، فما صحب أحدا من أهلها ، ولا خضع لمطلب من مطالبها ، راغبا فى مجالسة أهل العلم والأدب ، والاستفادة منهم وافادتهم (٣) ، وأعطى نفسه تفرغا للاطلاع ، والتأليف ، وكثرة الانتاج والتدريس ، وكفاه والده وسائل العيش وأسباب الحياة فترة طويلة ، وظل منعكفا عن السياسة والحكم ، منعزلا عن طلاب الدنيا كما تكلم عن نفسه .

---

(١) الشوكانى الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٥٧ .

(٢) الشوكانى الاجتهاد والتقليد تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٥٩ .

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٤ .

وظل هكذا الى أن أختير للقضاء وهو فى السادسة والثلاثين من عمره سنة ١٢٠٩هـ ، فتولى القضاء العام فى مدينة صنعاء ، خلفا لكبير القضاء باليمن القاضى " يحى بن صالح الشجرى السحولى الذى كان مرجع العامة والخاصة ، وعليه المعول فى الرأى والاحكام ، ومستشار الامام والوزارة .

وبعد موت القاضى المذكور بنحو أسبوع لم يشعر الشوكانى الا بطلاب الخليفة يطلبونه لتولى القضاء ، فتردد لفترة طويلة ، ثم وجد الحاحا من كبار العلماء والاعيان مجمعين على أن الاجابة واجبة ، خشية أن يدخل فى هذا المنصب من لا يوثق بدينه وعلمه ، فقبل الشوكانى ذلك مستعينا بالله ومتوكلا عليه (١) .

وظل الشوكانى متوليا القضاء الأكبر لأئمة ثلاثة هم :

أولهم : المنصور على بن المهدى عباس ، ولد سنة ١١٥١هـ وتوفى سنة ١٢٢٤هـ ومدة خلافته ٢٥ سنة .

ثانيهم : ابنه المتوكل على بن أحمد المنصور على ولد سنة ١١٧٠ هـ وتوفى سنة ١٢٣١هـ وكان حازما نبيلا ، ومدة خلافته نحو سبع سنوات .

ثالثهم : المهدى عبد الله ، ولد سنة ١٢٠٨هـ وتوفى سنة ١٢٥١هـ ومدة خلافته عشرين سنة .

وقد كان تولى الشوكانى للقضاء كسبا كبيرا للحق والعدل ، فقد أقام سوق العدالة ، وأنصف المظلوم من الظالم ، وأبعد الرشوة ، وخفف من غلواء التعصب ، ودعا الناس الى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشغله أو يغيره ، منصب القضاء والسياسة أن يسير فى الناس احسن سيرة ، كما كان متمتعا بين رجال الحكم بشخصية قوية ، مستعينا بهم على تنفيذ أوامر الشرع حتى على أقرب الاقربين اليهم (٢) .

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ١ ص ٤٦٥ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٦٥ .

الفصل الرابـــــــــع

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

" أساتذة الشوكانى وتلاميذه ومؤلفاتـــه "

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

(١) أساتذته .

(٢) تلاميـذه .

(٣) مؤلفاته .

(أ) المخطوطـــــــة .

(ب) المطبوعـــــــة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxx

xxxxx

١ ـ أساتذته :

نذكر منهم :

١ ـ والده علي بن محمد الشوكاني (١) .

٢ ـ السيد عبد الرحمن بن قاسم الميداني (٢) .

٣ ـ العلامة أحمد بن عامر الحدائي (٣) .

٤ ـ السيد العلامة اسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الامام القاسم بن محمد (٤) .

٥ ـ العلامة القاسم بن يحي الخولاني (٥) .

٦ ـ العلامة عبد الله بن اسماعيل النهمي (٦) .

٧ ـ العلامة الحسن بن اسماعيل المغربي (٧) .

٨ ـ السيد الامام عبد القادر بن أحمد الكوكباني (٨) .

٩ ـ السيد العلامة علي بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن أحمد بن عامر (٩) .

---

(١) توفي سنة ١٢١١ هـ .

(٢) توفي سنة ١٢١١ هـ ،، وكان شيخ الشوكاني في الفروع .

(٣) توفي سنة ١١٩٧ هـ ، وكان قد قرأ عليه الشوكاني في الفقه والفرائض ، ووصفه الشوكاني بالزهد ، والمكانة في الدين .

(٤) توفي سنة ١٢٠٩ هـ ، وكان شيخ الشوكاني في العربية .

(٥) توفي سنة ١٢٠٦ هـ ، قال عنه الشوكاني : كان شيخنا الأكبر لازمته وانتفعت به في أوائل الطلب في النحو والصرف والمنطق والاصول والمصطلح .

(٦) توفي سنة ١٢٢١ هـ ، قرأ الشوكاني عليه النحو والصرف والمنطق والحديث والاصول ، وصفه الشوكاني بالكرم وحسن الخلق .

(٧) توفي سنة ١٢٠٨ هـ ، درس عليه شرح الشمسية للعطف وحاشيته للشريف .

(٨) ينتهي نسبه الى الامام المهدي أحمد بن يحي ، قال الشوكاني : لم تر عيني مثله في كمالاته توفي سنة ١٢٠٧ هـ .

(٩) توفي سنة ١٢٠٧ هـ ، ذكره الشوكاني بأنه كان اماما في جميع العلوم ، محققا لكل فن .

١٠ ـ السيد العارف يحى بن محمد الخولى (١) ٠

١١ ـ القاضى عبد الرحمن بن حسن الأكوع (٢) ٠

١٢ ـ صديق على المزجاجى العلامة الحنفى (٣) ٠

---

(١) ولد سنة ١١٦٠ هـ وهو شيخ الشوكانى فى علم الفرائض زوالوصايا ، والضرب والمساحة ، وتوفى سنة ١٢٤٧ هـ ٠

(٢) توفى سنة ١٢٠٦ هـ ٠

(٣) ولد سنة ١١٥٠ هـ ، وتوفى سنة ١٢٠٩ هـ شيخ الشوكانى بالاجازة فى الحديث وغيره ٠

ثانيا : تلاميذه :

وهم جم غفير ولكن نكتفى بطائفة منهم :

١ ـ السيد محمد بن محمد زيارة الحسنى اليمنى الصنعانى الذى ترجم للشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) والذى ساهم فى نشر بعض مؤلفات الشوكانى فى مصر ، وهو من الجيل الثانى من تلاميذ الشوكانى ، توفى سنة ١٣٨١ هـ .

٢ ـ أحمد بن عبد اللـه الضمدى ، ولد سنة ١١٧٤ هـ وتوفى سنة ١٢٢٢ هـ أخذ عن الشوكانى وغيره ولكن صلته به كانت أكثر ، صار المرجع اليه فى التدريس، والافتاء فى " ضمد " وما حولها ، وله أسئلة عديدة الى لستاذه الشوكانى ، أجاب له عنها فى رسالة سماها " العقد المنضد " فى جيد مسائل علامة " ضمد " (١) وله مؤلفات . (٢)

٣ ـ القاضى محمد بن حسن الشجنى الذنارى ، ولد سنة ١٢٠٠ هـ وسمع على الشوكانى ، وأجازه اجازة علمية عامة ، ويعتبر أول من ترجم للشوكانى بافاضة ومن جميع النواحى فى كتابه " التقصار " وكان شاعرا أديبا ، وتوفى سنة ١٢١٦هـ (٣)

٤ ـ (ابنه) القاضى أحمد بن محمد الشوكانى ولد فى سنة ١٢٢٩ هـ وكان له الاشتغال التام بمؤلفات والده ، حتى حاز من العلم السهم الوافر ، وانتفع به الكثير من الأكابر ، وتولى القضاء العام بمدينة صنعاء ، وله مؤلفات مفيدة . (٤)

٥ ـ القاضى عبد اللـه بن محمد العنسى الصنعانى ولد سنة ١١٩٠ هـ وتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، قرأ على الشوكانى فى غالب الفنون وفى بعض مؤلفاته ، ومدحه الشوكانى فأطنب . (٥)

---

(١) البدر الطالع جـ ١ ص ٧٧ ، وسماها الشوكانى فى رواية أخرى (عقود الزبرجد) وانظر البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) نيل الوطر جـ ١ ص ١٣٥ ، والنقصار ص ١٠٩ .

(٣) نيل الوطر جـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٥ المطبعة السلفية .

(٥) الشوكانى البدر الطالع جـ ١ ص ٣٩٩ ، ونيل الوطر جـ ١ ص ١٣٥ ، والنقصار ص ١٠٦

٦ ـ السيد عبد اللـه بن عيسى الكزلباني ولد سنة ١١٧٠هـ وتوفى سنة ١٢٢٤هـ ، قال موءلف " نفحات العنبر " أنه ولد سنة ١١٧٠هـ وشارك الشوكاني في الأخذ على بعض مشايخه ، وقرأ عليه في النحو والمعاني ، والبيان والصرف والحديث ، وحدث بينه وبين الشوكاني مناظرة ، وألف رسالة سماها " ارسال المقال الى حل الاشكال " وقد أجابه الشوكاني برسالة سماها " تفويق النبال الى ارسال المقال " وله كتاب سماه " الحدائق " وآخر سماه " اللواحق بالحدائق " (١) .

٧ ـ على بن أحمد بن الحسن الظفرى الحسنى الصنعاني ولد سنة ١٢٠٠هـ وتوفى سنة ١٢٧٠هـ ، قرأ على أعيان صنعاء ، وعلى الشوكاني في غالب الفنون من نحو وصرف وعلوم البلاغة والمنطق وكثيرا من كتب الحديث ، وتولى القضاء بالحديدة وأثنى عليه الشوكاني وغيره بالفهم والعلم (٢) .

٨ ـ على بن اسماعيل المتوكل الشهاري ، ولد سنة ١١٥١هـ وتوفى سنة ١٢٣٠هـ ، قرأ على اعيان صنعاء ومنهم الشوكاني في نيل الاوطار ، والسيل الجرار ، وفتح القدير ، وله كتاب سماه " السفينة " كله ديوان شعر قال الشوكاني : في الذروة من البلاغة (٣) .

٩ ـ على بن يحى ابو طالب الحسني ، ولد سنة ١١٥٩هـ وتوفى سنة ١٢٢٦هـ ، قرأ على أعيان صنعاء كما قرأ على الشوكاني في كتب الحديث ، والنحو والتفسير والمنطق وغير ذلك ، وكان متصدرا للتدريس في الصحيحين والسنن والتفسير والفقه (٤) .

---

(١) الشوكاني البدر الطالع جـ ١ ص ٣٩١ ، ونيل الوطر جـ ٢ ص ٩٢ .

(٢) نيل الوطر جـ ٢ ص ١١٧ والتقصار ص ١١٤ .

(٣) الشوكاني البدر الطالع ـ جـ ١ ص ٤٣٣ ، ونيل الوطر جـ ٢ ص ١٢٥ والنقصار ص ١١٥ .

(٤) الشوكاني البدر الطالع جـ ١ ص ٥٠٢ ، ونيل الوطر جـ ٢ ص ١٦٥ .

١٠ ـ السيد القاسم بن احمد بن عبد اللـه نعمان ، ولد سنة ١١٦٦هـ وتوفى سنة ١٢٣٩هـ ، قرأ على الكثير في فنون عديدة ثم اتصل بالشوكانى فقرأ عليـه العربية والحديث ، وله نظم رائق وانتقاد على الصوفية ، وجهه الى شيخـه الشوكانى رحمه اللـه تعالى (١) .

ونكتفى بذكر هؤلاء والا فهم مئات بل آلاف .

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٣١ ، ونيل الوطر جـ ٢ ص ١٧٣ ، والنقصار ص ١١٨ .

ثالثا : كتبه ومؤلفاته التى لاتزال مخطوطة :

١ ــ الابحاث البديهة فى وجوب الاجابة الى أحكام الشريعة .

٢ ــ الابحاث الوضية فى الكلام على حديث الدنيا رأس كل خطية .

٣ ــ ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع .

٤ ــ ابطال دعوى الاختلال فى حل الاشكال .

٥ ــ اتحاف المهرة فى الكلام على حديث لاعدوى ولا طيره . (٢)

٦ ــ الاثبات فى التقاء أرواح الأحياء والأموات . (٣)

٧ ــ ارشاد الاعيان الى تصحيح مافى عقود الجمال .

٨ ــ أدب الطلب ومنتهى الأرب . (٤)

٩ ــ ارشاد الغبى الى مذهب اهل البيت فى صحب النبى . (٥)

١٠ ــ ارشاد المستفيد الى دفع كلام ابن دقيق العيد . (٦)

١١ ــ اشراق الطلعة فى عدم الاعتداء بالركعة عن الجمعة . (٧)

١٢ ــ اشراق التبرين فى بيان الحكم اذا اختلف أحد الخصمين . (٨)

١٣ ــ اطلاع أرباب ذوى الكمال على مافى رسالة الجلال من الاختلال .

---

(١) النقصار ص٢٤ .

(٢) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٤ مجاميع المتوكلية .

(٣) مكتبة الجامع بصنعاء رقم ٢٢ من الفتح الربانى مجاميع المتوكلية .

(٤) حققه ونشره مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .

(٥) يوجد بالفتح الربانى بمكتبة جامع صنعاء تحت رقم ٥٤ مجاميع .

(٦) الشوكانى مقدمة فتح القدير ص٢٢ ، والبدر الطالع ج٢ ص٢٢٠ .

(٧) الشوكانى الفتح الربانى ٢٨ من مجموع ٨٣ مكتبة جامع صنعاء .

(٨) المصدر السابق وأنظر البدر الطالع ج٢ ص٢٢٠ .

١٤ـ افادة السائل فى العشر المسائل (١) •

١٥ـ اقناع الباحث بدفع ما ظنه دليلا على جواز الوصية للوارث (٢) •

١٦ـ الايضاح لمعنى التوبة (٣) •

١٧ـ ايضاح الدلالات لأحكام الخيارات (٤) •

١٨ـ ايضاح الدلائل على ما يجوز بين الامام والمأموم من الحائل (٥) •

١٩ـ ايضاح القول فى اثبات العدل (٦) •

٢٠ـ بحث فى الاستدلال على كرامات الأولياء (٧) •

٢١ـ بحث فى الاستبراء ، ضمن الفتح الربانى رقم ١ •

٢٢ـ بحث فى الاضرار بالخيار رقم ٥٦ مجاميع متوكلية •

٢٣ـ بحث فى التصوير بعدم جوازه (٨) •

٢٤ـ بحث فى أن اجابة الدعاء لاينافى القضاء (٩) •

٢٥ـ بحث فى بيع المشاع من تعيين الفتح الربانى لا رقم ٣٨ •

٢٦ـ بحث فى بيع وقف الذرية ضمن مجموع ٥٠ متوكلية رقم ٢٣ •

٢٧ـ بحث فى تبادر اللفظ عند الاطلاق الفتح الربانى رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس بصنعاء •

٢٨ـ بحث فى سؤال يتعلق بالصلاة رقم ٤٥ من مجموع ٥٩ متوكلية •

---

(١) من مجموع ٥٩ متوكلية •

(٢) رقم ٢٤ الفتح الربانى من مجاميع المتوكلية •

(٣) ضمن مجاميع المتوكلية رقم ٥٩ •

(٤) ضمن الفتح الربانى رقم ٨٣ بمكتبة جامع صنعاء •

(٥) المصدر السابق رقم ٣ •

(٦) المصدر السابق رقم ٩ •

(٧) رقم ٤٠ من مجموع ٥٩ متوكلية •

(٨) ضمن مجموع ٨٣ •

(٩) رقم ٤١ من مجاميع ٥٩ ، وذكره فى ولاية اللـه تعالى •

٢٩ـ بحث فيما اشتهر على السن الناس أنه لاعهد لظالم • الفتح الربانى ٣٨ •

٣٠ـ بحث فى السجود المنفرد ضمن (٥٠) متوكلية •

٣١ـ بحث فى الكلام على الذكر والجهر به ، مجموع ٨٣ مجاميع الجامع المقدس •

٣٢ ـ بحث فيما تفعل الفاء من الانشاءات ضمن مجموع (٥٠) متوكلية ، ضمن الفتح الربانى •

٣٣ـ بحث فى الرد على الزمخشرى فى استحسان بيت المرية فى سورة سبحان رقم ٣ ٨ مجموع ٥٠ متوكلية •

٣٤ـ بحث فى التصوف تحت اسم الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات فى ذوى الالحاد •

٣٥ـ بحث فى تحريم الزكاة على الهاشمى الفتح الربانى رقم ٩ من مجاميع رقم (١) الجامع المقدس •

٣٦ ـ بحث فى حال الاموات فى البرزخ الفتح الربانى رقم (١) مجاميع فهرس قديم •

٣٧ـ بحث فى امتناع الزوجة حتى يسمى المهر رقم (١) من الفتح الربانى ٨٣ متوكلية •

٣٨ ـ بحث فى نجاسة الدم من الخيل ومن بنى آدم الفتح الربانى ٢٦ مجاميع (١) متوكلية •

٣٩ـ بحث فى الربا رقم ٣٠ مجاميع رقم (١) •

٤٠ـ بحث فى حديث انما الاعمال بالنيات الفتح رقم ٩ ـ/ ٥٩ من مجاميع متوكلية •

٤١ـ بحث فى اختلاف النقد المتعامل به الفتح الربانى رقم ٣٨ ـ مجاميع متوكلية • (١)

٤٢ـ بحث فى شرح حديث فدين الله أحق أن يقضى ، الفتح الربانى ٣٨ •

٤٣ـ بحث فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم هل يكفى الرمز اليها خطا أو لابد من كتبها كاملة •

٤٤ـ بحث فى الصوم لى وأنا أجزى به • (٢)

٤٥ـ الأبحاث الحسان المتعلقة بالعارية والشركة والتأجير والرهان الفتح الربانى ٤٥ •

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ص ٢٢٣ •

(٢) النصار ص ٢٣ مصور •

٤٦ ـ بحث هل الأمثال خير من الأدب أو العكس ضمن الفتح الرباني ٨٣ .

٤٧ـ بحث في الطلاق المشروط ضمن الفتح الرباني رقم ١٧ .

٤٨ ـ بحث فيمن وقف على أولاده دون زوجته ضمن الفتح الرباني ٦٣ .

٤٩ـ الأبحاث الوفية في الشركة العربية (١) .

٥٠ ـ بحث في العمل بالخط ضمن الفتح الرباني رقم ٢٧ .

٥١ـ بحث في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها الفتح الرباني رقم ٨٣ الجامع المقدس .

٥٢ ـ بحث في رضاع الكبير هل يقتضي التحريم أو لا ؟ الفتح الرباني ٣٢ .

٥٣ ـ بحث في العين المسروقة اذا وجدها المالك الفتح الرباني ٤٨ .

٥٤ ـ بحث في اخراج أجرة الحاج من رأس المال ولم يجزه الا التبرع الورثة الفتح الرباني رقم ٨٣ .

٥٥ ـ بحث في قاذف الرجل وما عليه من الحد المصدر السابق .

٥٦ ـ بحث في مسائل الوصايا التي يترتب عليها الضرر الفتح الرباني ٥٠ رقم ٨٣ متوكلية .

٥٧ ـ بحث في نقض الحكم اذا لم يوافق الحق وقد بين المؤلف أنه ينقض كما في كتاب عمر لأبي موسى في القضاء الفتح الرباني رقم ٨٣ متوكلية .

٥٨ ـ بحث في صلاة السفر ، وهو جواب عن سؤال ورد من بعض علماء زبيد الفتح الرباني رقم ٨٣ مجاميع متوكلية .

٥٩ ـ بحث في حفلة المولد النبوي ، قال : لم أجد في جوازه دليلا وأول من اخترعه السلطان المظفر أبو سعيد في القرن السابع ، وأجمع المسلمون أنه بدعة وفي آخره حرره محمد بن علي الشوكاني سنة ١٢٠٤هـ (٢) .

---

(١) موجودة طرف الدكتور محمد حسن الغماري بخط القاضي علي بن أحمد الجنداري في ١٨ ص مقاس ١٦ / ٢٠ سم .

(٢) الفتح الرباني رقم (٦) من مجموع ٨٣ مجاميع المقدس .

٦٠ ـ بحث فى وجوب الامساك اذا دخل رمضان ولم يعلموا ذلك الا نهارا هل يجب الامساك أولا .

٦١ ـ بحث فيمن أجبر على الطلاق فقال : فيه مذهبان الأول : يقع ، والثانى : لايقع وهومذهب أهل البيت وهو الراجح . الفتح الربانى ٩/ رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس .

٦٢ ـ بحث فى التعليق على الفوائد لابن القيم .

٦٣ ـ بحث فى تكثير الجماعات فى مسجد واحد الفتح الربانى رقم (١) الجامع المقدس .

٦٤ ـ بحث فى الحد التام والحد الناقص ، المصدر السابق .

٦٥ ـ بحث فى الرد على من قال : ان علوم الناس تسلب عنهم فى الجنة ، المصدر السابق .

٦٦ ـ بحث فيما يقتضى التحريم من الرضاع ، واختار أنه لايحرم الا خمس رضعات المصدر السابق .

٦٧ ـ بحث فى المحاريب هل هى بدعة أولا ؟ المصدر السابق .

٦٨ ـ بحث فى العمل بالمرقومات الفتح الربانى رقم ٣ ٨ مجاميع الجامع المقدس .

٦٩ ـ بحث فى الجواب على من قال : أنه يتعرض لمن حفظه ضعف من الصحابة ، ضمن الفتح الربانى رقم (١) مجاميع المقدس .

٧٠ ـ بحث فى الكلام على حديث اذا اجتهد فأصاب الخ ، ضمن الفتح الربانى رقم (١) الجامع المقدس .

٧١ ـ بحث فى دفع من قال : أنه يستحب الرفع فى السجود . المصدر السابق .

٧٢ ـ بحث فى يمين التعنت التى يطلبها المتخاصمان وقرر أنها تلزم اذا كان منكرا ، ضمن مجموع (١) الجامع المقدس من مجاميع ٥٩ المتوكلية ، ١٣ الفتح الربانى .

٧٣ ـ بحث فى شرح حديث بنى الاسلام على خمس الخ الفتح الربانى رقم ٨٣ مجاميع الجامع المقدس .

٧٤ ـ بحث فى شفعة الجار ضمن مجاميع المتوكلية رقم ٥٠ .

٧٥ ـ بحث فى النهى عن مودة أهل السوء ، ضمن مجموع ٥٩ متوكلية .

٧٦ — بحث فى هل يجوز قضاء المقلد ضمن مجموع المتوكلية رقم ٥٠ .

٧٧ — بحث فيمن أوصى بالثلث قاصدا احرام الوارث المصدر السابق .

٧٨ — بحث فيمن قرأ ولم يشق القاف هل تجزى صلاته أو لا ؟ المصدر السابق .

٧٩ — بحث فى كون الولد يلحق بأمه كابن الملاعنة والأمه ، ومجهول النسب ضمن مجموع ال ٥٩ متوكلية .

٨٠ — بحث فى كون سبب التفرق هو علم الرأى مجاميع متوكلية ٥٩ .

٨١ — بحث فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم : الدنيا ملعون مافيها ٥٠ متوكلية .(١)

٨٢ — بحث فى مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصحابة رقم ٣١ من مجاميع ٥٩ .

٨٣ — البحث المسفر عن تحريم كل مسكر ومفتر ، البدر الطالع (٢) والنقصار ، وفتح القدير (٣) .

٨٤ — بحث فى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة رقم ٨ من مجاميع ٥٩ متوكلية .

٨٥ — بحث فى مستقر الأرواح بعد الموت رقم ٣٧ من مجموع ٥٩ متوكلية .

٨٦ — البحث الملم المتعلق بقوله تعالى " الا من ظلم " (٥) الفتح الربانى رقم ٣ .

٨٧ — بحث فيما يتعلق بعورات النساء ، رقم ٥٧ من مجموع ٥٠ متوكلية ، والفتح الربانى رقم ٨٣ .

٨٨ — بحث فى وجوب محبة الله رقم ٣٢ مجاميع متوكلية ، ط دار النهضة .(٦)

٨٩ — بحث فى العمل بقول المفتى رقم ٣٦ من مجموع ٥٩ متوكلية .

---

(١) وقد قوّى الحديث وبيّن معنى لعلتها انما يكون بالتكالب عليها ، دون مراعاة لحق الآخرة .

(٢) جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) ص ٦١ مخطوط بمكتبة محمد الاكوع .

(٤) مقدمة الفتح القدير ص ٨ .

(٥) سورة النساء ، آية : ١٤٨ .

(٦) ط دار النهضة سنة ١٣٩٦ هـ .

٩٠ ـ بحث فى شرح قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا " الآية (١) ٠

٩١ ـ بدر شعبان الطالع فى سماء الفرقان الفتح الربانى ، ومقدمة فتح القدير ٣ والتقصار (٢) ٠

٩٢ ـ البغية فى مسألة الرؤية : أى روية اللـه سبحانه فى الآخرة (٣) ٠

٩٣ ـ بغية المستفيد فى الرد على من أنكر الاجتهاد والتقليد الفتح الربانى ٨٣ ٠

٩٤ ـ تحرير الدلائل على مقدار ما يجوز بين الامام والمأموم فى الصلاة من الارتفاع والحائل وهى شرح لرسالته ايضاح الدلائل من مجاميع ٣ ٨ متوكلية ٠

٩٥ ـ التشكيك على التفكيك (٤) ٠

٩٦ ـ تشنيف السمع لجواب المسائل السبع المصدر السابق ٠

٩٧ ـ تفويض النبال الى ارسال المقال ، المصدر السابق ٠

٩٨ ـ تنبيه الأفاضل على ماورد فى زيادة العمر ونقصه من الدلائل ضمن مجموعة ٥٩ متوكليا ٠

٩٩ ـ تنبيه الامثال على عدم وجوب الاستعانة من خالص المال من مجموع رقم ٥٩ متوكليا ٠

١٠٠ ـ تنبيه ذوى الحجا على حكم بيع الرجاء (٥) ٠

١٠١ ـ التوضيح فى تواتر ماجاء فى المهدى المنتظر والدجال والمسيح (٦) ٠

١٠٢ ـ جواب السائل فى تفسير قوله تعالى : " والقمر قدرناه منازل (" ٠

١٠٣ ـ جواب عن إسئلة وردت من كوكبان ضمن مجموع ٥٩ متوكلية ٠

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥١ ٠

(٢) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٠ ، التقصار ص ٦١ ٠

(٣) الشوكانى فتح القديـر جـ ٥ ص ٣٣٨ سورة القيامة آية : ٢٣ ٠

(٤) الفتح الربانى ، وفتح القدير ص ٨ ، مقدمة البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٣ ٠

(٥) الشوكانى فتح القدير ص ٧ ، التقصار ص ٢٤ ، البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٣ ٠

(٦) المصدر السابق ٠

١٠٤ ـ جواب سوءال يتعلق بما ورد عن الخضر عليه السلام رقم ٢٨ من مجموع ٥٩ متوكليــــة •

١٠٥ ـ جواب سوءال عن الصبر والحلم رقم ٢٥ ضمن مجموع ٥٩ متوكلية ومجمــوع ٣٢ الجامع بصنعــاء •

١٠٦ ـ جواب إسئلة وردت من بعض علماء اليمن ضمن مجموع ٥٩ متوكلية •

١٠٧ ـ جواب اسئلة وردت من الفقيه قاسم بن لطف اللــه رقم ٧ ضمن مجموع . ٥٩ ، والفتح الربانى رقم ٨٣ •

١٠٨ ـ جواب سوءال : كيف ان الفاء في قوله تعالى (١) : " فأنظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه " واقعه موقع الدليل ؟ الفتح الربانى رقم ١٣ من مجموع رقم ٨٣ الجامع المقــدس •

١٠٩ ـ جواب عن نكته التكرار فى قوله تعالى : " قل انى امرت أن أعبد اللــه مخلصا له الدين * وأمرت لان اكون أول المسلمين • " (٢) ، وكتب الجـــواب سنة ١٢١٠هـ وجوابه يستغرق ٦ صفحات ، الفتح الربانى ٨٣ •

١١٠ ـ جواب سوءلات وردت من تهامة رقم ٢٧ ضمن مجموع ٥٩ متوكلية الفتـــح الربانى رقم ٦٢ •

١١١ ـ جواب سوءال عن نجاسة الميتة رقم ١٨ من مجموع ٥٩ المتوكلية • (٣)

١١٢ ـ جواب على ضمن مجموع ٥٩ ـ متوكلية •

١١٣ ـ جيد النقد فى عبارة الكشاف والسعد ، المصدر السابق •

١١٤ ـ حل الاشكال فى اخبار اليهود على التقاط الأزبال • (٤)

١١٥ ـ در السحابة فى مناقب القرابة ا والصحابة فى خمسة أبواب • (٥) مجموع ١٧ متوكليــــة •

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩ ، جـ ١ ص ٢٨٠ فتح القدير •
(٢) سورة الزمر آية : ١١، ١٢، جـ ٢ ص ٤٥٤ فتح القدير •
(٣) الشوكانى ولاية اللــه ص ٤٣
(٤) البدر الطالع للشوكانى جـ ٢ ص ٢٢٤ ، وفتح القدير المقدمة ص ٩ •
(٥) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٤ •

١١٦ ـ دفع الاعتراضات على ايضاح الدلالات المصدر السابق •

١١٧ ـ الدفعة فى وجه ضرر القرعة المصدر السابق •

١١٨ ـ رسالة القول المحرر فى حكم لبس المعصفر وسائر أنواع الأحمر (١) •

١١٩ ـ رسالة فى لبس الحرير (٢) •

١٢٠ ـ رسائل على مسائل وردت من السيد على بن اسماعيل (٣) .

١٢١ ـ رسالة فى جواز استناد الحاكم فى حكمه الى تقويم العدول (٤) •

١٢٢ ـ رسالة فى حكم الاتصال بالسلاطين واسمها الأساطين (٥) •

١٢٣ ـ رسالة فى حكم الطلاق البدعى هل يقع أو لا •

١٢٤ ـ رسالة جواب على مسائل لبعض علماء الحجاز •

١٢٥ ـ رسالة فى اختلاف العلماء فى تقدير النفاس ، وقد رجّح المؤلف أن أكثره أربعين لحديث عائشة رضى الله عنها •

١٢٦ ـ رسالة فى حكم صبيان الذميين اذ مات أبوهم •

١٢٧ ـ رسالة فى التحلى بالذهب للرجال • هذه الرسائل كلها فى الفتح الربانى ، واسم الرسالة " الوشى المرقوم فى تحريم التحلى بالذهب على العموم ، الفتح جـ ١ ص ٨ •

١٢٨ ـ رسالة فى التسعير هل يجوز أو لا ؟

١٢٩ ـ رسالة فى الرد على القائل بوجوب التحية •

١٣٠ ـ رسالة فى نفقة المطلقة ثلاثا (٦) •

---

(١) المصدر السابق •

(٢) المصدر السابق •

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢١ •

(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٢٤ •

(٥) المصدر السابق ، والفتح الربانى ٣٦ من مجموع رقم ٨٣ •

(٦) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢١ •

١٣١ ـ رسالة فى الكسوف هل يكون فى وقت معين على القطع ثم ذلك يختلف (١) •

١٣٢ ـ رسالة فى القراءة التى يهدى ثوابها الى الميت من الأحياء (٢) •

١٣٣ ـ رسالة فى اسباب سجود السهو (٣) •

١٣٤ ـ رسالة فى توحيد اللـه عز وجل (٤) •

١٣٥ ـ رفع اليأس عن حديث النفس والهم والوسواس رقم ٣٠ من مجموع ٥٩ متوكلية •

١٣٦ ـ رفع الجناح عن نافى المباح هل هو مأمور به أم لا (٥) ؟

١٣٧ ـ رفع الخصام فى الحكم بالعلم من الحكام (٦) •

١٣٨ ـ الروض الوسيع فى الدليل المنيع على عدم انحصار علم البديع (٧) •

١٣٩ ـ رسالة فيمن حلف ليقضين دينه غدا ان شاء اللـه •

١٤٠ ـ رسالة فى بيع الشيء قبل قبضه •

١٤١ ـ رسالة هل الخلع طلاقا أو فسخا ؟

١٤٢ ـ رسالة فى زيادة ثواب من باشر العبادة بمشقة •

١٤٣ ـ رسالة فى حكم القيام للقادم لمجرد التعظيم •

١٤٤ ـ رسالة فى حكم المخابرة •

١٤٥ ـ رسالة فى حكم بيع الماء •

---

(١) المصدر السابق •

(٢) التقصار ص ٢٥ •

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٠ •

(٤) الشوكانى الرسائل فى الفتح الربانى رقم (١) من مجاميع ١٨٣ الجامع المقدس بصنعاء •

(٥) الشوكانى فتح القدير جـ ١ ص ٨ •

(٦) الشوكانى الفتح الربانى رقم ٣ ٨ ، ولاية اللـه ص ٤٦ •

(٧) الشوكانى مقدمة فتح القدير ص ٨ ، وولاية اللـه ص ٤٦ •

(٨) المصدر السابق •

١٤٦ــ رسالة فى حكم أن الطلاق لايتبع الطلاق على الراجح (١) •

١٤٧ــ رسالة فى حكم أجاب بها على الشريف ابراهيم بن اسحاق •

١٤٨ــ زهر الشرين الفاتح لفضائل العمرين (٢) •

١٤٩ــ سوءال عن الوصية للوارث ضمن مجموع ٥٠ متوكلية •

١٥٠ــ سوءال فى التحيّل لاسقاط الشفعة •

١٥١ــ سوءال فى اجبار الجار على البيع لأجل الضرر •

١٥٢ــ سمط الجمان فيما أشكل من مسائل عقد الجمان •

١٥٣ــ شفاء العلل فى زيادة الثمن لأجل الأجل وفى رواية (الغلل بالمعجمة) •

١٥٤ــ الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد •

١٥٥ــ الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية فى الرد على من زعم أن غسل الفرجين من أعضاء الوضوء من الزيدية (٣) •

١٥٦ــ ضرب القرعة فى شرطية خطبة الجمعة •

١٥٧ــ الطود المنيف فى الانتصار للسعد من الشريف (٤) •

١٥٨ــ طيب النشر فى المسائل العشر ، الفتح الربانى ٧٢ من مجموع ٨٣ •

١٥٩ــ طيب الكلام فى تحقيق لفظ الصلاة على خير الأنام ، المصدر السابق •

١٦٠ــ العذب النمير فى جواب عالم عسير فى التوحيد وفاتحة الكتاب •

١٦١ــ عقود فى شأن حدود البلدان وما يتعلق بها من الضمان •

١٦٢ــ عقود الزبرجد فى مسائل علامة ضمد وهى عشرة أجوبة •

---

(١) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢١ •

(٢) التقصار ص ٢٤ مصورهما أبو بكر وعمر رضى اللـه عنهما •

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ٢٢٣ وكل الرسائل موجودة فى مقدمة البدر الطالع والفتح الربانى •

(٤) الشوكانى البدر الطالع جـ ٢ ص ١٢٢٠ ، والتقصار ص ٢٥ •

(١)

١٦٣ — فتح الخلاف فى جواب مسائل عبد الرزاق الدهلوى الهندى فى علم المنطق.

١٦٤ — فتح القدير بين المعذرة والتعذير من مجموع ٥٩ متوكلية .

١٦٥ — القول الجلّى فى لبس النساء للحلى من مجموع ٥٩ متوكلية .

١٦٦ — القول الحسن فى فضائل أهل اليمن مجموع ٥٩ متوكلية .

(٢)

١٦٧ — القول الصادق فى حكم امامة الفاسق .

١٦٨ — القول المقبول فى رد خبر المجهول من غير صحابة الرسول ص ٥٩ متوكلية .

١٦٩ — القول المقبول فى فيضان القبول والسيول ٣ ٥/٥٩ متوكلية .

١٧٠ — القول والواضح فى صلاة المستحاضة ونحوها من أهل العلل والجراح رقم ٥ ٩/٥ متوكلية .

١٧١ — كشف الدين عن حديث ذى اليدين رقم ٣٢ من مجموع ٥٩ متوكلية .

١٧٢ — كشف الأستار عن الحكم فى الشفعة بالجوار رقم ٣٣/٥٩ متوكليا .

١٧٣ — كشف الاستار فى ابطال كلام من قال : " بفناء النار رقم ٢٢ ضمن مجموعة ٥٩ متوكليـة .

(٣)

١٧٤ — كفاية المحتظ وهى منظومة .

١٧٥ — " اللمعة فى الاعتداد بادراك ركعة من الجمعة " .

١٧٦ — المباحث الدرية فى المسألة الحمارية رقم ١٩ من مجموع ٥٩ متوكلية .

١٧٧ — المختصر البديع فى الخلق الوسيع ذكر خلق السموات والارض وما فوقهمـا وما دونهما والجن والانس والملائكة والعوالم أجمع . (٤)

(٥)

١٧٨ — المختصر الكافى فى الجواب الشافى .

---

(١) الشوكانى الفتح الربانى ٣ من مجموع ٨٣ الجامع المقدس .
(٢) الشوكانى البدر الطالع جـ٢ ص٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق جـ٢ ص٢٢٠ .
(٤) المصدر السابق جـ ٢ ص٢٢٠ .
(٥) المصدر السابق .

١٧٩ــ المسك الفاتح فى حط الجوانح (١) •

١٨٠ــ مطلع البدرين ومجمع البحرين فى التفسير وهو أصل فتح القدير فى ستة مجلدات كبار بالجامع المقدس بصنعاء رقم ٧٩ تفسير (٢) •

١٨١ــ المقالة الفاخرة فى بيان اتفاق الشرايع على الدار الآخرة ط •

١٨٢ــ منحة المنان فى اجرة القاضى والسجان الفتح الربانى ٨٣ الجامع المقدس •

١٨٣ــ نثر الجوهر فى شرح حديث أبى ذر ، نسخة بخط المؤلف بصنعاء رقم ٨٦٦ حديث •

١٨٤ــ نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى على شرحه نيل الأوطار •

١٨٥ــ نزهة الأحداق فى علم الاشتقاق ضمن مجموع ٥٠ متوكلية ، الفتح الربانى رقم (١) الجامع المقدس •

١٨٦ــ النشر فى فوائد سورة العصر (٣) •

١٨٧ــ ويل الغمام فى شفاء الاوام تحت رقم ٣٣٦ حديث متوكلية بصنعاء الجامع الكبير عدد صفحاتها ٣٠٠ صفحة •

١٨٨ــ هداية القاضى الى تخوم الأراضى تحت رقم ٥٨٣ الجامع المقدس •

١٨٩ــ هفوات الأئمة الأربعة رقم ٥٧٣ متوكلية وهو على غرار رفع الملام لشيخ الاسلام ابن تيمية •

هذه بعض الكتب والرسائل والبحوث التى صنفها الشوكانى وأمكن الحصول عليها من بين المخطوطات التى بقيت خلف الجدران ، والمرجو من رواد العلم والبحوث والمعرفة من الحصول عليها وتسهيل السبل الى طبعها حتى يتحقق النفع بها للأجيال المتعاقبة (٤). والله الموفق والمستعان •

---

(١) المصدر السابق •

(٢) الشوكانى ولاية الله ص٥١ •

(٣) الشوكانى البدر الطالع جـ٢ ص٢٢١ •

(٣) د • محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص٨٢ ــ ٩٥ •

رابعا : كتبه ومؤلفاته المطبوعة :

١ ـ (اتحاف الأكابر أستاذ الدفاتر) طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٢٨هـ .

٢ ـ (ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول) المطبعة الأميرية بمصر سنة ١٣٤٧هـ ، ومطبعة السعادة سنة ١٣٢٧هـ .

٣ ـ (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) مطبعة السعادة سنة ١٣٤٨هـ .

٤ ـ تحفة الذاكرين فى شرح (عدة الحصن الحصين للامام الجزرى) . طبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٥٠هـ .

٥ ـ (تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام) طبع فى مصر تحت اسم (كشف الشبهات عن المشتبهات) مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠هـ .

٦ ـ (التحف فى مذاهب السلف) المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣هـ المنار سنة ١٣٥١هـ ، ومطبعة محمد مصطفى سنة ١٣١٠هـ .

٧ ـ (الدرر البهية) : متن الدرارى المضيئة ، طبعت مع الشرح مطبعة مصر الحرة سنة ١٩٢١م .

٨ ـ (الدرارى المضيئة) فى شرح الدرر البهية ، مطبعة مصر الحرة سنة ١٩٢٨م .

٩ ـ (الدرر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد) ، ادارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٥١هـ ، طبعة المنار سنة ١٣٤٠هـ .

١٠ ـ (الدواء العاجل فى دفع العدو الصائل) المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٢هـ .

١١ ـ (رفع الريب فيما يجوز ، ولا يجوز من الغيب) المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٢هـ .

١٢ ـ شرح الصدور فى تحريم رفع القبور ، المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٣هـ ، ثم طبع مع الرسالتين السابقتين له فى مجلد واحد ، فى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٤٧هـ .

١٣ ـ العقد الثمين فى اثبات وصاية أمير المؤمنين) المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٨هـ .

١٤ ـ (فتح القدير) الجامع بين فنى الرواية والدراية من التفسير . مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٤٩هـ وهو تفسير الامام الشوكانى .

١٥ ـ (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) طبع فى الهند سنة ١٢٠٣هـ ثم فى مصر بتحقيق واف ، فى مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

١٦ ـ (القول المفيد فى حكم التقليد) ، وفى أدلة الاجتهاد والتقليد . طبعة مطبعة المعاهد سنة ١٣٤٠هـ ، ومصطفى الحلبى سنة ١٣٤٧هـ .

١٧ ـ (نيل الأوطار " شرح منتهى الاخبار ") الحلبى سنة ١٣٤٧هـ ، والعثمانية سنة ١٣٥٧هـ .

١٨ ـ نزل من اتقى بكشف أحوال المنتقى ، وهو شرح مختصر للمؤلف ، اختصره من شرحه الكبير (نيل الاوطار) طبع حجر بالهند سنة ١١٩٧هـ .

١٩ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الشئون الاسلامية بمصر سنة ١٣٩٠هـ

٢٠ ـ ابطال دعوى الاجماع على مطلق السماع ، طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٨هـ .

٢١ ـ ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، طبع سنة ١٣٩٥هـ دار النهضة العربية بمصر بتحقيق د . ابراهيم هلال .

٢٢ ـ ارشاد السائل الى دليل المسائل ، طبع دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٣ ـ اشكال المسائل الى تفسير (والقمر قدرناه منازل) طبع دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٤ ـ الاعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام ، معجم لشيوخه طبع سنة ١٣٢٨هـ (بحيدر آباد) .

٢٥ ـ الايضاح لمعنى التوبة والاصلاح ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢٦ ـ بحث فى وجوب محبة الله ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢٧ ـ بحث فى الاستدلال على كرامات الاولياء ، ط دار النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٢٨ ـ بحث فى أن اجابة الدعاء لاينافى سبق القضاء ، طبع دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٢٩ ـ بحث فى الكلام على أمناء الشريعة ، ط دار النهضة ١٣٩٥هـ .

٣٠ ـ تنبيه الأفاضل على ماورد من زيادة العمر ونقصه من الدلائل ط النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٣١ ـ جواب سوءال يتعلق بما ورد فى الخضر عليه السلام ، ط النهضة ١٣٩٥هـ .

٣٢ ـ جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل ، ط النهضة ١٣٩٥هـ .

٣٣ ـ جواب سوءال عن الصبر والحلم ، ط النهضة ١٣٩٥هـ .

٣٤ ـ جواب عن سوءال كيف أن الفاء فى قوله تعالى (١) : " فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه " ، واقعة فى موقع الدليل ، ط النهضة ١٣٩٥هـ .

٣٥ ـ جواب سوءال عن نكتة التكرار فى قوله تعالى (٢) : " قل انى أمرت أن أعبد اللـه مخلصا له الدين * وأمرت لان أكون أوّل المسلمين " ، ط النهضة سنة ١٣٩٥هـ .

٣٦ ـ فطر الولى على حديث الولى ، تحقيق د . ابراهيم هلال ـ دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٥هـ .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٩ .

(٢) سورة الزمر آية : ١١ ، ١٢ .

الباب الثـــــانى

آراوءه الاعتقاديـــــــــة

ويحتوى على تمهيد وستة فصول :

الفصل الأول : موقف الشوكانى من التأويل •

الفصل الثانى : منهجه فى الاستدلال على وجود اللـــه تعالى •

الفصل الثالث : فى وحدانية اللـــه تعالى •

الفصل الرابـع : الصفات الالهية العقلية ومنهجه فى اثباتها •

الفصل الخامس: الصفات الالهية الخبرية ومنهجه فى اثباتهـــا •

الفصل السادس: أفعـــال العبـــاد •

الفصل السابع : روءية اللـــه عز وجل •

الفصل الأول

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

موقف الشوكانى من التأويل

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

- التاويل فى لغة العرب •
- دلالة التأويل فى القرآن •
- المحكم والمتشابه •
- تحقيق القول فى آية آل عمران
  - نتائج هذا التحقيق •
- فيما ما يدخله التأويل •
- موقف الزيدية من التأويل •
- المحكم والمتشابه عند الزيدية •
- مناقشة الشوكانى للزيدية فى التأويل •
  - فى العقل عند الزيدية •
  - فى موقفهم حيال النصوص •
  - فى موقفهم حيال المحكم والمتشابه •

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

الفصـــل الأول

موقف الشوكانى من التأويـــل

التأويل فى لغة العرب :

درج الشوكانى على نفس المنهج الذى يؤخذ به فى تحليل الالفاظ ، وبيان معناها عند مناقشة الخصوم ، وذلك حسما للخلاف الذى ينشأ بيـــن الباحثين ، وهذا ليحدد معنى كلمة التأويل فى لغة العرب ، ولذلك نـــراه يرجع الى اصل استعمال الكلمة بين المتخاطبين بها أولا ، وكما هى مدونة فـى كتبهم ، وفى معاجم اللغـــة ، ثم يتتبع الشوكانى الكلمة فى مراحـــل تطورهـــا ، مبينا ما تعـرضت له من عوامل تطويرية فى استعمالاتهـــا ، وذكر أسباب هـــذا التحول والهدف منه .

يقول الشوكانى : والتأويل مشتق من آل يئول اذا رجع ، تقول : آل الأمر الى كذا أى رجع اليه ، ومآل الأمر مرجعه ، وقال النضر بن شميل (١) : أنـــه مأخوذ من الايالة وهى السياسة ، يقال لفلان علينا ايالة ، وفلان آيل علينـــا أى سائس ، فكان المؤول بالتأويل كالمتحكم على الكلام المتصرف فيه ، وقال ابن فارس (٢) فى فقـه اللغة العربية : التأويل آخر الأمر وعاقبته ، يقال مآل هذا الأمر مصيره ، واشتقاق الكلمة من الأول وهو العاقبة والمصير . (٣)

واذا تأملنا ما قدمه الشوكانى من استشهادات حول كلمة التأويل ، نجـد أن مادة " أول " فى كل استعمالاتها تفيد معنى الرجوع والعود ، فقد ذكـــر الأزهرى (٤) فى تهذيب اللغة ، وهو من المعاجم اللغوية القديمة أن " الأول "

---

(١) هو : الحافظ أبو الحسن نضر بن شميل بن ضرسة بن يزيد بن كلثوم التميمى المازنى البصرى الاديب النحوى من تابعى التابعين القاضى بمرو توفى سنة ٢٠٤ هـ . (أنظر كشف الظنون جـ ٦ ص ٤٩٤ .

(٢) المتوفى سنة ٣٩٥ هـ .

(٣) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .

(٤) هو (أبو منصور محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٧٠هـ) .

هو الرجوع ، وقد آل يؤول أولا ، وعن الأصمعى (١) : آل القطران يؤول أولا اذا خسر ، قال : وآل ماله يؤوله اياله اذا أصلح وساسه (٢) .

فالأمثلة التى ذكرها الأزهرى تبين أن المادة فى أصلها الاشتقاقى تدور حول معنى الرجوع والعود كما ذكر الشوكانى فيما سبق .

وقد وضح الشوكانى مما نقله عن ابن فارس : أن كلمة تأويل استعملت عنده فى نفس المعنى ، والمفهوم الذى كانت تستعمل فيه مادة " أول " بمعنى العود والمرجع والمصير ، فقد ذكر فى مقاييس اللغة مادة " أول " (٣) : آل جسم الرجل اذا نحف أى رجع الى تلك الحالة ، ثم قال : ومن هذا الباب تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول اليه ، ومن ذلك قوله تعالى : " هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق " (٤) .

فالشوكانى رجع الى المصادر الوحيدة لكل المعاجم التى وضعت بعد ذلك، وخرج بنتيجة أن اللغويين ، من رواة ومحدثين ، حتى بداية القرن الخامس الهجرى ، كانوا يستعملون كلمة التأويل فى معنى المرجع والمصير والعود ، وقد فسّر الشوكانى التأويل فى الآية السابقة التى استشهد بها ابن فارس بهذا المعنى فقال : (هل ينظرون الا تأويله) قال : عاقبته ، أى هل ينظرون الا ما وعدوا به فى الكتاب من العقاب الذى يئول الأمر اليه (٥) .

---

(١) عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على ابن أصمع (١٢٣-٢١٦) هـ أديب ، لغوى ، نحوى ، محدث ، أصولى ، من أهل البصرة . معجم المؤلفين جـ٦ ص١٨٧

(٢) الازهرى تهذيب اللغة مادة أول جـ ١٥ ص ٤٣٧ تحقيق الاستاذ ابراهيم الابيارى ط الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م .

(٣) ابن فارس مقاييس اللغة جـ١ ص١٥٩ مادة أول تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون ط القاهرة سنة ١٩٦٦م .

(٤) الاعراف : ٥٣ .

(٥) الشوكانى فتح القدير جـ٢ ص٢١٠ .

كما ذكر الشوكانى : أن التأويل يكون بمعنى التفسير ففى قوله تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله "(١) يقول : التأويل يكون بمعنى التفسير ، كقولهم تأويل الكلمة على كذا : أى تفسيرها ، ويكون بمعنى ما يئول الأمر اليه ، واشتقاقه من آل الأمر الى كذا يئول اليه : أى صار ، وأولته تأويلا أى صيرته (٢) .

وقد ذهب الى هذا المعنى ابن منظور (٣) فى لسان العرب فجمع فيه كل ما يتصل بمادة " أول " ومشتقاتها ، وما استعملت فيه من معانى ، ونقل أمثلة تؤكد ذلك المعنى الذى ذهب اليه الشوكانى وتوضحه ، فمن ذلك قوله : " آلت عن الشئ ارتدت عنه " وفى الحديث : ومن صام الدهر فلا صام ولا آل " (٤) أى لا رجع الى خير ، وفى حديث ابن عباس : " اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل " (٥) .

وعن الليث (٦) قال : " التأويل تفسير ما يؤول اليه الشئ " وأول الكلام وتأوله : دبره وقدره ، وأوله وتأوله : أى فسره وقوله تعالى : " ولما يأتهم تأويله " أى ولم يكن معهم علم تأويله .

فهنا بين ابن منظور عن الليث وغيره أن من معانى التأويل التفسير والتدبر وحسن تقدير الأمور .

وبذلك يتضح لنا كما ذكر الشوكانى أن التأويل عند علماء اللغة كان يستعمل فى معنيين :

---

(١) آل عمران : آية : ٧ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٥ .
(٣) المتوفى سنة ٧١١ هـ .
(٤) الحديث رواه الترمذى رقم ٧٦٧ فى الصوم ، باب ما جاء فى صوم الدهر ، والنسائى ٤/٢٠٧ باب النهى عن صيام الدهر وفى جميعها " فلا صام ولا أفطر " .
(٥) الحديث أخرجه البخارى فى الوضوء ١٠ ، ٤٠ ، وأخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ١٣٨ وأحمد بن حنبل ١ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ .
(٦) ابن منظور لسان العرب مادة أول جـ ١٣ ص ٣٣ ، طبع المطبعة الأميرية سنة ١٣٠٢ هـ .

الأول : المرجع والمصير والعاقبة ، كما بينت ذلك المعاجم القديمة حتى القرن الرابع الهجرى .

الثانى : التفسير والتدبر والبيان كما ذكر الشوكانى وبين ابن منظور ونقله عن الليث وغيره .

وقد ذكر الشوكانى المعنى المحدث الذى لم يجده فى المعاجم القديمة ، وهو المعنى الاصطلاحى ، عند الأصوليين وعلق عليه ، وذكر أنه من التأويلات الفاسدة التى زل بها المتكلمون فيقول : والتأويل اصطلاحا ، صرف الكلام عن ظاهرة الى معنى يحتمله ، وفى الاصطلاح حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، وهذا يتناول التأويل الصحيح والفاسد ... قال ابن برهان (١) : لم يزل الزال الا بالتأويل الفاسد ، وأما ابن السمعان (٢) فأنكر على امام الحرمين (٣) ادخاله لهذا الباب فى أصول الفقه (٤).

ويلاحظ على هذا المعنى المحدث للتأويل الملاحظات الآتية :

١ — أنه لم يكن هذا المعنى معروفا بين رجال اللغة والمعنيين بها . ولم يكن مشتهرا بينهم حتى معاجم القرن الرابع الهجرى كما بينته من قبل .

٢ — ان هذا المعنى جاء مجردا عند كل من ذكره عن الأمثلة والشواهد التى تبين استعمال التأويل فى هذا المعنى الذى أرادوه ، وذلك عكس ما عهدناه ازاء الاستعماليين الآخرين للفظ التأويل ، حيث ورد من الأمثلة والشواهد ما وضح به المعنى المراد من الكلمة .

---

(١) ابن برهان : أحمد بن على بن محمد الوكيل أبو الفتح المعروف بابن برهان البغدادى الأصولى الشافعى توفى ببغداد سنة ٥٢٠ هـ له الأوسط فى أصول الفقه . (أنظر كشف الظنون جـ ٥ ص ٨٣) .

(٢) ابن السمعان : أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار أبو القاسم السمعانى الشافعى توفى سنة ٥٣٤ هـ . المصدر السابق ص ٨٣ .

(٣) امام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله ضياء الدين أبو المعالى الجوينى الشهير بامام الحرمين ولد سنة ٤١٩ هـ وتوفى سنة ٤٧٨ هـ . أنظر كشف الظنون جـ ٥ ص ٦٢٦ .

(٤) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .

٣ — ان هذا المعنى شاع وانتشر بهذا المعنى المحدث فى مجال غير مجال الدراسة اللغوية ، فصار من الشهرة بعد ذلك حتى وجد مكانا فى المعاجم المتأخرة .

هذا وبعد أن اتضح أمامنا هذه الاستعمالات الثلاثة للتأويل نريد أن نعرف أى الاستعمالات بعد قد جاء به القرآن ومدى التزام الشوكانى باستعمال كلمة التأويل فى المعنى الذى وضحه السلف والأئمة من خلال فهم القرآن وسماعه من الصحابة رضى الله عنهم .

ان القرآن الكريم هو أساس اللغة العربية فصاحة وبيانا ، وقد استعمل كلمة " التأويل " فى سوره أكثر من مرة ، وباستقراء الآيات التى استعملت فيها كلمة التأويل ، ومقارنة أقوال الشوكانى لاقوال السلف والأئمة ، يتضح أمامنا منهجه فى التفسير وأصول العقيدة التى دان بها .

دلالة التأويل فى القرآن :

وبعد أن حقق الشوكانى كلمة التأويل لغويا ، وعرفنا مقدار علمه بالعربية ، واشتقاقها ، يجدر بنا أن نسوق استعمال القرآن الكريم لكلمة "التأويل" فى مواضع متعددة ، وأقوال مفسرى السلف والشوكانى فيها ، ثم نختم بسورة آل عمران ، التى يجرى تحت ظلالها الاختلاف فى الآراء .

أول هذه المواضع : قوله تعالى فى سورة النساء : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا " (١)

يقول الشوكانى فى تفسير " وأحسن تأويلا " أى مرجعا من الأول آل يؤول الى كذا : أى صار اليه ، والمعنى : أن ذلك الرد خير لكم وأحسن مرجعا

---

(١) سورة النساء آية : ٥٨ .

ترجعون اليه ، ويجوز أن يكون المعنى : أن الرد أحسن تأويلا من تأويلكم الذى صرتم اليه عند التنازع (١) .

وعن قتادة : ذلك أحسن ثوابا وخير عاقبة .

وعن مجاهد : أحسن جزاء (٢) ، ويقول ابن جرير الطبرى فى تفسير : " وأحسن تأويلا " أى جزاء ، وذلك أن الجزاء هو الذى صار اليه امر القوم (٣) ، وعن السدى وابن زيد ، وابن قتيبة ، والزجاج : بالعاقبة (٤) .

وهنا يتبين أن الشوكانى ومفسرى السلف فسّروا التأويل " هنا بالثواب والجزاء ، والعاقبة ، ومؤدى ذلك أن يكون بمعنى المآل ، لأن الثواب والجزاء هو مآل الطاعة .

وثانيها : قوله تعالى فى سورة الأعراف : " جئناهم بكتاب فصلناه على علم ، هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، هل ينتظرون الا تأويله ؟ ، يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل : "قد جاءت رسل ربنا بالحق، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل (٥) " .

يقول الشوكانى فى تفسير : " هل ينتظرون الا تأويله " أى هل ينتظرون الا ما وعدوا به فى الكتاب من العقاب الذى يئول الأمر اليه ، وقيل : تأويله جزاؤه ، وقيل : عاقبته ، والمعنى متقارب (٦) ، فعن قتادة قال : عاقبته ،

---

(١) الشوكانى فتح القدير جـ ١ ص ٤٨١ .

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٨٢ .

(٣) الطبرى تفسير الطبرى جـ ٦ ص ٢٠٥ تحقيق الاستاذ محمود شاكر . وانظر ابن كثير جـ ١ ص ٤٠٨ من مختصر الصابونى .

(٤) محمد رشيد رضا تفسير المنار سنة ١٣٥٠هـ ، وانظر ابن الجوزى ، زاد المسير جـ ٢ ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٥) سورة الاعراف آية : ٥٣ .

(٦) الشوكانى فتح القدير جـ ٢ ص ٢١٠ .

وعن مجاهد قال : " يوم يأتى تأويله " جزاؤه ، وفى تفسير الطبرى قولـــه : " يوم يأتى تأويله " يوم يجىء ما يئول اليه أمرهم من عقاب اللــه (١) ، وفى قوله : " هل ينظرون الا تأويله " قال ابن عباس : تصديق ما وعدوا فى القرآن ، " يوم يأتى تأويله " وهو يوم القيامة (٢) .

وهنا يتبين أن التأويل كما بيّنه الشوكانى وابن عباس والسلف بمعنى : التصديق بوعده ووعيده ، أى يوم يظهر صدق ما أخبر به عن الآخرة (٣) .

وبذلك يتضح أن المعنى هنا المآل والعاقبة ، فانه لايكون يوم القيامـــة الا المآل والعاقبة .

وثالثها : قوله تعالى فى سورة يونس : " بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمـــا يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين " (٤)

يقول الشوكانى فى تفسير : " ولما يأتهم تأويله " معطوف على " ولم يحيطوا بعلمه " أى بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه وبما لم يأتهم تأويله ، فمعنى تأويل : ما يئول اليه (٥) .

قال ابن جرير الطبرى : يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ، ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ، مما أنزل اللــه عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم ، " ولما يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلـــك الوعيد الذى توعدهم اللــه به فى هذا القرآن بل كذبوا به قبل أن يفهموه .

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ٤٧٨ ط دار المعارف ١٩٥٨م .

(٢) ابن الجوزى زاد المسير جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٣) محمد رشيد رضا تفسير المنار جـ ٣ ص ١٧٣ وما بعدها .

(٤) سورة يونس آية : ٣٨ .

(٥) الشوكانى فتح القدير جـ ٢ ص ٤٤٦ .

ففى قوله تعالى : " ولما يأتهم تأويله " قولان :

أحدهما : تصديق ما وعدوا به من الوعيد ، والتأويل ما يئول اليه الأمر .

والثانى : ولم يكن معهم علم تأويله . قاله الزجاج (١) .

فالتأويل هنا المراد به : وقوع ما أخبر به القرآن ، وهو الأثر الخارجى ، والمدلول الواقعى بوعيد هؤلاء ، ولا يصح بحال أن يكون معنى التأويل هنا أو فى الآية السابقة التفسير والبيان أو ارادة غير الظاهر .

وبذلك يتبين فى هذه الآية : أن الشوكانى ومفسرى السلف فسروا التأويل هنا بمعنى الجزاء أو العقاب ، أى بمعنى المآل والعاقبة .

رابعها : ما جاء فى سورة يوسف ، خاصا بتأويل يوسف عليه السلام للاحلام ، مثل قوله تعالى : " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث " (٢) وقوله تعالى : حكاية عن صاحبى السجن : " نبئنا بتأويله " (٣) ، وقوله تعالى : " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، ولنعلمه من تأويل الأحاديث " (٤) ، وكذا بقية الآيات الواردة فى هذه السورة ، كلها تتحدث عن تأويل الرؤيا . وأحاديث الناس ، وتأويل هذه الاحاديث .

يقول الشوكانى فى تفسير : " وليعلمك من تأويل الأحاديث " أى تأويل الرؤيا ، قال القرطبى : كان يوسف أعلم الناس بتأويلها (٥) ، وعن مجاهد : عبارة الرؤيا ، وعن بن زيد : تعليم الحلم والعلم (٦) .

---

(١) ابن الجوزى زاد المسير جـ ٤ ص ٣٣ .

(٢) سورة يوسف آية : ٦ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٥ .

(٤) سورة يوسف آية : ٢١ .

(٥) الشوكانى فتح القدير جـ ٣ ص ٥ .

(٦) المصدر السابق جـ ٣ ص ٧ .

وفى قوله تعالى : " ولنعلمه من تأويل الأحاديث " أي تأويل الروءيا ،

وقيل : فهم أسرار الكتب الالهية وسنن من قبله من الأنبياء ، ولا مانع من حمل ذلك على الجميع (١) .

قال ابن الجوزى فى تفسير : " وليعلمك من تأويل الأحاديث " فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه تعبير الروءيا ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، فعلى هذا سمى تأويلا ، لأنه بيان ما يئول أمر المقام اليه .

الثانى : أنه العلم والحكمة ، قاله ابن زيد .

الثالث : تأويل أحاديث الانبياء والامم والكتب ، ذكره الزجاج (٢) .

وفى قوله تعالى فى نفس السورة : " لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما (٣) " ، فبعد أن بين لهما ما يصير اليه أمر ما رآياه فى مناهما من الطعام الذى رآياه ، قال لهما ذلك ، أى تأويل روءياكما كما علمنى ربى ، وذلك اشارة الى قوله تعالى : " ولنعلمه من تأويل الأحاديث " (٤) ، وكذلك بقية الآيات الواردة فى السورة كلها تتحدث عن تأويل الروءيا ، وأحاديث الناس ، وتأويل هذه الأحاديث ، وتأويل الأحلام ، هو المعنى الوجودى لها .

خامسها : قوله تعالى فى سورة الاسراء : " وأوفوا الكيل اذا كلتم ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا (٥) " .

يقول الشوكانى فى تفسير : " ذلك خير وأحسن تأويلا " : أى احسن عاقبة ، من آل اذا رجع (٦) ، وذلك واضح كل الوضوح كما فى سورة النساء ، فقوله :

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤ .

(٢) ابن الجوزى زاد المسير جـ ٤ ص ١٨١ .

(٣) سورة يوسف آية : ٣٦ .

(٤) الطبرى تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ١٢٠ الطبعة الميمونية .

(٥) سورة الاسراء آية : ٣٥ .

(٦) الشوكانى فتح القدير جـ ٣ ص ٢٢٧ .

" ذلك خير وأحسن تأويلا " أى مآلا ومرجعا كما ذكره تفسير المنار (١) .

سادسها : ماجاء فى سورة الكهف كلمة " تأويل " كما حكى الله تعالى فى كتابه ، يبين موقف الخضر من موسى عليه السلام ، كما تتابعت أسئلته ، ولم يستطع صبرا على ما رآه : " هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا " (٢) ، ولما بين له الخضر ماسأل عنه قال له فى النهاية : " ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا " (٣) .

يقول الشوكانى فى تفسير : " سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا " ، التأويل رجوع الشىء الى مآله (٤) ، وفى الاية التى بعدها هو : المال الذى آلت اليه تلك الأمور ، وهو اتضاح ماكان مشتبها على موسى عليه السلام (٥) .

كما قد بين ابن تيمية أن التأويل فى هذه الآيات : بمعنى المال (٦) ، فكانت أفعال الخضر بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى ـ عليه السلام ـ اذ لم يكن عالما بعواقبها ، ولكنها ماضية فى الحقيقة على الصحة وآيلة الى الصواب فى العاقبة (٧) .

وبهذا يتبين لنا مما سبق : أن لفظ " التأويل " لم يستعمله الشوكانى فى هذه الآيات الا بمعنى المآل ، والمرجع ، والمصير ، أو الأثر الخارجى ، الذى يقع جزاء لقوم وعاقبة لهم ، أو مآلا لأحاديث الناس وتعبيرا لرؤياهم ، كالمنهج الذى سلكه مفسروا السلف ، ونقله الخلف عنهم .

(١) محمد رشيد رضا تفسير المنار جـ ٣ ص ١٧٣ .

(٢) سورة الكهف : آية : ٧٧ .

(٣) سورة الكهف : آية : ٨١ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٠٣ .

(٥) المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٦) ابن تيمية : الاكليل فى المتشابه والتأويل ص ٢٦ . وتفسير سورة الاخلاص ص ٧٤ .

(٧) الطبرى : تفسير الطبرى جـ ١٦ ص ٦

المحكم والمتشابه :

ذكر الشوكانى : اختلاف العلماء فى تفسير المحكمات والمتشابهات ، كما بين أن هذا الاختلاف واقع منذ القرون الاولى عند السلف ، فنقل عنهم اقوالا كثيرة مناقشا ومحققا القول الأولى بالترجيح فيقول :

أولا : المحكم : ماعرف تأويله وفهم معناه وتفسيره ، والمتشابه : مالم يكن لاحد الى علمه سبيل ، ومن القائلين بهذا : جابر ابن عبد الله ، والشعبى ، وسفيان الثورى ، قالوا : وذلك نحو الحروف المقطعة فى أوائل السور .

ثانيا : وروى عن ابن عباس : أن المحكم : ناسخه ، وحرامه ، وحلاله ، وفرائضه ، وما نؤمن به ونعمل عليه ، والمتشابه : منسوخه ، وأمثاله ، ومانؤمن به ولا نعمل به .

ثالثا : وروى عن ابن مسعود وقتادة والربيع والضحاك : المحكم : الناسخ ، والمتشابه : المنسوخ .

رابعا : وعن مجاهد وابن اسحاق : المحكم : الذى ليس فيه تصريف ، ولا تحريف عما وضع له ، والمتشابه : مافيه تصريف ، وتحريف ، وتأويل ، قال ابن عطية : وهذا أحسن الأقوال .

خامسا : وقيل : المحكم : ماكان قائما بنفسه لايحتاج الى أن يرجع فيه الى غيره ، والمتشابه : مايرجع فيه الى غيره ، قال النحاس : وهذا أحسن ما قيل فى المحكمات والمتشابهات ، قال القرطبى : ماقاله النحاس : يبين مااختاره ابن عطية ، وهو الجارى على وضع اللسان (١) .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٤ ، وانظر تفسير الطبرى جـ ٦ ص ١٧٠ — ٢٠٢ ط دار المعارف ، وانظر السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن جـ ٢ ص ٢ — ٤ ط الحلبى سنة ١٩٥١ .

هذا ولا اريد الاسترسال فى حكاية أقوال السلف فان لهم أقوالا كثيرة ، هى راجعة الى ما سأذكره فى التعريف الأولى للشوكانى " (١) .

وهذه الأقوال التى ذكرها المفسرون كالطبرى والشوكانى ، والسيوطى ، وغيرهم : قد عرفت المحكم : ببعض صفاته ، كما عرفت المتشابه : بما يقابلها ، فاهل القول الأول : جعلوا المحكم : ما وجد الى علمه سبيل ، والمتشابه : مالا سبيل الى علمه ، ولاشك ان مفهوم المحكم والمتشابه أوسع دائرة مما ذكروه ، فان مجرد الخفاء أوعدم الظهور أو الاحتمال أو التردد ، يوجب التشابه .

كما أن أهل القول الثانى : خصوا المحكم بما ليس فيه احتمال ، والمتشابه بما فيه احتمال ، ولاشك أن هذا بعض أوصاف المحكم والمتشابه ، لا كلها .

وأهل القول الثالث : فانهم خصوا كل واحد من القسمين بتلك الاوصاف المعينة دون غيرها (٢) .

واستخرج الشوكانى نتيجة المناقشة بين العلماء مبينا أن الأمر أوسع مما قالوه ، وانهم أهملوا ماهو أهم من ذلك ، مما لاسبيل الى علمه من دون تصريف ولا تحريف ، كفواتح الصور المقطعة ، كما أهمل بعضهم ماهو اخص أوصاف كل واحد منهما ، من كونه باعتبار نفسه مفهوم المعنى أو غير مفهوم فقال : سادسا : والأولى ان يقال : ان المحكم : هو الواضح المعنى الظاهر الدلالة ، أما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره ، والمتشابه : مالا يتضح معناه ، أولاتظهر دلالته لا باعتبار نفسه ، ولا باعتبار غيره (٣) .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٢٤ .

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٢٤ .

وقد اعتبر الشوكانى هذا القول : أولى بالاعتبار ، حيث وجد الأقوال المتقدمة ، قد عرفت المحكم ، ببعض صفاته ، كما عرفت المتشابه : بما لا يقابلها ، وبالنظر والتامل ، وجد ان كل قول : ياخذ ببعض جوانب المحكم والمتشابه ، ويترك البعض الآخر ، ولا شك أن مفهوم المحكم والمتشابه أوسع دائرة مما ذكروه ، وبالرغم من ذلك ، لم يكن ثم تعارض أو اختلاف ، لان بعضها يعاضد البعض الآخر .

والجدير بالذكر ان الذى يصدق عليه تفسير المتشابه هو : فواتح السور ، لانها غير متضحة المعنى ، ولا ظاهرة الدلالة لا بالنسبة الى نفسها ، ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها ، ومثل ذلك الالفاظ المنقولة عن لغة العجم ، وهكذا ما استأثر الله بعلمه كالروح ، وفى قوله تعالى : " ان الله عنده علم الساعة ... الخ " الآية .(١)

تحقيق القول فى اية آل عمران :

ان الكلام فى تأويل المتشابه له اتصال وثيق بالكلام فى صفات الله تعالى ، ووحدانيته ، والكلام فى أحدهما يلازمه الكلام فى الآخر ، والأساس فى هذا الموضوع هو أن :كلمة متشابه ، قد وردت فى القرآن الكريم فى مقابل آيات محكمات ، قال تعالى فى سورة آل عمران : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب ، واخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، ومايعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الألباب ".(٢)

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

ان الاضطراب الواقع فى مقالات أهل العلم فى هذه الآية أعظم اسبابه ترجع الى اختلاف أقوالهم فى تحقيق معنى المحكم والمتشابه (١) ، وقد اتفق المفسرون على أن فى الآية روايتين مشهورتين بالنسبة للوقوف ، وقد أدلى الشوكانى فى تحقيق ذلك بدلوه فقال :

الرواية الأولى : قد روى الوقوف على كلمة لفظ الجلالة " اللـه " فى قوله تعالى : " وما يعلم تأويله الا اللـه " يقول الشوكانى : فالذى عليه الاكثر : ان الكلام تم عند قوله " الا اللـه " هذا قول : ابن عمر وابن عباس ، وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، وأبى الشعثاء ، وأبى نهيك ، وغيرهم ، وهو مذهب الكسائى ، والفراء والاخفش ، وأبى عبيد ، وحكاه ابن جريرالطبرى عن مالك ، واختاره وحكاه الخطابى عن ابن مسعود ، وأبىّ بن كعب (٢) .

الرواية الثانية : قال القرطبى : قد روى عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على لفظ الجلالة " اللـه " عز وجل ، وأنهم داخلون فى علم المتشابه ، وأنهم مع علمهم به يقولون : آمنا به ، ومن جملة ما استدل به القائلون بالعطف : أن اللـه سبحانه مدحهم بالرسوخ فى العلم ، فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك ؟ كما روى عن مجاهد : أنه نسق الراسخين على ما قبله ، وزعم أنهم يعلمونه (٣)

فاذا كان الوقوف على لفظ الجلالة " اللـه " كان " التأويل " بمعنى : حقيقة الشىء ، وما يؤول امره اليه ، ومنه قوله تعالى : " هذا تأويل رؤياى " ، وقوله : " هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله " أى حقيقة ما أخبره من امر الميعاد ، لان حقائق الامور وكنهها لا يعلمه الا اللـه عز وجل .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٧ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٥ .
(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٣١٥ .

واذا كان الوقف على و " الراسخون فى العلم يقولون آمنا به " ، كان المراد بـ(التأويل) : التفسير والبيان والتعبير عن الشىء ، لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار ، وان لم يحيطوا علما بحقائق الاشياء على كنة ماهى عليه ، ورجح ذلك جماعة من محققى المفسرين .

قال القرطبى : قال شيخنا أبو العباس احمد بن عمر : وهو الصحيح ، فان تسميتهم الراسخين تقضى بأنهم يعلمون اكثر من المحكم ، وفى اى شىء هو رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم الجميع ؟ .

وعلى ذلك القول : يكون المتشابه متنوعا :

منه : مالم يعلم البتة ، كأمر الروح والساعة ، مما استأثر الله بعلمه ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد ، فمن قال من العلماء الحذاق : بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه ، فانما أراد هذا النوع (١) ، ويؤيد هذا التخريج ، ما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر عن ابن عباس قال : تفسير القرآن على أربعة اوجه : تفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعذر الناس بجهالته من حلال وحرام ، وتفسير تعرفه العرب بلغتها ، وتفسير لا يعلم تأويله الا الله ، فمن ادعى علمه ، فهو كذاب ، كما أخرج عنه قال : أنا ممن يعلم تأويله (٢) ، وكان يقول : وأنا من الراسخين فى العلم (٣) .

نتائج هذا التحقيق :

أولا : ان الذى كان معروفا من معانى " التأويل " عند السلف معنيان :

أولهما : بمعنى الحقيقة الخارجية والاثر الواقعى المحسوس لمدلول الكلمة ، ومنه : قول عائشة — رضى الله عنها : " كان

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٥ — ٣١٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٥ — ٣١٨ .

(٣) ابن تيمية : درء تعارض النقل والعقل جـ ١ ص ٢٠٨ .

رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن " (١)

كما أن الحقيقـة الخارجية تشمل الحقيقـة المخبر عنها ، ومن ذلك اخبار اللـه عن أمور الغيب، كالبعث ، والقيامة ، مما لا يعلم حقيقتـه كيفا وقدرا الا اللـه عز وجل : وهذا هو التأويل الذى اختص اللـه تعالى بعلمه ، كما ذكر الشوكانى عن السلف ، والذى جعله السلـف محرما على العلماء ، الا أن عدم علمنا بحقائق هذه الاشياء فى ذاتها لاتنفى علمنا بمعنى الخطاب الذى خوطبنا به فى ذلك ، لان هناك فرقا كبيرا بين علم المعنى وعلم التأويل . (٢)

ثانيهما : التأويل بمعنى التفسير والبيان ، لمن قرأ بالوقف على الراسخين فى العلم ، فهذا يجوز على أن التأويل المذكور هو تفسير القرآن وبيـان معناه (٣) ، فأهل الرسوخ يعلمون ، ويفهمون ما خوطبوا به بهـذا الاعتبار ، كما حققـه الشوكانى (٤) .

ويرى ابن تيمية : أن التأويل بهذا المعنى : هو الذى سار عليـه السلف ، وهوالتفسير المحمود المطلوب ، لانه لابد من معرفـة معانـى آيات القرآن ، وفهم ما قال الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، واستشهد على ذلك بقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحتـه الى خاتمته ، أقف عند كل آية واسأله عنها ، وقال ابن مسعـود : (مافى كتاب اللـه آية الا وانا أعلم فيما نزلت .

---

(١) أخرجه مسلم ، فى كتاب الصلاة جـ ٢ ص ٥٠ ، وأنظر البخارى جـ ٢ ص ١٥٩

(٢) ابن تيمية : سورة الاخلاص ص ١٠٤ وما بعدها ، وأنظر رسالة الاكليل ص ١٠ ــ ٢٤ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الحموية ص ٢٠٠ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٥ ــ ٣١٨ .

(٥) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٧١ .

ثانيا : فيما يدخله التأويل :

اذا كانت كلمة السلف متفقة على أن ما يتعلق بأشراط الساعة ، ووقت قيامها ، والملائكة ، وأصول الآخرة ، وغير ذلك من الأمور الغيبية ، لا يعلم تأويله الا الله بناء على أنه لا مدخل للعقل فى معرفته ، وليس لأحد علم به الا عن طريق الشرع ، فما هو مثار الخلاف بين السلف ، والفرق الكلامية فى هذا الموضوع ؟

وهنا نجد الشوكانى يوضح مثار الخلاف فيما يدخله التأويل ، بالنسبة للعقائد ، وأصول الديانات ، وخصوصا صفات البارى ، فيذكر فى ذلك مذاهب ثلاث ، مبينا آراء العلماء والمحدثين ، كابن الصلاح ، والذهبى ، وغيرهما ، كما يسجل تراجع كبار المتكلمين عن مسالكهم فى التأويل ، كالغزالى والرازى ، وامام الحرمين ، الى طريقة القرآن فى الاثبات والنفى ، وهجرهم ما سوى مذهب السلف (١) .

يقول الشوكانى : اختلف الناس فيما يدخله التأويل بالنسبة للعقائد وأصول الديانات ، وصفات البارى عز وجل على مذاهب ثلاث .

الأول : أنه لا مدخل للتأويل فيها ، بل تجرى على ظاهرها ولا يؤول شىء منها ، وهذا قول المشبهة .

الثانى : أن لها تأويلا ، ولكنا نمسك عنه ، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل لقوله تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " قال ابن برهان : وهذا قول السلف .

قال الشوكانى : قلت : وهذا هو الطريقة الواضحة والمنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع فى مهاوى التأويل ، لما لا يعلم تأويله الا الله ،

---

(١) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ — ١٧٧ .

وكفى بالسلف الصالح قدوة لمن اراد الاقتداء ، واسوة لمن أحب التأسى ، على تقدير عدم ورود الدليل القاضي بالمنع من ذلك ، فكيف وهو قائم موجود فى الكتاب والسنة ؟ (١) .

الثالث : أنها مؤولة :

قال ابن البرهان : والأول من هذه المذاهب باطل ، والآخران منقولان عن الصحابة .

قال أبو عمرو بن الصلاح : الناس فى هذه الاشياء الموهمة للجهة ونحوها فرق ثلاث : فرقة تؤول ، وفرقة تشبه ، وثالثة ترى أنه لم يطلق الشارع مثل هذه اللفظة ، الا واطلاقها سائغ ، وحسن قبولها مطلقة ، كما قال : مع التصريح بالتقديس ، والتنزيه ، والتبرى من التحديد والتشبيه ، قال : وعلى هذه الطريقة مضى صدر الامة وسادتها ، واختارها أئمة الفقهاء وقادتها ، واليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، وأفصح الغزالى فى غير موضع بهجر ماسواها فى كتابه " الجام العوام " الذى حث فيه على مذهب السلف (٢) .

قال الشوكانى : قال الذهبى فى النبلاء (٣) ، فى ترجمة فخر الدين الرازى ما لفظه : رأيت اقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ فى الاثبات ـ الرحمن على العرش استوى ـ (٤) اليه يصعد الكلم الطيب (٥) ـ واقرأ فى النفى ـ ليس كمثله شىء (٦) .

---

(١) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(٣) كتاب سير اعلام النبلاء ، حققه الاستاذ شعيب الارناؤوط وآخرين فى ٢٣ مجلد ط مؤسسة الرسالة بيروت .

(٤) سورة طه : أية : ٥ .

(٥) سورة فاطر : آية : ١٠ .

(٦) سورة الشورى : اية : ١١ .

كما ذكر الذهبى عن امام الحرمين الجوينى قوله : " الذى نرتضيه رأيا ، وندين الله به عقدا ، اتباع سلف الأمة ، وقال فى موضع آخر : اشهدوا علىّ أنى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف .

وقد ذكر الشوكانى هذا معقبا على ذلك ، وحامدا لله على نعمة التوفيق والهداية لما اختلف فيه من الحق ، ورجوع كبار المتكلمين بعد طول الحيرة الى مذهب السلف فقال :

وهؤلاء الثلاثة الذين رجعوا الى مذهب السلف : أعنى الجوينى ، والغزالى ،والرازى ، هم الذين وسعوا دائرة التأويل ، وطولوا ذيوله ، وقد رجعوا اخرا الى مذهب السلف ، فلله الحمد كما هو له أهل .(١)

ومن هنا تجلى لنا وفاء الشوكانى لمنهج التأويل على المذهب السلفى ، كما ينبغى ان يفهم أن السلف كفوا عن أنفسهم البحث فى كيفية البارى ذاتا وصفات مع علمهم بأن آيات الصفات كلها لها معان مفهومة وصحيحة من غير تأويل لها ، ومرادهم بالتأويل : التحريف المقصود الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره .(٢)

---

(١) الشوكانى : ارشاد الفحول ص١٧٦ ، ٢٧٧ .

(٢) د . الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٦٣ .

موقف الزيدية من التاويل ، ومناقشة الشوكانى لهم :

أولا : موقف الزيدية من التأويل :

قبل الكلام عن موقف الزيدية من التاويل ، يجدر بنا أن نذكر نبذة يسيرة عن الامام الذى تنتسب هذه الفرقة اليه ، وكيف اتصلت بالمعتزلة ، واعتنقت مبادئها ، وعملت بأصولها .

تنسب الزيدية الى الامام زيد بن على (١) ـ رضى الله عنه ـ الذى خرج للجهاد ، موجها كلامه الى اصحابه يقول : " انى أدعو الى كتاب الله ، وسنة نبيه ، واحياء السنن ، واماتة البدع ، فان تسمعوا يكن خيرا لكم ولى ، وان تأبوا فلست عليكم بوكيل " (٢) .

وهو الذى قال لأحد اصحابه : " اما ترى هذه الثريا ، أترى أحدا ينالها ؟ قال صاحبه : لا ، قال : والله لوددت ان يدى ملصقة بها فأقع على الارض أو حيث اقع ، فأتقطع قطعة قطعة ، وان الله يجمع بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم " (٣) .

ومن هنا ندرك ان نيته ـ رضى الله عنه ـ كانت تطمح الى امرين :

احدهما : اقامة الحكم على اساس من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيعود الناس الى السنن التى كانوا عليها فى عهد

---

(١) هو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب ولد سنة ٨٠هـ ، قتل شهيدا فى ميدان الدفاع عن الحق سنة ١٢٢ هـ وكانت سنة لاتتجاوز الثانية والاربعين .

(٢) ابن كثير تاريخ ابن كثير جـ ٩ ص ٣٣٠ .

(٣) مقاتل الطالبين : ص ١٢٩ .

السلف الصالح ، وتموت البدع المستنكرة .

الأمر الثاني : اصلاح مابين أمة محمد صلى اللـه عليه وسلم .

فذلك غايته التي ينتدبها لنفسه (١) .

هذا هو الامام زيد ، اما الذين يحملون اسم الزيدية ، وينتسبون اليه ، قد توزعتهم الأرض ، ولم يجتمعوا في مكان واحد ، وكلهم يدعى أنه يمثل بآرائه ذلك الامام ، وان الصدق عنده .

وزيدية اليمن هم والمعتزلة فرقة واحدة ، فهم يطبقون مبادىء المعتزلة واصولهم الخمسة ، ويعتنقونها بكل مواردها الا في شيء يسير من مسائل الأمامة ، يقول الشيخ المقبلي : " ان زيدية اليمن معتزلة في كل مواردها الا في شيء يسير من مسائل الامامة (٢) ، كما أنهم يدينون بالعدل والتوحيد ، والوعد والوعيد (٣) ، وان من يطلع على تصانيف ائمتهم ومؤلفاتهم يجدها كلها كلمات الجبائية بعينها ، مع تصريحهم بقولهم : "والمختار كلام شيخنا ابو علي او ابي هاشم ، ونحو ذلك ... " (٣)

ويرجع اعتناق الزيدية لمبادىء الاعتزال ، والعمل باصولهم الى صلة استمرت بينهم فترة طويلة ، وتاريخ عريق كان أساسه : الامام القاسم الرسي ، (٤)

---

(١) أبو زهرة : الامام زيد ص ٦ .

(٢) المقبلي : العلم الشامخ ص ٩٨ .

(٣) عبد اللـه بن حمزة : الشافي : ١/ق ٦٢ .

(٤) هو نجم الدين آل الرسول ، وفقيههم ، وعالمهم المبرز في أصناف العلوم كان بمصر داعيا الى اخيه محمد بن ابراهيم ، فبلغه انه قتل ، فأزمع على القيام ، فبث الدعاة في الاقطار فأجابه خلق كثير ، وبقي في مصر عشر سنوات مستترا ، طلبه عبد اللـه بن طاهر عامل المأمون بمصر ، فعاد الى الحجاز ، واستتر بجبل الرس بالقرب من المدينة ، توفي سنة ٢٤٦ بالمدينة . (أنظر المسلك الحسن والمسلك الواضح السنن : (ق١٨٢) .

وحفيده الامام الهادى (١) الذى كانت علاقته بالمعتزلة أظهر ما تكون من علاقة ، فقد كان شيخه فى الاصول ، أبا القاسم البلخى ، فعليه أخذ الاصول ، وعلم الكلام ، ولذلك ترى أقواله فى الأصول ، متابعة لأبى القاسم فى الغالب (٢) .

ومن ذلك عرفنا مدى اتصال الزيدية بالمعتزلة وكيف كان الاعتزال مؤثرا على عقيدتها ، وأساسا تتبنى عليه اصولها ؟ والآن نعود الى موقف الزيدية من التأويل .

بناء على ما تقدم ، وما علم من اعتناق الزيدية لاصول الاعتزال ، وايجابها على المتكلمين أن يعلموها كما قال القاسم الرسى : "" من لم يعلم فى دين الله خمسة أصول فهو ضال مضل جهول " (٣) بناء على ذلك : نرى الزيدية

---

(١) هو الامام الهادى الى الحق يحى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم ابن اسماعيل الرسى مؤسس الدولة الزيدية فى اليمن ، ولد بالمدينة سنة ٢١٥ هـ ، قام بامر الامامة سنة ٢٨٠ هـ ، بعد أن دعاه لها اهل اليمن ، وتوفى سنة ٢٨٩ هـ ، قام فى صعدة ، وأصلح من قبائلها ، ودخل فى حروب كثيرة مع القرامطة ، ومن اشهر مؤلفاته " جامع الاحكام فى الحلال والحرام ، ومجموع رسائل العدل والتوحيد " صنفها ونشرها د . محمد عمارة .
(أنظر غاية الامانى جـ ١ ص ١٩٨ ، وأنظر قائمة هذه المؤلفات للهادى فى مصادر الفكر العربى فى اليمن ص ٥٠٨ ـ ٥١٧) .

(٢) يحى بن الحسين : الزهر واعيان العصر ١/ق ١٨ .

(٣) د . محمد عمارة : رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٦٤٢ .

لكى يسلم لهـا هذه الاصول ، جعلت العقل مقدما على الشرع ، واعتبـرت الشرع فرعا لا يثبت الا بالعقل فهم يقولون : " العقل آمن أمين ، وأفضـل قرين ، فأستأمنه على احوالك ، وجميع خلالك " (١) .

كما أن الزيدية قد مجدت العقل تمجيدا لا نظير له حيث جعلـت صحته أصلا لحجتى القرآن والسنة ، فجعلت له الاسبقية عليهـا ، يقـول القاسم الرسى : " احتج المعبود على العباد بثلاث حجج : العقـل ، والكتاب ، والرسول . بحجة العقل يعرف المعبود ، وبحجة الكتاب تم معرفة التعبد ، وجاءت حجة الرسل بمعرفة العبادة ، والعقل اصل الحجتيـن الاخيرتين ، لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما " (٢) .

ومن هذا المنطلق التزمت الزيدية ، كالمعتزلة بالعقل ، وبمبادئه ، وأخضعت الدين له ، وجعلته الحكم فى كل شىء ، فوجهت القرآن وجهـة تتفق مع اصولهـا الخمسة ، فما فيه من آيات يرون أنهـا تشهد بظاهرهـا لمذهبهم ، اقروها على ظاهرها ، وما وجدوه يتعارض مع اصولهم قالـوا : أنه من المتشابه (٣) .

فاذا لم يتفق القرآن مع مذهبهم أولوه ، وأخرجوه عن معانيه ، ففـى مبدأ التوحيد ، يرى عقل الزيدية ويقرر : أن مفهوم التوحيد يقضى بتنزيـه اللـه عن كل ما يوهم التجسيم او التشبيه بمخلوقاته ، ومن ثم أخرجوا كثيـرا

---

(١) ذكره القاسم الرسى فى كتابه : " المكنون " أنظر د . أحمد محمـود صبحى : الزيدية ص ١٢٣ .

(٢) القاسم الرسى : أصول العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة ص ٦٧ـ٩٧

(٣) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلـة جـ ١ ص ١٠٠ .

من الآيات عن ظاهرها ، ونفوا الصفات " فتمام التوحيد عندهم نفى الصفات والتشبيه لخلقه " (١)

وهكذا اشتمل تأويل الزيدية على الصفات الخبرية ، ينفونها ولا يثبتونها لله تعالى ، ويؤلون الآيات التى تثبت هذه الصفات ، فهم لا يثبتون الوجه واليدين وغيرها من الصفات الخبرية . (٢)

فمثلا الزيدية يؤلون قوله تعالى : " خلقت بيدى " (٣) أى خلقت بقدرتى وعلمى ، يريد أنى على ذلك قادر وبه عالم وتوليت ذلك بنفسى ، وقوله تعالى : " والسموات مطويات بيمينه " (٤) يعنى فى قدرته (٥) ، وغير ذلك من الصفات مما سيكون له زيادة بيان فى فصل الصفات بعد ذلك ان شاء الله تعالى .

هذا موقف الزيدية تجاه الآيات القرآنية أما موقفها تجاه النصوص النبوية والاحاديث المتعلقة بذات الله وصفاته ، فلم يكن بأحسن حال من موقفهم من القرآن فقد وقفوا حيالها بنفس المنطق ، ونفس الأسلوب .

عرضت الزيدية الحديث النبوى المتعلق بالذات أو الصفات الثابتة لله ، على مبدأ العقل ، فما وجدوه متفقا معه قبلوه ، وما رأوه مخالفا رفضوه ، اذا لم يجدوا له تأويلا يحتمل اللفظ .

---

(١) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢١٧ .

(٢) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ١ / ١٤٦ ، وأنظر البحر الزخار لابن المرتضى جـ ١ ص ٥٩ .

(٣) سورة ص : آية : ٧٥ .

(٤) سورة الزمر : آية : ٦٧ .

(٥) العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد المجيد ، المخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى .

وعلى هذه القاعدة العقلية ردت الزيدية الاحاديث التى تتعارض مع التنزيه الزيدى المعتزلى والتى ظاهرها فى نظرهم يوهم التشبيه ،كأحاديث الروءية[١] .

فهم فى ذلك كالمعتزلة ، يقول الشيخ أبو زهرة : " والزيدية فى قبولهم الحديث كالمعتزلة الى حد ما ، فى تفريقهم مابين نوعين من الاحاديث ، احاديث تتعلق بالعبادات والمعاملات ، وأخرى تتعلق بالاعتقادات . فالأولى متلقاة بالقبول[٢] . أما النوع الثانى من الاحاديث الخاصة بالاعتقاد ، فان كان من قبل الأحاد ،فلا يوءخذ به .[٣] لانه لا يوءخذ بخبر الاحاد فى مسائل أصول الدين[٤] .

بينما ترى الزيدية : أن مايحكم به العقل باستحسانه فانه يعد عندهم من أصول الفقه القطعية على مقتضى نظرهم ونظر المعتزلة[٥] .

أما ان كان الحديث متواترا ، ويتعارض مع اصول الزيدية فى العدل والتوحيد ، اولوه الى مايتناسب مع هذه الاصول أو ردوه بالطعن فى روايته أو عارضوه بأحاديث أخرى[٦] .

فمثلا من الاحاديث التى ردوها : أحاديث اثبات روءية الله تعالى ، فقد طعنوا فى رواية جرير بن عبد الله البجلى واتهموه بالكذب[٧].

---

(١) ابن الوزير : الروض الباسم ١/ ٩١ .

(٢) أبو زهرة : الامام زيد ٣٧٥ .

(٣) الامام القاسم بن محمد : الجواب المختار ق ٦ مخطوط .

(٤) أبو زهرة : الامام زيد ٣٨٠ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) محمد عارف : أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة رسالة ماجستير بكلية دار العلوم القاهرة ص ٩١ .

(٧) ابن الوزير : الروض الباسم ١/ ٩١ .

وعارضوا الأحاديث التى تثبت الشفاعة لأهل الكبائر (١) .

أما المحكم والمتشابه عند الزيدية : فقد قسموا القرآن الى محكم ومتشابه ، وعدوا المحكم أصلا للمتشابه ، يفسرونه اعتمادا عليه ويرجعونه اليه (٢) .

وتضع الزيدية فى عداد المحكم كل الآيات التى تؤيد ماذهبت اليه ، كما تضع فى عداد المتشابه كل الآيات التى يظهر منها القول بما يخالف ما ذهبت اليه ، فمن أمثلة الآيات المحكمة قوله تعالى : " ولم يكن له كفوا أحد " (٣) وقوله تعالى : " ليس كمثله شىء " (٤) وقوله : " لا تدركه الأبصار " (٥) .

ومن أمثلة الآيات المتشابهة ، قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٦) لانها توحى بامكان الرؤية البصرية لله ، وما " هو " يفهم منه الجبر والتسيير : قوله تعالى : " ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء " (٧) .

ثم تقرر الزيدية بعد ذلك : أن الواجب الاخذ بالمحكم ، والاقرار بأن المتشابه من الله ، وتتخذ هذا الموقف من القرآن ، لتنفى عنه مظنة التناقض بين آياته (٨) .

---

(١) كحديث : " شفاعتى لاهل الكبائر من امتى " أخرجه أبو داود ٣٤ كتاب السنة ٢٣ باب الشفاعة ١٠٦/٥ تحقيق الدعاس .

(٢) على محمد زيد : معتزله اليمن ص ١٤٨ .

(٣) سورة الاخلاص : آية : ٤ .

(٤) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٥) سورة الانعام : آية : ١٣٠ .

(٦) سورة القيامة : اية : ٢٢ .

(٧) سورة الاعراف : آية : ١٥٥ .

(٨) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٤٨ ، وأنظر القاسم الرسى رسائل العدل والتوحيد ١/ ٩١ ـ ٩٧ .

ومن منهج الزيدية : اهتمامها بتحديد معنى المصطلحات وذلك لتنفى مظنة التناقض بين آيات القرآن الكريم وجعلها تشهد للعقل وتزامل حججه ، فهى تبحث عن التحديد الدقيق لمعانى المصطلحات لتحديد معنى موضوع الجبر والاختيار ، وتستخدم فى تحديد المصطلح الاستقراء ، ومعرفة ملابسات نزول الآيات وظروفها ، وتفسيرها للمتشابه اعتمادا على المحكم كما فعل الامام الهادى فى رده على المشبهة والمجبرة (١) .

كما تستعين الزيدية باللغة العربية والبلاغة فى تحديد المصطلحات، فالقرآن نزل بلغة العرب ولا يمكن فهمه بدون معرفة هذه اللغة معرفة دقيقة ، ومعرفة الاستخدام الصحيح للكلمة ، لذلك نراهم يستعينون بالشواهد الشعرية التى وردت منها الكلمة لمعرفة استخداماتها البليغة.

والحق أن من الزيدية رجالا يهدون بالحق وبه يعدلون ممن علموا الحديث والاثر ، كعلامة اليمن ابن الوزير ، وتابعه الشوكانى على ذلك وغيرهما ، لم يرض هؤلاء عن طريقة المتكلمين كالمعتزلة ومن تابعهم من الزيدية فى تجاوزهم قواعد اللغة ، وأصول التفسير ، وتوسعهم فى استعمال المجاز حتى جعلوا كل ما يخالف معتقدهم مجازا (٢) .

وقد نقدهم ابن الوزير وندد بطريقة المتكلمين فيما ذهبوا اليه من أمر المحكم والمتشابه فيقول : وقع المتكلمون فى عدة أخطاء :

١ — دعواهم : أن الراسخين فى العلم يعلمون المحكم والمتشابه .

٢ — اختلافهم فى تمييز المحكم والمتشابه ، حتى أن ما تعده فرقة محكما تعده المخالفة لها متشابها .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٨ ، وأنظر رسائل العدل والتوحيد ١/١٩ .

(٢) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ١٥٥ .

٣ — التباس الأمر عليهم ، وخلطهم بين المتشابه وبين المجاز (١) .

كما وضح ابن الوزير أضرار طرق المتكلمين البدعية ومرجعها في دين الله تعالى ، وكيف نشأت هذه الضلالات ؟

فذكر أن منشأ هذه البدع يرجع الى امرين :

أولا : الزيادة في الدين ، واثبات مالم يذكره الله تعالى ورسله ، وذلك : بالتأويل الباطل ، وذلك بخوض المبتدعة فيما لا تدركه العقول ، من الحيثيات التي أعرض عنها السلف ، وكذلك اختلافهم في معرفة المحكم والمتشابه ، والتمييز بينهما ، ورد المتشابه الى المحكم ، واختلافهم هل يعلمون تأويل المتشابه ؟ ، وكذلك اختلافهم في تأويله على فرض أنهم عرفوا المتشابه .

ثانيا : النقص في الدين : ومرجعه رد النصوص ، واعتبار حقائقها مجازا ، من غير طريق قاطعة توجب التأويل (٢) .

تبين فيما سبق أن الشوكاني في موضوع التأويل سلفي المذهب ، لا يخرج في آرائه عن آراء السلف ، ولا يجامل المتكلمين أو أصحاب مذهبه — لمجرد التعصب — وانما يظهر ما يعتقده ويدافع عنه بالأدلة التي ساقها السلف في مثل هذه الموضوعات ، وسوف يتضح لنا من خلال مناقشته لأصحاب مذهبه ، وهم الزيدية : أنه يخالفهم في معتقدهم ، بل ويرد عليهم لعله يستجيب للحق الذي هو عليه أحد ، وقد كان له تأثيره بالفعل حيث تابعه من الزيدية الكثير من التلاميذ وقد ترجمت لبعضهم فيما سبق (٣) .

---

(١) ابن الوزير : ايثار الحق على الخلق ص ١٣٦ — ١٣٩ ، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٣) أنظر ص بهذه الرسالة .

ثانيا : مناقشة الشوكانى للزيدية فى التأويل :

لقد ناقش الشوكانى الزيدية فى عدة أمور خالفوا فيها ماكان عليه السلف الصالح فى هذا الموضوع :

ناقشهم فيما أعطوه للعقل من سلطان لانظير له ، كما ناقشهم فى صرفهم النصوص عن حقائقها بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات ، كما بين فى هذه المناقشة خطاهم فى الاخذ باصطلاح المتأخرين فى مفهوم التأويل ، وأخيرا تكلم معهم فى الطريق الذى سلكوه فى معنى المحكم والمتشابه مبينا المضائق والمزالق التى وقعت فيها طوائف أهل علم الكلام ·

أولا : العقل :

يرى الشوكانى كما ترى السلفية : أن الزيدية أسرفت حين أعطت العقل سلطانا لا نظير له ، فجعلت حجته مقدمة على حجتى الكتاب والسنة (١) ، فالتزمت بمبادىء العقل وأخضعت الدين له ، واذا تعارض العقل والنقل وجب عندها تقديم العقل ، لانه الاصل ، وهذا انما يدل على النزعة العقلية ، التى غلبت على الزيدية والمعتزلة ، وجعلتهم يقررون هذه الديانة العقلية ·

فكانت الزيدية بهذه المبادىء العقلية كالمعتزلة الذين كانوا يعولون على العقل أكثر ما يعولون على نصوص القرآن (٢) ·

كما رأت الزيدية كالمعتزلة ان العقل يحكم ويقرر أن مفهوم التوحيد يقتضى تنزيه الله تعالى عن كل ما يوهم التجسيم ، او التشبيه بمخلوقاته ،

---

(١) محمد عمارة : أصول العدل والتوحيد ص٧٦ — ٩٧ ·

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٠٥ ·

ومن ثم صرفوا كثيرا من الآيات التى تشير بظاهرها فى نظرهم الى التجسيم معانى أخرى مجازية كما بينت ذلك من قبل ص ١٠٩ ٠

وهنا يرد الشوكانى عليهم : ويقرر ما ينبغى أن تبنى عليه العقائد من الأصول فيقول : اصول الدين الذى هو عمدة المتقين ، مافى كتاب الله تعالى، الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المظهرة، وليسعك ما وسع خير القرون ٠٠٠ وهو الايمان بما ورد " (١)

ثم بين الشوكانى فساد ما التزمت به الزيدية من مبادئ العقل الذى أخضعت له الدين ، والذى عولوا فيه على العقل أكثر مما عولوا على نصوص القرآن ، وقدموا العقل على الكتاب والسنة فقال :

" ان غاية ما تدركه العقول ،وجل ما تصل اليه ثبوت البارى ، وأن هذه الموجودات لهـا موجد ، وما عدا ذلك من التفاصيل ، لا يستفاد من العقل، بل من ذلك النقل الذى عنه جاءت ، والينا به وصلت " (٢) ٠

" والعقل الصريح دائما موافق للرسول لايخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب ، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان ، (٣) والله تعالى أمرنا أن لا نقول بخلاف الكتاب والسنة قال تعالى : " يا أيها الذين امنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله " (٤) ٠

يقول ابن تيمية : " لو قدر عارض العقل للشرع لوجب تقديم الشرع ، لأن العقل قد صدق الشرع ومن ضرورة تصديقه له ، قبول خبره ، والشرع لم يصدق العقل فى كل ما أخبر به ٠٠٠ لأن العقل يغلط كما يغلط الحس وأكثر من

---

(١) الشوكانى : كشف الشبهات عن المشتبهات ، ضمن الرسائل السلفية ص ١٩ ، ٢٠ ٠

(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ضمن الرسالة السلفية ص ٢ — ١٢ ٠

(٣) ابن تيمية : تفسير سورة الاخلاص ص ١٥٥ ٠

(٤) تفسير المراغى: سورة الحجرات آية : ١ ٠

غلطه بكثير (١) ، واتباع الرسل قدموا الوحى على الرأى والمعقول ، واتباع ابليس أو نائب من نوابه قدموا العقل على النقل (٢) .

ثانيا : مناقشة موقف الزيدية حيال النصوص :

يرى الشوكانى كما ترى السلفية : أن الزيدية وقفت حيال النصوص موقف المبتدعة ، فاستخرجوا معانى النصوص ، وصرفوها عن حقائقها ، بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات ، ومستكرهات التأويلات ، فأولوا الآيات القرآنية التى جاءت فى معناها ، تأويلات تتناسب وأدلتهم العقلية فى نفى الصفات ، وقالوا : ان الاستدلال بالسمع فى هذه المسألة لايجوز ، وهو استدلال بالفرع على أصله (٣) .

فكانت نظرة الزيدية تجاه النصوص : أن الاستدلال بها لايجوز فى اثبات الصفات ، اذ هو استدلال بالفرع على اصله ، وأن مسألة الصفات من القضايا الاعتقادية التى لايصح الاستدلال فيها الا بالعقل ، يقول القاضى عبد الجبار فى المحيط : " كل ماكان مما لايجوز الا على الأجسام يجب نفيه عن الله تعالى ، واذا ورد فى القرآن آيات تقتضى التشبيه وجب تأويلها ، لأن الالفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال (٤) .

وهكذا بالغت الزيدية والمعتزلة فى التأويل حتى نفوا الصفات الالهية ومنها وصلوا الى التعطيل ، وأنكروا الصفات الخبرية جميعها (٥) ، كما

---

(١) ابن تيمية درء التعارض العقل للنقل جـ ص .

(٢) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٦٢ .

(٣) أحمد عارف : أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين المعتزلة والزيدية ص ١٧٠ رسالة ماجستير بكلية دار العلوم بالقاهرة .

(٤) القاضى عبد الجبار : المحيط بالتكليف ص ٢٠٠ .

(٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ١٠٢ .

سنبين فى الفصول القادمة .

ويرد الشوكانى على الزيدية : مستنكرا عليهم وعلى من لم يكتف بالوحى كما قال تعالى : " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم " (١) قال الشوكانى : " ان الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة هو ماكان عليه خير القرون " فقد كانوا " لا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون ، وجاء من بعدهم " يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال " ويحذرهم منها " كما فعله التابعون — رحمهم الله — بالجعد بن درهم ومن انتحل نحلته الباطلة " (٢)

كما رد الشوكانى على هؤلاء الزيدية فى موقفهم حيال النصوص ، وتعطيلهم للصفات ، بمقالة أهل السلف : " ان اقرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة ، والتابعين " (٣) " وأن التأويل الصحيح هو الذى يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة (٤) ، يقول ابن قيم الجوزية : " ان كل تأويل يعود على أصل النص بالابطال فهو باطل ، كالتأويل الذى يوجب تعطيل المعنى ، الذى هو غاية العلو والشرف ، ويحطه الى معنى دونه بمراتب ، كتأويل الجهمية " " وهو القاهر فوق عباده " (٥) ونظائره بأنها فوقية الشرف ، فعطلوا حقيقة الفوقية المطلقة التى هى من خصائص الربوبية (٥) .

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ٥١ .

(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٤ .

(٣) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى ص ١٢ .

(٤) سورة الأنعام : آية : ١٨ .

(٥) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ص ١٦ .

ثالثا : مناقشة الزيدية حيال المحكم والمتشابه :

علمنا فيما سبق أن الزيدية ، وضعت الآيات التى يظهر منها القول بما يخالف ما ذهبت اليه فى عداد المتشابه ، ثم ترده الى الآيات التى زعمت أنها محكمة ، ومن ذلك قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (١) باعتبارها من المتشابه ترد الى قوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " (٢) وقوله : " ليس كمثله شىء " (٣) باعتبارها محكمات ، وذلك لأن الآية الأولى توحى بما يفهم منه الرؤية البصرية ، ويوهم بالتجسيم والتشبيه ، ويتنافى فى زعمها مع التنزيه ، وتفعل فى الآيات التى تتعارض مع مبادئها وقواعدها نفس العمل ، واتخذت هذا الموقف من القرآن لتنفى عنه مظنة التناقض بين آياته " (٤) .

ويرد عليهم الشوكانى مبينا ما وقعوا فيه من المزالق والمضائق لطوائف أهل الكلام " حتى صارت كل طائفة تسمى ما دل لما ذهبت اليه محكما ، وما دل على ما يذهب اليه من يخالفها متشابها (٥) .

ثم قطع الشوكانى على هؤلاء الطريق بما ورد عن السلف فيما يصدق عليه تفسير المتشابه فذكر : " فواتح السور ، وما استأثر الله بعلمه كالروح ، وما فى قوله — ان الله عنده علم الساعة ... الخ الآية (٦)

---

(١) سورة القيامة : آية : ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٣ .

(٣) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٤) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٤٨ .

(٥) السوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣١٤ — ٣١٧ .

(٦) المصدر السابق : نفس الصفحات .

وتصديقا لذلك يقول ابن تيمية : المحكم : ما علم العلماء تأويله ، والمتشابه : مالم يكن للعلماء الى معرفته سبيل كقيام الساعة (١) .

وبناء على ذلك ترى السلفية : ان آيات الصفات من الآيات المحكمات، وأن المتشابه لايعلم تأويله الا الله ، كالامور الغيبية ، وأحوال الاخرة ، وعلى ذلك ترد السلفية قول كل من يروى عن السلف أنهم يقولون بأن آيات الصفات من المتشابه ، وينبغى أن يعلم أن الذى كف السلفية عن الخوض فيه بالنسبة للصفات هو : البحث عن كيفية الصفة ، فلا يقال عندهم كيف ؟ لأن الكيف عنه مرفوع (٢) ، " فالمذهب الحق فى الصفات ، هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل (٣) " ومراد السلف بالتأويل ، التحريف المقصود الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره (٤) " .

---

(١) ابن تيمية : سورة الاخلاص : ١٣٠ .

(٢) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة : جـ ١ ص ١٣٥ .

(٣) الشوكانى : التحف فى مذاهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٨ .

(٤) د . الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٦٣ .

الفصل الثـــــــانى

الاستدلال على وجود اللــه ومنهجـــه فيـــه

ويشتمل على :

* تمهيـــــــد
* المنهج الذى اختاره الشوكانى فى الاستدلال .
* أدلته على وجود اللــه تعالى .
* أ — دليل الفطرة .
  ب — الاستدلال بالآيات .
  جـ — الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة .
* منهج الزيدية فى الاستدلال على وجود اللـــه .
  * — معرفـة الله عند الزيديـة .
  * — كيف يستدل الزيدية على وجود اللــه ؟
  * — مناقشة الشوكانى للزيدية فى منهجهم .
  * — نقد العلماء لهذا المنهج الكلامى .

تمهيـــد : هناك منهجان فى الاستدلال على وجود اللـه تعالى :

أحدهمـا : المنهج القرآنى •

وثانيهمـا : المنهج الفلسفى الكلامى •

ويختلف كل منهما فى خط سيره بداية ونهاية •

أما المنهج الكلامى : فقد رجح المتكلمون جانب العقل وتطرفوا فى تقديـــره ، فحكموا باستقلاله وكفايته فى الوصول الى قضايا الدين الاساسية ، مثل العلم بوجود الصانع وقدرته ونحو ذلك ، ونفوا صفات اللـه ــ عز وجل ــ متاوليـن ما ورد فيهـا من النصوص ، فمنهج المتكلمين على هذا بعيد عن الحق لانهم يسلمون بقضية عامة وهو أنه ، اذا تعارض العقل والنص وجب تقديم العقـل ، فيحكمون عقولهم فى مسائل العقيدة ويتلاعبون بالنصوص • فاذا كانت ثابتة بحيث لا يمكن ردها جعلوها من المتشابه والا بادروا الى انكارها •

يقول ابن تيمية فى منهج المتكلمين والفلاسفـة : " وعمدة الكلام عندهم ، ومعظمه ، تلك القضايا التى يسمونها العقليات وهى أصول دينهم ، وقـد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة ومنهم قسم بنوا على هذه العقليات القياسية ، جميع الاصول العلمية ، والعملية ، كالمعتزلة ، ولا شك أن هؤلاء هم المتكلمة المذمومون عند السلف لكثرة بنائهم الدين على اساس القياس الفاسد الكلامى ، وردهم لما جاء به الكتاب والسنة ، والآخرون لما شاركوهم فى ذلك لحقهم من الذم والعيب ، بقدر ما وافقوهم فيه ، وهو موافقتهم فـى كثير من دلائلهم ، التى يزعمون أنهم يقررون بهـا اصول الدين ، والايمان ، وفى طائفـة من مسائلهم التى يخالفون بهـا السنن والآثار وما عليـه اهـل العقل والدين • (١)

---

(١) ابن تيمية : مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢ ص ٧، ٨ •

وهذه الأصول التى ابتدعوها برأيهم يعرض عليها القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا ، وان خالفه فتارة يحرفون الكلام عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله ، وعمدة الطائفتين على غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .(١)

أما المنهج القرآنى : يجعل فاتحة دعوته ودعوة الرسل جميعا : هو الدعوة الى عبادة الله ، ومن المعلوم " أن التوحيد أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل "(٢) قال تعالى : لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(٣) وقال هود عليه السلام لقومه : " اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله (٤) ، ولهذا كان الصحيح ان أول واجب على المكلف : شهادة أن لا اله الا الله ، لا النظر ، ولا القصد الى النظر ، ولا الشك ، كما يقول ارباب الكلام المذموم ، بل ائمة السلف متفقون على ان أول ما يؤمر به العبد ، الشهادتان "(٥) .

---

(١) د . محمد خليل هراس : ابن تيمية السلفى ص ٣٨ ، ٣٩ ط دار الكتب العلمية بيروت .
(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جزا ص ٦٥
(٣) سورة الأعراف : آية : ٦٥ .
(٤) الحديث رواه الامام مسلم فى الايمان ٣٢ ، والبخارى فى الايمان ١٧ ، ٣٨ ، ورواه أبو داود فى الجهاد ، والترمذى فى التفسير سورة ٨٨ ، والنسائى فى الزكاة ٣ ، وابن ماجه فى الفتن ١ - ٣ ، والدارمى فى السير ١٠ ، وأحمد بن حنبل جـ ٤ ص ٨ .
(٥) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٦٥ .

فأصل العلم عند أصحاب هذا المنهج السلفى : هو العلم بالله ، لا الحس ، ولا البدهيات ، والحجة لا تقوم على الناس الا ببعثة الرسل (١) ، قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢)

بعد أن وضح أمامنا كل من هذه المناهج ياترى ماهو المنهج الذى ارتضاه الشوكانى فى الاستدلال على وجود الله تعالى ؟ .

المنهج الذى اختاره الشوكانى :

وجد الشوكانى فى القرآن الكريم ، ومنهجه ما أغناه عن أدلة المتكلمين ، كما وجد فيه من الأدلة والبراهين العقلية الصريحة ما يناسب جميع الخلق ، كما أنها أكثر دلالة على مطلوب الشرع من أدلة المتكلمين التى لا تدل الا على مطلوبهم لا مطلوب الشرع .

يقول الشوكانى : " قد أخبرنا الله تعالى فى كتابه أنه " قد أحاط بكل شىء علما " فقال : " ما فرطنا فى الكتاب من شىء " (٣) وقال " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة " (٤) ، كما أمر عباده أيضا فى محكم كتابه ، باتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال سبحانه : " وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا " (٥) وقال : " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " (٦) فكل حكم سنه الرسول

---

(١) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٣٣ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ١٥ .

(٣) سورة الانعام : اية : ٣٨ .

(٤) سورة النحل : اية : ٨٩ .

(٥) سورة الحشر : اية : ٧ .

(٦) سورة الاحزاب : اية : ٢١ .

صلى اللــه عليه وسلم لأمته ، قدذكره اللــه تعالى فى كتابه العزيز (١) .

وهكذا من ينظر فى القرآن يجده كله حديثا عن الايمان باللــه ، اما حديث مباشر عن اللــه تعالى ذاته وصفاته ، وأسمائه ، وأفعاله ، واما دعوة الى عبادته وحده لا شريك له ، وهذا كله تعريف باللــه ، ودعوة للقيام بحقــه ، ونهى عن صرف ذلك لغيره (٢) .

فالقرآن اما دعوة الى التوحيد ، بمعنى افراد اللــه بالعبادة ، واما أمر بطاعته ، ونهى عن معصيته ، وهذا من لوازم الايمان ، واما اخبار عن أهــل الشرك ، وما فعل بهم من النكال ، وما يفعله بهم فى العقبى من العذاب (٣) .

من أجل هذا كله قد اختار الشوكانى القرآن منهجا أغناه عن أدلــة المتكلمين التى لا تدل على مطلوب الشرع فى الاستدلال على وجود اللــه .

أدلته على وجود اللــه :

سلك الشوكانى فى الاستدلال على وجود اللــه اتجاهين كلاهما يمكن الاستدلال به على وجود الصانع .

الاتجاه الأول : لجوؤه الى الفطرة السليمة التى لم تغيرها أصناف الشرك ، وألوانه ، وتضطر بطبعهــا الى الاقرار بوجود الرب الخالق .

الاتجاه الثانى : الاستدلال بالآيات التى هى أدل على المقصود من الاستدلال بالأقيسة والبراهين ، وهذه الآيات تشمل آيات الآفاق من العلويات والسفليات من الأرض والجبال والبحار والانهار ، والحيوانات والمزروعات وغيرهــــا ،

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١١٤ ، وأنظر الشوكانى : الاجتهــاد والتقليد تحقيق د / ابراهيم هلال ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٢) د . عمر الأشقر : العقيدة فى اللــه ص ٦٠ .

(٣) ابن ابى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٥

ودليل الأنفس التى ذكرها الله فى القرآن . قال تعالى : " وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون " (١) الآية .

ويجدر بنا أن نتعرف على طريقة الشوكانى ومنهجه فى الاستدلال على وجود الله بهذين الاتجاهين ، اتجاه الفطرة والعهد المعقود بينها وبين بارئها ، واتجاه الآيات فى الآفاق والأنفس .

أولا : دليل الفطرة ، والعهد المعقود بينها وبين بارئها :

آمن الشوكانى أن النفوس المستقيمة ، والفطرة السليمة التى لم تغيرها أصناف الشرك ، وعوامل البيئة تعترف وتقر بطبعها الى الاقرار بوجود الخالق من غير احتياجها الى اقامة دليل ، وذلك لأن توحيد الله أمر بدهى فطرى قال الشوكانى : كل فرد من أفراد الناس مفطور على ملة الاسلام ، والقول بأن المراد بالفطرة الاسلام هو مذهب جمهور السلف (٢) ، قال تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم " (٣) فكل أفراد الناس مفطور على ملة الاسلام ، والامر فى هذه الآية بـ (أقم وجهك للدين .. " أمر باتباع الدين واتباع الفطرة ، فهذا الدين المأمور باقامة الوجه له ، هو الدين القيم " (٤)

ومعلوم أن مطلوب الشرع لزوم الفطرة والاستمرار عليها ، قال ابن كثير : " الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ، أن يستمر على الدين الذى شرعه ، كما امره سبحانه بلزوم الفطرة السليمة التى فطر

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٢١ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٢٤٤ .
(٣) سورة الروم : آية : ٣٠ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٢٢٦ .

الخلق عليها ، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته ، وتوحيده وأنه لا اله غيره ، وأنه تعالى قد ساوى بين خلقه كلهم فى الفطرة ، ولا تفاوت بين الناس فى ذلك (١) •

وما ذكره الشوكانى وابن كثير من أن المراد بالفطرة الاسلام هو مذهب جمهور السلف ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : " مامن مولود الا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة — رضى الله عنه — : اقرأوا ان شئتم : " **فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** " (٢)

وقد استعمل هذا الدليل الفطرى قبله الامام ابن تيمية فى الاستدلال على وجود الله •

فقد لجأ ابن تيمية الى الفطرة السليمة التى هى مضطرة بطبعها الى الاقرار بوجود الله ، وذلك لما تحتاج اليه النفوس من لجوئها الى قوة عليا تستنقذ بها عند حلول الكوارث ، ونزول المصائب ، أيا كانت هذه النفوس مؤمنة او كافرة ، وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا الى هذا الاعتراف الفطرى حيث قال فى صيغة الاستفهام التقريرى : " **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء** ؟ " (٣) • (٤)

فقد يظهر أثر هذه الفطرة عند حلول الكوارث والمحن ، وطلب النجاة •

---

(١) ابن كثير : مختصر ابن كثير اختصار وتحقيق الشيخ محمد على الصابونى ج ٣ ص ٥٤ •

(٢) أخرجه البخارى ٢/٩٤ — ٩٥ كتاب الجنائز باب اذا أسلم الصبى فمات •

(٣) سورة النحل : آية : ٦٠ •

(٤) د • محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٧٦ •

===

والفطرة تدعو المرء الى الاتجاه الى الخالق ، لكن الانسان تحيط به مؤثرات كثيرة قد تجعله ينحرف حينما يتجه الى المعبود الحق ، ذلك بسبب ما يغرسه الآباء في نفوس الأبناء ، وما يلقنه الكتاب والمعلمون في أفكار الناشئة فيلقى على هذه الفطرة غشاوة فلاتتجه الى الحقيقة ، وكثيرا ما تنكشف وتزول هذه الغشاوة عند فقد أسباب النجاة وحلول المصائب ، فكم من ملحد عرف ربه وآب اليه لضر نزل به ؟ " (١)

وليس غريبا أن نرى ملحدا أو مشركا يعترف بالخالق ويقربه ويلجأ اليه عند نزول الكوارث ، وذلك لأن الله تعالى أشهد المرء على نفسه أزلا ، بهذه المعرفة النظرية ، وهذه الشهادة من اقوى أنواع الاقرار لأن من شهد على نفسه بحق فقد أقربه .

قال تعالى : " واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ... " (٢)

فهذا العهد المأخوذ على الذرية ميثاق يرتبط ارتباطا وثيقا بالفطرة الانسانية و في تفسير هذه الآية يقول الشوكاني : ان الله سبحانه لماخلق ادم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ، وهؤلاء عالم الذر ، وهذا هو الحق الذى لاينبغي العدول عنه ، لثبوته مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وموقوفا على غيره " (٣)

== وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ١٤ ، ١٦ ص ١٦٥ .

(١) د . عمر الاشقر : العقيدة في الله ص ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير جـ ٢ ص ٢٦٤ .

وقد وردت أحاديث في اخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام ، وفي بعضها الاشهاد عليهم بأن الله ربهم (١) .

فمنها : ما رواه الامام أحمد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة وأخرج من صلبه كل ذرية ذراها ، فنشرها بين يديه ، ثم كلمهم قبلا قال : الست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ... الى قوله : المبطلون " (٢) ورواه النسائي أيضا ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم في (المستدرك) وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، يقول الألوسي في التفسير : ينبغي للمؤمن أن يصدق بهذا الأخذ ، فقد نطقت به الأخبار ، الصادرة من منبع الرسالة ، ولا يلتفت الى قول من قال : أنها متروكة العمل لكونها من الآحاد (٣) .

وبناء على ما بينته الآيات في العهد المأخوذ على الذرية ، وارتباطه بالفطرة الانسانية ، والاعتراف بالربوبية ، وماورد في الاحاديث بهذا الخصوص: لم يرد التكليف به ، وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك .

---

(١) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٩٤

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده ١/٢٧٢ ، وقال الشيخ أحمد شاكر هو في المسند بتحقيقنا : ٢٤٥٥ ـ تفسير الطبري ٩/٧٥ ـ ٧٦ (مطبعة بولاق) ومجمع الزوائد ٧/١٨٨ ـ ١٨٩ ، ونقله ابن كثير في التفسير ٣/٥٨٤ ـ ٥٨٥ ، وفي التاريخ ١/٩٠ .

(٣) الالوسي : تفسير روح المعاني جـ ٩ ص ١٠٨ .

يقول ابن تيمية : لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع ، وانما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشرك : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ، فاعلم أنه لا اله الا الله " (١)

فالسبب فى أن التكليف لم يرد بمعرفة وجود الصانع لأن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، فمن لم ير ذلك فى عقله وفطرته فليتهمهما " (٢)

وقد سجل القرآن الكريم ، اعتراف المشركين فى غير ما موضع بربوبية الرب الخالق بما لا يقدرون على انكاره ، ولا يتمكنون من جحوده ، ولا يجدون الى انكاره سبيلا " (٣) .

قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله " (٤)

" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " (٥)

وبهذا الاعتراف يقتضى بطلان ماهم عليه من الشرك . ولذلك كانت دعوة الرسل عليهم السلام الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وللتذكير بالربوبية ، لان عامة الناس مقرين بالصانع ، متخذين معه شريكا فى العبادة .

ومما تقدم يتبين لنا أن الاقرار بالصانع أمر فطرى مترسخ فى كل نفس ، وأن الفطرة الانسانية مركوز فيها معرفة الله تعالى .

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق محمد رشاد سالم ج ٣ ص ١٢٩ .

(٢) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ١٥٣ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٢١١ .

(٤) سورة الزخرف : من الآية : ٨٧ .

(٥) سورة لقمان : من الآية : ٢٥ .

ثانيا : الاستدلال بالآيات :

تمهيد :

قد وضع القرآن الكريم أمام الانسان أظهر الآيات دلالة ، كآيات الخلق من العدم ، وهذه الآيات مستلزمة لوجود الخالق تبارك وتعالى ، وذلك لأن آيات الخلق أقوى أنواع الآيات دلالة على الخالق ، لأن الاستدلال بها مشروط بالمعرفة الفطرية السابقة ، والاقرار السابق بالربوبية .

يقول ابن تيمية : " شأن الحق الذى يطلب معرفته بالدليل ، لا بد أن يكون مشعورا به فى النفس ، حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض أحواله ، وأما مالا تشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها البتة "(١)

فآية الخلق مودعة فى الفطرة ، وظاهرة لأصحاب العقول ، لذلك يمكن الاستدلال بها على وجود الله ، وهى أدلة بينة فى نفسها ، لا تحتاج الى دليل آخر يؤكدها كما فعل المتكلمون مع أدلتهم المعقدة .

ولملائمة هذه الطريقة للفطرة ، اهتدى اليها بعض المفكرين ، كابن رشد الفيلسوف الأندلسى ، وابن الوزير اليمنى ، والشوكانى كذلك ، كما اهتدى اليها أئمة السلفية ، كابن تيمية ، وابن قيم الجوزية وغير هوءلاء .

يقول ابن الوزير : ذكر صاحب الوظائف على مذهب السلف : أن فى القرآن قدر خمسمائة آية دالة على وجود الله ، ثم ذكر منها خمسة وعشرين حجة وقال : اذا نظرنا الى هذه الطريقة ، المسماه بطريقة الأحوال وجدنا الاحتجاج بها هو سنة الأنبياء ، والأولياء ، والأخلاف الصالحين .(٢)

---

(١) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٨٣ .

(٢) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٧٠-٧٤

وقد سلك الشوكانى هذه الطريقة فى الاستدلال بالآيات على وجود الخالق ، وذلك لأنها أدلة عقلية صحيحة ، وشرعية دل عليها القرآن قال تعالى : " ان فى خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفى خلقكم ، وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار ، وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ، فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون " ؟ (١)

قال الشوكانى : هذه الآيات المذكورة هى حجج الله وبراهينه . (٢)
ومفتاح الدليل بالنسبة لهذه الآيات وغيرها التى يستدل بها الشوكانى ، وغيره من المفكرين " هو أن يسلك الانسان سبيل الانتفاع بحواسه وعقله وتفكيره ، وذلك فى عالم الانسان والحيوان ، والنبات ، والجماد ، وفى عجائب خلق الأرض والسموات وفى مواقع ما نظر الله عليه الحيوان والنبات" (٣)
قال تعالى : " وفى الأرض آيات للموقنين " (٤) قال الشوكانى : ذكر سبحانه مانصبه من الدلائل الدالة على توحيده ، وصدق وعده ووعيده ، فقال : " وفى الأرض آيات للموقنين " أى دلائل واضحة وعلامات ظاهرة من الجبال والبحر والبر ، والاشجار ، والأنهار ، والثمار ، وفيها آثار الهلاك للأمم الكافرة المكذبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم اليه ، وخص المؤمنين لأنهم الذين يعترفون بذلك ، ويتدبرون فيه ، فينتفعون به . (٥)

---

(١) سورة الجاثية : آية : ٣ - ٥ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٤ .
(٣) د . محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسان اليه : ٧٣ .
(٤) سورة الذاريات : آية : ٢٠ .
(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٨٥ .

وقد تناول القرآن الحديث عن الأرض بما فيها من الآيات والعبر والدلائل على وجوده وتوحيده وقدرته ، وحكمته . قال تعالى : (والأرض فرشناها فنعم الماهدون "(١) قال الغزالى : أنظر كيف جعل الله الأرض مهادا لـ ليستقر عليها الحيوان ، وجميع الأرض محلا للنبات لقوته ، ومسكن يكنه من الحر والبرد ، ثم ذلل طرقها ، لينتقل فيها الخلق لطلب مآربهم ، فهى موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان والحرث ، والنبات . (٢)

قال تعالى : " ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون "(٣) وهنا يسوق الشوكانى الدلائل والبراهين التى عن طريقها يتعرف الناس على خالقهم ، ويستدلون بهذه المخلوقات على توحيده ، وصدق وعده ووعيده ، فيقول : ومن كل شىء خلق الله زوجين : أى صنفين ونوعين من ذكر وأنثى ، وبر وبحر ، وشمس وقمر ، وحلو ومر ، وسماء وأرض ، وليل ونهار ، ونور وظلمة ، وجن وانس ، وخير وشر ، خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا ، فتعرفوا أنه خالق كل شىء ، وتستدلوا بذلك على توحيده ، وصدق وعده ووعيده . (٤)

وقد أعطى الشوكانى الاستدلال بالآيات عناية كبيرة عندما تكلم فى آية الآفاق والأنفس وذلك لأنها أوسع دلالة وأوضح برهانا ، وأعظم حججا من غيرها فى هذا الباب .

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٤٨ .
(٢) الغزالى : الحكمة فى مخلوقات الله تحقيق د : محمد رشيد رضا قبانى ص ٣١ - ٣٢ .
(٣) سورة الذاريات : آية : ٤٩ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٩١ .

فقد اشتملت كما قال الشوكانى عن عطاء : على دلالات فى : أقطار السموات والأرض ، من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار ، والرياح والأمطار ، والرعد والبرق والصواعق ، والنبات والأشجار ، والجبال والبحار وغير ذلك .

كما اشتملت على دلالات فى الأنفس : من لطيف الصنعة ، وبديع الحكمة [١] ، قال تعالى : " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " [٢] . وكما قال تعالى : " وفى أنفسكم أفلا تبصرون " [٣] قال الشوكانى : وفى أنفسكم آيات تدل على توحيد الله ، وصدق ما جاءت به الرسل ، فانه خلقهم نطفة ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظما الى أن ينفخ فيه الروح ، ثم تختلف بعد صورهم وألوانهم وطبائعهم وألسنتهم ، ثم نفس خلقهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم ، وأعضاء وحواس ، ومجارى ومنافس . [٤]

فمن نظر بعين البصيرة استدل " بذلك على الخالق الرازق ، المنفرد بالألوهية ، وأنه لا شريك له ، ولا ضد ولا ند " [٥]

وقد تكلم الغزالى فى دليل الأنفس مبينا دقة الخلق وعظيم الحكمة فى تكوين هذا الانسان وأطال فى هذا الوصف الى أن قال : "فأنظر كيف خلق البارى سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيفة ، وكيف خلقها ؟ وخالف بين أشكالها ؟ . . . وجعل سبحانه فى هذا الخلق

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٥٢٣ .
(٢) سورة فصلت : آية : ٥٣ .
(٣) سورة الذاريات : آية : ٢١ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٨٥ .
(٥) المصدر السابق :

عبرة لأولي الأبصار ، وآيات بينات على عظمته وجلاله ". (١)

وفي الحقيقة أن آيات الأنفس أكثر من أن تحصى ، اذ ليس في العالم شيء الا وفي ذات الانسان له نظير ، يدل مثل دلالته ، على ما انفرد به ، من الهيئات النافعة ، والمناظر البهية ، والتركيبات العجيبة ، والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة ، (٢) روى عطاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " (٣) قال : أريد بذلك : اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع (٤) .

قال ابن الجوزي : " وفي أنفسكم " آيات اذ كنتم نطفا ، ثم عظاما ، ثم علقا ، ثم مضغا الى غير ذلك من أحوال الاختلاف ، ثم اختلاف الصور والالوان والطبائع ، وتقويم الأدوات ، والسمع والبصر والعقل ، الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم . (٥)

وقد أعطت السلفية طريقة الاستدلال بالآيات عناية فائقة ، فتميز منهجهم في الاستدلال بالوضوح والسهولة ، والملاءمة للنفوس ، ولجميع الناس عامتهم وخاصتهم .

---

(١) الغزالي : الحكمة في مخلوقات الله تحقيق د . محمد رشيد رضا قباني ص ٦٤ - ٦٥ .
(٢) الألوسي : روح المعاني جـ ٢٧ ص ٩ .
(٣) سورة الذاريات : آية : ٢١ . (٤) الالوسي روح المعاني جـ ٢٧ ص ٩
(٥) ابن الجوزي : زاد المسير جـ ١ ص ٣٣ وأنظر ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية من سورة الذاريات قال : (وفي أنفسكم) أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم ، وأنه لا اله لكم سواه .

كما أن السلف قد توسعت في الاستدلال ، فمع استدلالهم بآيات الخلق ، التي اشتملت على عموم الآفاق والأنفس التي ذكرت أقطار السموات والأرض ، وأحوال النبات والحيوان ، والجبال والأنهار ، استدلت أيضا : بآيات الاعجاز في اثبات الصانع : وحدوث العالم ، بطريق الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة .

يقول ابن قيم الجوزية : من طرق القرآن التي أرشد الله اليها عباده ، ودلهم بها : المعجزات" كما دلهم بما يشاهدونه من أحوال الحيوانات ، والنبات ، والمطر ، والسحاب ، والحوادث التي في الجو ، وأحوال العلويات من السماء والشمس والقمر والنجوم ، وأحوال النطفة وتقلبها طبقا بعد طبق ، حتى صارت انسانا سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا يفعل الأفعال العجيبة ، ويعلم العلوم العظيمة . (١)

كما وضح البيهقي الاستدلال بالمعجز في كتابه : " الاعتقاد على مذهب السلف " وبين أن دلائله مأخوذة عن طريق الحس لمن شاهدها ، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها فيقول : " لما ثبتت النبوة ، صارت أصلا في وجوب قبول مادعا اليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فعلى هذا الوجه كان ايمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " (٢)

وقد لقي هذا النوع من الاستدلال قبولا لدى كبار العلماء والمحققين كابن الوزير اليمني حيث ذكر دليل المعجزات وبين أنه : "أقرب وأقوى وأجلى وأقطع للحجاج وأولى" (٣) ، ثم قال :

---

(١) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلي ج ١ ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) البيهقي : الاعتقاد ص ١٥ .

(٣) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٦٤ .

مالهم عن دليل المعجزات أما هه في طلعة الشمس عن نور السهى عوض (١)

ومن هنا نعلم أن هذه الطريقة من أقوى الطرق وأصحها ، وأدلها على وجود الصانع وصفاته وأفعاله " وذلك لأن ارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها ، وليس في طرق الادلة أوثق ولا أقوى منها " (٢).

والاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة الذى أخذت به السلف معلوم بالتواتر ، اذ ثبت احتجاج الرسل به على أشد الخلق عنادا ، كما هو موضح ومبين في مواضع عديدة من القرآن ومن ذلك :

افحام ابراهيم عليه السلام خصمه الكافر الذى زعم أنه يحى ويميت فقال له ابراهيم عليه السلام : " **ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر** " (٣)

واحتجاج موسى عليه السلام على فرعون : " قال فرعون لموسى : " **لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين** ." (٤) قال موسى : " **أولو جئتك بشىء مبين قال : فأت به ان كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ... الى قوله : فألقى السحرة ساجدين** " (٥)

واحتجاج النبى — صلى الله عليه وسلم — بالمعجز : فعن ابن عباس — رضى الله عنهما — أنه قال : جاء اعرابى الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : " أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه

---

(١) ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٦٤ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة ج ١ ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٨ .

(٤) سورة الشعراء : آية : ٢٩ .

(٥) سورة الشعراء : آية : ٣٠ — ٤٦ .

النخلة أتشهد بانى رسول اللـه ؟ ، قال : نعم قال : فدعا العذق ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الارض ، فجعل ينفر حتى أتى النبى صلى اللـه عليه وسلم ،قال : ثم قال له : " ارجع " ، حتى عاد الى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول اللـه وآمن (١) .

كما استدل النجاشى ومن معه باعجاز القرآن على صدق النبى صلى اللـه عليه وسلم ، فكان فيما جاء اثبات الصانع ، وحدوث العالم (٢) .

وكذلك سائر آيات الانبياء ، كاخراج ناقة صالح عليه السلام من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها ، والناس حولها ينظرون ، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبى عيسى عليه السلام ، فينقلب طائرا ذا لحم ودم ، وريش ، واجنحة يطير بمشهد من الناس (٣) . "

هذا وبعد استقراء طرق الشوكانى من خلال مؤلفاته العديدة وتفسيره للقرآن فى كيفية الاستدلال على وجود اللـه تعالى ، ومقارنته بمنهج السلف ، يتضح أمامنا مايمكن أن نحدد به ، ونحكم من خلاله على منهجه فى اثبات الصانع .

اذ وجد الشوكانى فى القرآن الكريم ومنهجه ، ما أغناه عن أدلة المتكلمين كما بينت ذلك فيما تقدم .

كما أمن ان الفطرة السليمة والنفوس المستقيمة تقر من غير دليل بوجود خالقها ، فكل فرد من أفراد الناس مفطور على ملة الاسلام ، ولذلك أمرنا باتباع الدين الذى

---

(١) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ١٧ ، وهذا الحديث تابعه الاعمش عن ابى ظبيا ، ورواه أبو حبان عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى اللـه عليه وسلم بمعناه ، واخرجه الترمذى فى المناقب جـ ٥ ص ٥٩٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

(٣) ابن قيم الجوزية : المصدر السابق ص ١٩٥ .

هو الفطرة ، واقامة الوجه له ، والاستمرار عليه .

كما ربط الشوكانى فى هذا الاستدلال بين الفطرة والميثاق المأخوذ على الذرية ، عندما مسح الله ظهر آدم ، واستخرج منه ذريته ، وأخذ عليهم ذلك العهد " ألست بربكم قالوا : بلى " .

كما اعتبر الشوكانى أن ماذهب اليه ، وما حققه فى هذا الموضوع ، هو ماكان عليه جمع من السلف ، وانه الحق والحجة التى لا ينبغى العدول عنه ، لثبوته عن النبى صلى الله عليه وسلم .

أما بالنسبة لاستدلاله بالآيات فى اثبات وجوده تعالى ، فنجده عن طريق الآيات القرآنية ، وبما يشاهد من الآيات الكونية يثبت وجوده تعالى .

اذ وجد أن القرآن عن طريق الآيات يكشف أسرار الخلق والتكوين ، ويدل ويهدى الى الحكمة من الخلق والايجاد ، ويظهر قوته وعظمته بما حبا عباده من نعم الامداد ، فى ذوات انفسهم ، وفى الكون حولهم ، وفى ذلك الدلائل الواضحة على كمال قدرته وبديع صنعه .

يلاحظ ان الشوكانى اثناء تفسيره للقرآن مامن اية يمر عليها تتكلم عن اى حال من احوال الخلق الا ويشهد فيها الكمال والعظمة وبديع الصنعة التى تدل على وجود الله تعالى وتفرده بالكمال والجلال ومن ذلك : ما رآه فى احوال النبات والحيوانات ما يشهد بالكمال وعظيم الحكمة لخالقها .

ـ كما وجد فى السحاب والامطار وحوادث الجو ما يدل على العناية الالهية والقدرة الربانية .

ـ كما دلت على وحدانية الله وتفرده ، احوال العلويات من الشمس والقمر والنجوم ، واحوال السفليات من الجبال والبحار والانهار .

ـ كما استدل الشوكانى باطوار النطفة وتقلبها طبقا بعد طبق حتى صار انسانا كاملا دليلا واضحا على بديع صنعته ، وعجيب حكمته فى خلق هذا الانسان .

وبذلك نستطيع أن نحكم على منهج الشوكانى فى الاستدلال على وجود الله من خلال هذه النقاط بأنه سلفى المنهج ، وذلك لأن السلفية ، استغنت بالقرآن عن أدلة المتكلمين ، اذ وجدته كله حديثا عن الايمان ، وان معرفة الله وتوحيده طبيعة مركوزة فى الانسان .

— كما استدلت السلفية بالآيات ، وجعلت الاقرار السابق بالربوبية شرط فى صحة الاستدلال بهذه الآيات .

ورأت السلفية أن آية الخلق كافية فى الاستدلال على وجود الله كما سبق أن بينت ذلك عن ابن تيمية .

وينبغى أن يعرف عن السلفية أنها : توسعت فى الاستدلال بالآيات ، فمع استدلالهم بآية الخلق التى شملت الآفاق والانفس فى اثبات الصانع وحدوث العالم ، استدلت أيضا بالدلائل المأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ، وطريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها ، وهو الاستدلال بالمعجزات ، واعتبرت هذه الطريق من أقوى الطرق ، وأوثقها كما بين ابن قيم الجوزية ، وابن الوزير ، والبيهقى .

وبذلك يكون قد توافق منهج الشوكانى مع المنهج السلفى فى الاستدلال على وجود الله ، وخالف كل منهما منهج المتكلمين والفلاسفة المعطلين .

والآن نشهد مناقشة الشوكانى للزيدية ومنهجهم فى الاستدلال على اثبات الصانع ، ومدى توافقه أو تخالفه مع المنهج السلفى فى هذا النقد .

منهج الزيدية فى الاستدلال على وجود الله وموقف الشوكانى منه :

معرفة الله عند الزيدية :

سبق أن تقرر عند السلف : أن القرآن كله حديث عن الايمان ، وأن قضية وجود الله فطرية كما قررها القرآن فى مواضع متعددة ، فوجود الله أمر بدهى ، فطر الله الخلق عليه ، وانتهج الشوكانى هذا المنهج كما وضحت ذلك من قبل ، ونريد الان أن نتعرف على مذهب الزيدية فى الاستدلال على وجود الله ، فما هو مذهب الزيدية فى ذلك ؟

لقد قرر أحد أعلام الزيدية : صالح بن المهدى المقبلى " فى كتابه : " العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ " والذى ذكرته فى الفصل الأول من هذا البحث ص ١٠٧ : أن الزيدية معتزلة فى كل الموارد الا فى شىء يسير من مسائل الامامة ، (١) كما ذكر السيد الهادى ابن الوزير ، الذى قال فيهم وفى المعتزلة أنهما فرقة واحدة فى التحقيق . (٢)

وبناء على ذلك ، وعلى ما تقرره مصنفات أئمتهم يتقرر منهجهم فى الاستدلال على وجود الله .

فالزيدية ترى أن معرفة وجود الله لاتتم بالضرورة والبديهية ، وانما عن طريق النظر ، كما ذكر الحاكم الجشمى ، والقرشى . يقول الجشمى : وأول مايجب على المكلف النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى ، لأنه تعالى لايعرف ضرورة ولا بالمشاهدة ، فيجب أن يعرف بالتفكير والنظر " (٣)

---

(١) صالح بن المهدى المقبلى : العلم الشامخ طبعة جديدة مكتبة دار البيان ص ١١

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٣) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن ص ١٩٧ .

كما يقول القرشي في منهاج التحقيق : أنه لا يختلف رأى الزيدية عن قولة المعتزلة : في أن أول واجبات النظر هو تحصيل المعرفة بالله ، بتوحيده وعدله، ووجوب شكره على نعمائه . (١)

كما أن الزيدية لا يجوزون التقليد في هذه المعرفة باعتبارها من العروض العقدية ، لأنه كما يقول صاحب الاساس في الرد على القائلين بالتقليد : بأنه تعالى : لم يكن مطابقا لكل اعتقاد حتى يجوز التقليد في معرفته " لاسيما " وقد علم اختلاف أهل المذاهب في عقائدهم ، فالمخطىء في اعتقاده جاهل به " الله " والجاهل به تعالى كافر اجماعا ، وتقليد الكافر في كفره كفر اجماعا . (٢)

وايجاب الزيدية النظر على المكلف لأنه يؤدى الى معرفة الله ، بمعنى أنه لا يعفى منه مكلف عاقل ، ولا يصح تأجيله بخلاف سائر الواجبات ، وأن شكر الله ، انما يكون بعد معرفته ، حتى لا يكون الشكر تقليدا ، كما ذهبت البصرية من المعتزلة الى أن المعرفة بالصانع وصفاته مكتسب . (٣)

وعلى ذلك يستطيع المكلف عند الزيدية بدون تقليد أن يستدل على وجود الله ، وعلى تصديق دعوى الرسل فيما أخبروا به عنه تعالى من الأمر والنهى ، وذلك بالنظر في معجزاتهم الدالة على صدقهم .

كما أنه لاتغنى المعرفة السمعية عن ذلك ، اذ هى متأخرة عن المعرفة العقلية ، ومتوقفة عليها ، والا لأدى ذلك الى الدور وهو الاستدلال بالفرع على أصله . (٤)

---

(١) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ، رسالة ماجستير ، ص ١٢١ .

(٢) الشرفي : العدة ص ٤٧ .

(٣) د . أحمد محمود صبحى ، الزيدية ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ .

(٤) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق في القضايا الكلامية بين المعتزلة والزيدية ص ١٢٣ ، وأنظر شرح الاصول الخمسة ص ٦٩ ، وأنظر المغنى جـ ١٥ ص ١٦٨ .

فالمعرفة أول العبادة ، وأصل المعرفة بالخالق توحيده ، والعبادة عند الزيدية ثلاثة : معرفة الله ، ومعرفة ما يرضيه ، وما يسخطه ، واتباع ما يرضيه واجتناب ما يسخطه ، وعلى قدر نظر الناظر استدلاله يكون درك الحقيقة" (١)

ومن هنا يتطابق قول الزيدية مع المعتزلة : فى أن العلم بالله أول الواجبات لان الشرائع من قول أو فعل الشرط فيها ايقاعها على وجه القربة والعبادة الى الله تعالى ، وذلك لايتم الا بعد معرفة الله ، ذلك لأن سائر الواجبات تتأخر . (٢)

كيف تستدل الزيدية على وجود الله :

يتصدر الاستدلال على وجود الله تعالى ، المسائل الاولى لمبدأ التوحيد عندهم ، من حيث انه لابد — عقلا — لهذا الكون من موجب اوجده وصانع أبدعه ، على هذه الصورة والاشكال المتنوعة التى تنتظم فى تناسق بديع .

ولأن يثبت هذا الوجود الأزلى للذات الالهية من خلال البرهنة عليه عقلا ، ذهب علماء الكلام ، وبعض الفلاسفة الاسلاميين ، ومشى فى تيارهم الزيدية ، يستدلون على ذلك بحدوث العالم ، وقد صاغوا لذلك عدة أدلة منها :

— دليل الجوهر والأعراض :

وكان أول من صاغ هذا الدليل : أبو الهذيل العلاف وقد اخذ بهذا الدليل المعتزلة والزيدية ، ثم جاء الاشاعرة واعتنوا به ، وسماه مناظروا

---

(١) د . فضيلة عبد الامير الشامى ، تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣٢٠ ، وانظر العدل والتوحيد للقاسم الرسى .

(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص ٧٠ .

المعتزلة والزيدية بدليل الدعاوى الأربع (١) ، وابن تيمية يرجح صدور هذه الادلة الى الجهم ابن صفوان (٢) •

والزيدية توضح أن هذه الدعاوى تقوم : على ان الاجسام لاتخلو من الاعراض وهى محدثة ، فلابد أن الاجسام محدثة (٣) ، أما الدعاوى فهى :

١ — أن فى الاجسام معانى وهى : الاجتماع ، والافتراق ، والحركة ، والسكون •

٢ — أن هذه المعانى محدثة •

٣ — أن الجسم لم ينفك عنها ، ولم يتقدمها •

٤ — أنها اذا لم ينفك الجسم عنها ، ولم يتقدمها وجب حدوثه مثلها ، ولهذه الدعاوى ترتيب ، فالاولى يجب أن تكون متقدمة ، والاخيرة يجب أن تكون متأخرة ، والدعويان اللتان هما فى الوسط لا ترتيب فيهما (٤) •

وشرح الرازى فى " تحصيل أفكار المتقدمين والمتأخرين " هذه الطريقة وقال :

قد عرفت ان العالم اما جواهر ، واما أعراض ، وقد يستدل بكل واحد منهما على وجود الصانع ، اما بامكانه أو حدوثه ، فهذه اربعة (٥) :

__الأول__ : الاستدلال بحدوث الجواهر : وهو أن العالم حادث ، وكل حادث فله محدث •

---

(١) حابس الصعدى : الايضاح ص ١٦ •

(٢) د • محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ١ ص ١٨٠

(٣) د • أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٤٦٩ •

(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د • عبد الكريم عثمان ص ٩٥ — ٩٦ •

(٥) د • محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ١٨٣ ، وأنظر الايجى : المواقف ص ٢٦٦ •

الثانى : بامكانها : وهو أن العالم ممكن ، لأنه مركب وكثير ، وكل ممكن فلـه علة مؤثرة .

الثالث : بحدوث الأعراض : مثل ما نشاهده من انقلاب النطفـة علقـة ، ثم مضغة ، ثم لحما ودما ، اذ لابد من مؤثر صانع حكيم .

الرابـع : بامكان الاعراض : وهو أن الاجسام متماثلة ، فاختصاص كل بما له من الصفات جائز ، فلابد فى التخصيص من مخصص له .

ثم بعد هذه الوجوه نقول : مدبر العالم ان كان واجب الوجود فهــو المطلوب ، والا كان ممكنا فله مؤثر ، ويعود الكلام فيه ، ويلزم اما الدور وامـا التسلسل ، واما الانتهاء الى مؤثر واجب الوجود لذاته ، والأول بقسميه باطل ، لما مر ، فتعين الثانى وهو المطلوب . (١)

ويوضح هذه الطريقـة بعض المتكلمين فيقول : بأن العالم ينقسم الـى جواهر وأعراض ، وأن الاعراض لا تبقى زمانين متتاليين ، وانما يطرأ عليهـا التغير والتحـول ، فهى حادثة ، والجواهر لا تتعرى عن الاعراض التى هى ملازمة لهـا ، وما دامت الجواهر لا تنفك عن الاعراض ، فهى حادثة بحدوثها ، لان مالازم الحادث فهو حادث ، ومادام مكونا من الجواهر والاعراض ، وقد ثبت حدوثها ـ فالعالـم حادث ، وكل حادث فلابد له من محدث ، وهو اللـه سبحانه وتعالى . (٢)

وسنرى موقف الشوكانى من هذا المنهج وكيف قابله بالنقد والرد ؟ وما هـى النتائج التى لزمت عن هذا المسلك الكلامى ؟ .

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد الايجى : المواقف ص٢٦٦ .

(٢) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص١٨٣ ـ ١٨٤ .

مناقشة الشوكانى للزيدية فى منهجهم فى اثبات الصانع :

لم يلق منهج الزيدية فى الاستدلال على وجود الله تعالى لدى الشوكانى قبولا بل ندد بهم وعنفهم فيما ذهبوا اليه من مذهب المتكلمين فى الاستدلال بالجواهر والاعراض، وذلك لانهم لم يقفوا على ماتقتضيه أدلة الكتاب والسنة، ولا ينبغى لعالم من العلماء أن يدين بغير مادان به السلف الصالح من الصحابة والتابعين .

كما رأى الشوكانى أنه : ينبغى عدم الاعتداد بشىء من تلك القواعد المدونة فى علم الكلام، وذلك لانها مبنية على شفا جرف هار، من ادلة العقل التى لاتعقل ولا تثبت الا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى .(١)

كما يطلب الشوكانى من الباحثين أن يريحوا انفسهم من عبارات المتكلمين والفاظهم، واصطلاحاتهم، التى جعلوها أصولا ترد الكتاب والسنة فيقول : لو خالفتهم فيما ذهبوا اليه وجئت بالف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى، والف حديث بما ثبت فى الصحيح لم يبالوا به، ولا رفعوا اليه رؤوسهم ولا عدوه شيئا (.(٢)

ويحط الشوكانى من قيمة المنهج الكلامى فى الاستدلال على وجود الله، ومن قدر هذه الغاية التى يرمى اليها " وهى ثبوت البارى " الذى هو أمر فطرى بدهى، وان غاية ما حصلوه تحصيل الحاصل فيقول : ان غاية ما تدركه العقول، وجل ما تصل اليه هو ثبوت البارى، وأن هذه المصنوعات لها صانع، وهذه الموجودات لها موجد(٣) كما اشرت الى ذلك من قبل فى الفصل الاول من هذا البحث .

---

(١) د . احمد محمود صبحى : الزيدية ص ٧١٣ ـ وانظر التحف فى مذهب السلف

(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ضمن رسائل السلفية ص ٦ .

(٣) د . احمد محمود صبحى : الزيدية ص ٧١٣ .

كما أعرب الشوكانى عن فساد هذا المنهج ونتائجه الوخيمة التى افسدت دين العباد ، اذ لزم عنه : تعطيل صفات البارى ، ورد النصوص الثابتة من الكتاب والسنة ، فوق انه افتراء على اللـه وجرأة عليه يقول الشوكانى :

" فهذا ابو على الجبائى وهو ركن من اركانهم ، واصطوانة من اصطواناتهم ، قد حكى عنه صاحب شرح القلائد (ان اللـه لايعلم من نفسه ما يعلم هو) فانظر هذه الجرأة على اللـه سبحانه وتعالى التى ليس بعدها جرأة " (١)

ولما كان منهج الشوكانى موقفا معارضا ورافضا لمنهج المتكلمين كما بينت آنفا ، لانهم ابتدعوا فى الاسلام من الاستدلال على وجود اللـه ، مسلكا غريبا ، هو طريقة الاعراض والجواهر ، واستدلوا بحدوث كل و امكانه على حدوث العالم .

نراه يندد بكل من قلد هذا المنهج الكلامى ، من الائمة الزيدية ، كالامام الهادى وأمثاله الذين ساروا على منهج المتكلمين ، وقلده اهل الديار اليمنية فى الاصول والفروع ، وكان من آثار هذا التقليد ماكان ، أن تفرقت الأمة ، وصارت الى ما نراه من التباين والتقاطع والتخالف " . (٢)

ولما حاول المتكلمون الانتماء ببراهينهم فى اثبات وجود اللـه الى منهج القرآن ، فزعموا أن أدلتهم من جنس دليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ حين استدل على عدم قدم الوهية الكواكب بالافول . وقالوا : " ان ابراهيم " قد استدل على حدوث الكواكب بتحركها وتغيرها ، لأن كل ماحرك محدث ، والمحدث لا يصلح أن يكون ربا ، واستدل الرازى بهذه الطريقة ، وفسر الافول بالحركة . (٣)

لما حاول المتكلمون ذلك الانتماء ، لم يلق هذا الانتماء لدى الشوكانى قبولا ، وذلك لان منهجه اداه الى ان يفهم طريقة المخالفين ، والتزم هذا

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٧ .

(٢) الشوكانى : القول المفيد فى ادلة الاجتهاد تحقيق د . ابراهيم صلال ص ١٢٥

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل : ص ١٨٩ .

المنهج قولا وتطبيقا فى تفسيره للقرآن الكريم .

ومن ثم يفسر الأفول فى قوله تعالى : " فلما أفل "(١) بالذهاب او الغياب فقال الشوكانى : " فلما أفل " أى غرب ، قال ابراهيم : " لا أحب الآفلين " أى الالهة التى تغرب(٢) ، وبهذا المعنى فسر ابن كثير وقال : " والحق أن ابراهيم كان مناظرا لقومه مبينا لهم ما كانوا عليه ، فهو أولى الناس بالفطرة السليمة ، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلا شك ولا ريب(٣) ، قال ابن الوزير : " لو اشتغل الانبياء بالنظر لنقل الينا نظرهم ، وكيفية استدلالهم ، ولكنهم لم ياخذوا عقائدهم عن النظر "(٤)

وقد نقض ونقد هذا المنهج ـ منهج المتكلمين ـ فى الاستدلال على وجود الله كثير من العلماء :

نقده ابن رشد وقال : انها طريقة معتاضة ، ليس فى استطاعة الجمهور تقبلها ، كما اتفق نقده مع ابن تيمية : فى ان طريقة المتكلمين تحتاج فى تقريرها الى مقدمات طويلة لا تسلم الى اليقين فى نتائجها ، كما صرح الأشعرى بأن هذه الطريقة بدعة محرمة فى دين الانبياء .(٥)

وقد تميز منهج السلف فى الرد على المتكلمين بالتفصيل والاستقصاء لجزئيات الدليل ، وبيان تهافت أدلتهم عقلا ونقلا .

يقول ابن تيمية : " هذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق ونبوة انبيائه ، كما ذكر

---

(١) سورة الانعام : آية : ٧٦ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٣٤ .

(٣) ابن كثير مختصر الصابونى جـ ١ ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

(٤) أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٨٢ .

(٥) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

عن الأشعرى وغيره : أنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا (١) .

كما أن استعمال المتكلمين لهذه الطريقة قد ألجأتهم الى مأزق لم يمكنهم التخلص منها ، فاضطروا الى ان يلزموا أنفسهم لاجلها لوازم معلومة الفساد فى العقل والشرع .

" فأول لوازم هذه الطريقة ، نفى الصفات والافعال ، ونفى العلو وصفة الكلام ، ونفى الرؤية ، والقول بخلق القرآن ، وعن هذه الطريق قال جهم ومن وافقه ، بفناء الجنة ، وفناء أهلها ، وعدمهم عدما محضا ، وعنها قال أبوالهذيل العلاف : بفناء حركاتهم دون ذواتهم (٢) . والتزم لاجلها الاشاعرة : أن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح (٣) .

وقد استخدم ابن تيمية فى نقده لطريقة المتكلمين منهجا قويما وأسلوبا حكيما ، وطريقة أصوب فى البحث .

اذ عرف أولا المعانى التى يقصدونها والالفاظ التى اصطلحوا عليها ثم وزنها بميزان الكتاب والسنة ، فأثبت ما فيها من الحق ، ونفى ما فيها من الباطل ، فمعانى الالفاظ قد وزنتها كتب اللغة والمعاجم ، وليس فى واحد منها أن معانى ألفاظ المتكلمين هى ما تعارفوا عليه ، كلفظ الجسم والجهة ، والممكن والواجب ، والحركة والحيز ، فهذه كلها ألفاظ استعملها العرب فى معنى غير المعنى الذى استعملها فيه المتكلمون (٤) .

فاذا اردنا أن نعرف اللبس والتدليس ، فصلنا مافى هذه الالفاظ من اجمال ، ووضحنا مافيها من ابهام وغموض ، وهذا الذى سلكه ابن تيمية .

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق محمد رشاد سالم ص ٢٩ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى جـ ١ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٣) د . محمد السيد الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ص ١٨٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٧ .

الفصل الثالث
منهج الشوكانى فى الوحدانية

* تمهيد :
* توحيد الربوبية .
* توحيد الالهية .
  * الوحدانية فى العبادة .
  * عناية القرآن الكريم بتقرير توحيد الالهية والبرهنة عليه .
  * تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك .
* توحيد الأسماء والصفات .
* العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة .
* منهج الزيدية فى التوحيد .
* مناقشة الشوكانى لهم فيما ذهبوا اليه .
* رد السلفية وابطالهم لهذا المذهب .

* * * * * *
* * * * *
* * * *

تمهيـــد :

ان التوحيد هو دين العالم أوله وآخره ، وسابقة ، ولا حقة ، وأن الشرائع كلهـا اتفقت على ذلك على كثرة عدد الرسل المرسلين ، وكثرة كتب اللـه عز وجل . يقول الشوكانى : " ان الشرائع كلها اتفقت علــى التوحيد ، على كثرة عدد الرسل ، وكثرة كتب اللـه عز وجل ، المنزلة على أنبيائــه .(١)

" فان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، وأن الكتب المنزلة ، مائة كتاب وأربعة كتب "(٢)

وعبادة اللـه وحده لا شريك له هى أصل الدين ، وهو التوحيــد الذى بعث اللـه به الرسل ، وأنزل به الكتب(٣) ، قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون "(٤) فكل نبى بعثه اللـه يدعو الى عبادة اللـه وحده لا شريك له ، والفطــرة شاهدة بذلك ، والمشركون لا برهان لهم(٥) . قال الشوكانى : فى هذه الآية : تقرير لأمر التوحيد وتأكيد له ، فقد ختم تعالى الآية بالأمــــر لعباده بعبادته فقال : " فاعبدون " فقد اتضح بذلك دليل العقـــل ، ودليل النقل ، وقامت حجـة اللـه .(٦)

---

(١) الشوكانى : ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات تحقيق د . ابراهيم هلال : ص ٢٠ .

(٢) الحديث : أخرجه ابن حبان ، والبيهقى بسندين حسنين عـــن أبى ذر أنظر المصدر السابق ص ٢٠ .

(٣) الشوكانى : الدر النضيد ص ٤١ .

(٤) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ٥٠٥ .

(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٤٠٣ .

ومن هنا نعرف أن التوحيد أول مايدخل به فى الاسلام، وآخر مايخرج به من الدنيا ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة " (١) فهو أول واجب وآخر واجب، وهو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل . (٢)

بعد أن عرفنا التوحيد ومعانيه ، وأنه أول دعوة الرسل ، وأنه أول مايجب على المكلف : " شهادة أن لا اله الا الله " وأنه أول مايؤمر به العبد باتفاق أئمة السلف (٣) ، وهو أول مايدخل به الاسلام يجدر بنا أن نعرف أنواع التوحيد .

أولا : توحيد الربوبية :

وهذا النوع من التوحيد معناه : الاقرار بأنه خالق كل شىء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان فى الصفات والأفعال . (٤)

ويوضح الشوكانى هذه المعانى فى معنى اسم الرب ، والربوبية فيقول : " الرب اسم من أسماء الله تعالى ، ولا يقال فى غيره الا بالاضافة، وقد قالوه فى الجاهلية للملك ، وفى الكشاف : الرب الملك ، ومنه قول صفوان لأبى سفيان : "لأن يربنى رجل من قريش أحب الىّ من أن يربنى رجل من هوازن ، وفى تفسير القرطبى : الرب السيد ، ومنه قوله تعالى :

---

(١) الحديث : رواه البخارى فى الجنائز ١ ، ورواه أبو داود فى الجنائز ١٦ ، والحاكم من طريق كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة " .

(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص٥ - ٧

(٣) المصدر السابق ص٦ .

(٤) ابن أبى العز : شرح الطحاوية " " " جـ١ ص٩ .

" أذكرني عند ربك "(١) وفي الحديث : " أن تلد الأمة ربتها "(٢) والرب المصلح والمدبر والجبار والقائم .(٣)

وهذا يبين أن الرب هو الملك المتصرف ، ويطلق في اللغة على السيد ، وعلى المتصرف للاصلاح ، وكل ذلك صحيح من حق الله تعالى ، ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالاضافة ، تقول : رب الدار ، وأما الرب فلا يقال الا لله عز وجل "(٤) كما ينبغي أن يعرف أن أصل الرب مصدر بمعنى التنزيه ، وهو تبليغ الشيء الى كماله بحسب استعداده شيئا فشيئا ، واستعير للفاعل أي المربي ، والرب صفة ذات أو صفة فعل .(٥)

ومن هذه التعريفات يفهم أن : للفظ الرب عدة معان ، وأن هذه المعان كلها تصح أن تراد بلفظ الرب ، أما اذا أطلق على الله تعالى ، فهو المربي للأشياء ، ينقلها في أطوار مختلفة حتى تبلغ الكمال ، وهو المالك والسيد عليها والمدبر والمصلح لها ، والقائم بحفظها .

وتعني السلفية بتوحيد الربوبية : أن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ، ورازقه ، وأنه المحيي المميت ، النافع الضار ، المنفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك .(٦)

---

(١) سورة يوسف : آية : ٤٢ .

(٢) الحديث : أخرجه البخاري في الايمان ٣٧ ، وتفسير سورة ٣١ ، وأخرجه مسلم في الايمان ٥ ، ٦ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير جـ ١ ص ٢١ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابوني للتفسير جـ ١ ص ٢٠ .

(٥) حسنين مخلوف : صفوة البيان جـ ١ ص ١٢ .

(٦) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ .

وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ، ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بنى آدم ، بل القلوب مفطورة على الاقرار به . يقول الشوكانى : " ان ارسال الرسل وانزال الكتب لم يكن لتعريف الناس بخالقهم ورازقهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثه الرسل ، وانما بعث الله رسله وأنزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده بالعبادة "(١)

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون ، وقد كان مستيقنا فى الباطن ، كما قال له موسى ـ عليه السلام ـ : " لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر "(٢)(٣) ، فكان فرعون عالم بما قاله موسى وهذا هو الأصح للمعنى .(٤) يقول الشوكانى : ولهذا نجد كل ماورد فى الكتاب العزيز فى شأن خالق الخلق ونحوه فى مخاطبة الكفار معنونا باستفهام التقرير : " هل من خالق غير الله ؟"(٥) ، " أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟"(٦) ، " أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض(٧) ؟" ، " أرونى ماذا خلق الذين من دونه "(٨)(٩)

---

(١) الشوكانى : الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد ضمن الرسائل السلفية ص ١٦ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ١٠٢ .

(٣) ابن أبى العز: شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٩ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٢٦٣ .

(٥) سورة فاطر : آية : ٣ .

(٦) سورة ابراهيم: آية : ١٠ .

(٧) سورة الانعام آية : ١٤ .

(٨) سورة لقمان : آية : ١١ .

(٩) الشوكانى : الدر النضير ضمن الرسائل السلفية ص ١٦ - ١٧ .

فهذا اقرار بتوحيد الخالقيه والرازقية ونحوهما لا انه اقرار بتوحيد الالهية. ذكره الشوكانى عن السيد محمد بن اسماعيل الأمير .(١)

وبما سبق يتبين أنه ليس ثمة من يثبت للعالم صانعين متماثلين ، حتى النصارى يتفقون على أن صانع العالم واحد ويقولون : باسم الابن والأب وروح القدس اله واحد ، فهو واحد بالذات ثلاثة بالاقنوم ، والمانوية القائلين بالأصلين ـ النور والظلمة ـ متفقون على أن النور خير من الظلمة وهو الاله المحمود ، فلم يثبتوا ربين متماثلين .(٢)

ومن الخطأ الذى وقع فيه المتكلمون اثبات توحيد الربوبية بدليل التمانع ، الذى يزعمون أنه فى معنى قوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا "(٣) لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذى قرروه هو توحيد الالهية الذى بينه القرآن ، ودعت اليه الرسل عليهم السلام ، وليس الأمر كذلك ، " فعبادة الله وحده لا شريك له ، هو التوحيد الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب "(٤) قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون "(٥)

وعلى ذلك أقول : ان جميع المشركين كانوا يقرون بأن الله خالق كل شىء ، وربه ومليكه ، ومع اقرارهم لم يخرجوا عن مسمى الشرك ، لأنهم لم يحققوا قول المسلم : لا اله الا الله ، الذى يتضمنه " توحيد الالهية " الذى هو قطب رحى القرآن ، والذى لأجله جاءت الرسل ،

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٤ .
(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ١ ص ١٠ ، ١١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية : ٢٢ .
(٤) الشوكانى : الدر النضير ص ٤١ .
(٥) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .

وأنزلت الكتب ، وعليه يكون الثواب والعقاب ، وبه يتحقق اخلاص الدين .(١)

ومن ذلك يعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الالهية ، الذى يتضمن توحيد الربوبية .

ثانيا : توحيد الالهية :

ويبنى هذا التوحيد على اخلاص التأله لله تعالى ،من المحبة ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والدعاء لله تعالى وحده ، فينبنى على ذلك اخلاص العبادات كلها ، ظاهرة وباطنة لله وحده لا شريك له .(٢)

قال الشوكانى : بعث الله رسله وأنزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده بالعبادة ، واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله ، والنداء والاستغاثة ، والرجاء ، واستجلاب الخير ، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ، ولا من غيره : " فلا تدعوا مع الله أحدا "(٣) "له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء "(٤) ، " وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين "(٥) ، " وعلى الله فليتوكل المؤمنون "(٦)(٧)

فالله تعالى بعث كل نبى يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ومن أجل ذلك أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ودليل ذلك ما ذكره

---

(١) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٦ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد ص ٣٦ .

(٣) سورة الجن : آية : ١٨ .

(٤) سورة الرعد : آية : ١٣ .

(٥) سورة المائدة : آية : ٢٣ .

(٦) سورة المجادلة : آية : ١٠ .

(٧) الشوكانى : الدر النضيد لاخلاص كلمة التوحيد ص ١٧ .

الشوكانى من الآيات فقال : قوله تعالى : " ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(١) ، " ألا تعبدوا الا الله "(٢) ، " أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون "(٣) ، " قالوا : أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا "(٤) ، " أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره "(٥) ، " فاياى فاعبدون "(٦)(٧) .

فآيات القرآن كلها تدور حول تقدير هذا النوع من التوحيد ، وذلك لأنه مناط الايمان ، فلا يتحقق ايمان المرء الا بالاقرار به قولا وعملا ، لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم "(٨)(٩)

والوحدانية فى العبادة تقتضى أمرين :

أحدهما : ألا يعبد الا الله وحده ، ولا يعترف بالألوهية لغيره سبحانه وتعالى ، فالاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده ، والاستسلام

---

(١) سورة الأعراف : آية : ٦٥ .
(٢) سورة هود : آية : ٢ .
(٣) سورة نوح : آية : ٣ .
(٤) سورة الاعراف : آية : ٧٠ .
(٥) سورة المؤمنون آية : ٣٢ .
(٦) سورة العنكبوت آية : ٥٦ .
(٧) الشوكانى : الدر النضيد ص ١٧ .
(٨) الحديث : رواه الامام مسلم فى الايمان ٣٢ ، والبخارى فى الايمان ١٧ ، ٣٨ ، ورواه أبو داود فى الجهاد ٩٥ ، والترمذى فى التفسير سورة ٨٨ .
(٩) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٦ .

له وحده يقتضي عبادته وحده ، ومن أشرك مع الله في العبادة شخصا أو شيئا فقد أشرك بالله سبحانه ، ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من العبادة فقد جعل مع الله آلهة أخرى وان كان يعتقد بوحدانية الخالق، فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق السموات والأرض (١) ، كما قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (٢) " وقال تعالى : " قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون " (٣) ، ومثل ذلك كثير في القرآن ، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم . (٤)

الأمر الثاني : مما يقتضيه التوحيد في الالوهية والعبادة ، أن نعبد الله سبحانه بما شرعه على ألسنة رسله ، ولا نعبده الا بواجب أو مستحب أو مباح قصد به الطاعة وشكر الله تعالى .

يقول ابن تيمية : والدعاء من جملة العبادات ، فمن دعا المخلوقين من الموتى والغائبين واستغاث بهم ، كان مبتدعا في الدين ، مشركا برب العالمين ، متبعا غير سبيل المؤمنين ، ومن سأل الله بالمخلوقين أوأقسم عليه بالمخلوقين كان مبتدعا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان . (٥)

ولما كان توحيد الالوهية هو مناط الايمان بالله ورسوله ، كان لا بد أن يعنى القرآن بتقريره والبرهنة عليه بالأدلة العقلية ، والبراهين الصحيحة .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة التدمرية ص ٩٣ .

(٢) سورة لقمان : آية : ٢٥ .

(٣) سورة المؤمنون : آية : ٨٤ - ٨٥ .

(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٢ .

(٥) ابن تيميــة : قاعدة خليلة في التوسل والوسيلة ص ١٠٢ .

وذلك لأن الشرك الذى وقع فى جميع الأمم كان فى هذا النوع ، فقد كان ماعابه مشركوا العرب على " محمد " أن جعل الالهة الها واحدا ، وقالوا له : " ان هذا لشىء عجاب " (١) ، وفى مجال تقرير هذا التوحيد نقرأ آيات كثيرة فى الاستدلال على نفى التعدد فى الالوهية .

عناية القرآن بتقرير توحيد الالوهية والبرهنة عليه :

وفى معرض الاستدلال على نفى التعدد فى الالوهية يقول تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض " (٢) فالآية قد نفت أن يكون لله ولد يتقرب اليه بعبادة هذا الولد ، وفى هذا نفى لتأليه الوسائط بين الله وعباده ، ثم نفت أن يكون هناك آلهة أخرى تعبد على سبيل الشركة معه . (٣) ويوضح الشوكانى هذا الاستدلال فيقول : تقدير الكلام : لو كان مع الله آلهة لانفرد كل اله بخلقه ، واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ، ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب ، وغلب القوى على الضعيف وقهره ، وأخذ ملكه كعادة الملوك من بنى آدم ، وحينئذ فذلك الضعيف المغلوب لا يستحق أن يكون الها ، واذا تقرر عدم امكان المشاركة فى ذلك ، تعين أن يكون الواحد هوا لله سبحانه ، وهذا الدليل كما دل على نفى الشريك ، دل على نفى الولد ، لأن الولد ينازع أباه فى ملكه . (٤)

---

(١) سورة ص : آية : ٥ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٩٢ .

(٣) د . محمد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٨٨ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير : جـ ٣ ص ٤٩٦ .

ومن هذا البرهان الباهر ، يعلم أن الاله الحق لابد أن يكون خالقا فاعلا ، يوصل الى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه اله آخر يشركه فى ملكه ، لكان له خلق وفعل ، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ، ففى الآية لابد أن يكون أحد ثلاثة أمور :

١ - اما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه .

٢ - واما أن يعلو بعضهم على بعض .

٣ - واما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ، ولا يتصرفون فيه ، بل يكون وحده هو الاله ، وهم المربوبون المقهورون من كل وجه . (١)

ومن ذلك يعلم :

١ - أن انتظام أمر العالم كله واحكام أمره ، من أدل دليل على أن مدبره اله واحد ، وملك واحد ، ورب واحد ، لا اله للخلق غيره .

٢ - وكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان ، كذلك يستحيل أن يكون لهم الهان معبودان ، فوجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته ، فكذا تبطل الهية اثنين . (٢)

وفى عناية القرآن بتقرير توحيد الالوهية ، واخلاصه يقول الشوكانى :

وبالجملة فاخلاص التوحيد هو الأمر الذى بعث الله لأجله رسله وأنزل به كتبه ، وفى هذا الاجمال مايغنى عن التفصيل ، ولو أراد رجل أن يجمع ماورد فى هذا المعنى من الكتاب والسنة ، لكان مجلدا ضخما ، فانظر فاتحة الكتاب :

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٢ .

تكرر فى كل صلاة مرات من كل فرد من الأفراد ، ويفتتح بها التالى كتاب الله ، والمتعلم له ، فان فيها الارشاد الى اخلاص التوحيد فى مواضع : فمن ذلك :

" بسم الله الرحمن الرحيم " ففيها مالا يخفى من اخلاص التوحيد ، وفيها : " الحمد لله رب العالمين " فان التعريف يفيد أن الحمد مقصور على الله . . . ومقتضى هذا : أنه لا حمد لغيره أصلا ، وماوقع منه لغيره ، فهو فى حكم العدم ، وقد تقرر أن الحمد هنا هو الثناء ، فلا ثناء الا عليه ، ولا جميل الا منه ، ولا تعظيم الا له ، وفى هذا من اخلاص التوحيد ماليس عليه مزيد ، ومن ذلك : " مالك يوم الدين " يفيد أنه لا ملك لغيره ، فلا ينفذ الا تصرفه ، وأن الأمر أمره ، والحكم حكمه ، ليس لغيره معه أمر ولا حكم ،

ومن ذلك : " اياك نعبد " فان تقديم الضمير يفيد الاختصاص فالعبادة لله سبحانه ، لا يشاركه فيها غيره ، ولا يستحقها .

وقد عرفت أن : الاستغاثة ، والدعاء ، والتعظيم ، والذبح والتقرب من أنواع العبادة .

ومن ذلك : " واياك نستعين " فان تقديم الضمير هنا يفيد الاختصاص كما تقدم ، وهو يقتضى أنه لا يشاركه غيره فى الاستغاثة به فى الأمور التى لا يقدر عليها غيره .

فهذه خمسة مواضع فى فاتحة الكتاب يفيد كل منها اخلاص التوحيد ، فما ظنك بما فى سائر الكتاب العزيز (١) .

فالقرآن كله فى التوحيد ، وحقوقه ، وجزائه ، وفى شأن الشرك وجزائه ، ومما يثبت حقائق هذا التوحيد ويرد على طوائف الضلال قوله

---

(١) الشوكانى : الدر النضيد ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٥ .

تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، ان الدين عند الله الاسلام" (١)

يقول الشوكانى : " شهد الله " أى بين وأعلم ، بما قد دلنا على وحدانيته بما خلق وبين . (٢)

فهذه الآيات تضمنت من المعارف الالهية ، والحقائق الايمانية مايثبت حقيقة التوحيد ويرد على الزائغين ، وذلك " لأنها تضمنت أجل شهادة وأعظمها ، وأعدلها ، وأصدقها ، من أجل شاهد ،بأجل مشهود، فشهادة الله سبحانه بالوحدانية ، والقيام بالقسط تضمنت مراتب أربع :

أولها : علمه بذلك سبحانه .

ثانيها : تكلمه بذلك .

ثالثها : اعلامه واخباره لخلقه به .

رابعها : أمرهم والزامهم به . (٣)

كما بين الشوكانى مالابد أن يحمل معنى الشهادة فى الآيات عليه : من شهادة الله وشهادة الملائكة وأولى العلم ، وشهادة الملائكة اقرارهم بأنه لا اله الا الله ، وشهادة أولى العلم بمعنى الايمان منهم ، وما يقع من البيان للناس على ألسنتهم ، والمراد بهم : علماء الكتاب والسنة ، وما يتوصل به الى معرفتهما . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٨ ، ١٩ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٢٥ .

(٣) ابن القيم الجوزية : التفسير القيم ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٢٥ .

ووجه شهادته سبحانه لذلك : أنه اذا شهد أنه لا اله الا هو ، فقد أخبر ، وأعلم ، وحكم ، وقضى ، أن ما سواه ليس باله أو الهية ماسواه باطلة ، فلا يستحق العبادة سواه ، كما لا تصح الالهية لغيره ، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده الها ، والنهى عن اتخاذ غيره معه الها . فشهادته سبحانه فى هذا الموضع ، شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده به كما قال تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه "(١) وقوله : " وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا "(٢) (٣)

---

(١) سورة النحل : آية : ٥١ .

(٢) سورة التوبة : آية : ٣١ .

(٣) ابن أبى العز: شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك :

ولما كان الشرك الذى وقع فى الأمم كان فى توحيد الالهية ، لأن عامة مشركى الأمم كانوا مقرين بالصانع ، ولكنهم مع اقرارهم بالربوبية قد أشركوا فى العبادة ، نجد القرآن قد استعمل فى نفى الشركاء لله فى العبادة ، ونفى تعدد الالهية الامثلة المشاهدة أمام الناس ، وعليه أن يستعمل فى ذلك قياس الأولى بالنسبة لله ،يقول تعالى : " ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ماملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم " (١)

ففى هذه الآية : أقام الله الحجة على المشركين ، واستعمل فى ذلك قياس الأولى ، يقول الشوكانى : والمعنى هل لكم شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذى ملكت ايمانكم ، وهم العبيد والاماء ،والاستفهام للانكار ، والمراد : اقامة الحجة على المشركين ، فانهم لا بد أن يقولوا : لا نرضى بذلك ، فيقال لهم : فكيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم فى البشرية ، وتجعلون عبيد الله شركاء له ؟ فاذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه ، والخلق كلهم عبيد الله تعالى ، ولم يبق الا أنه الرب وحده لا شريك له . (٢)

فاذا كان أحدهم يأنف أن يكون عبده شريكا له فى ماله ، فكيف يجعلون لله الأنداد من خلقه ؟ ، ومثل ذلك جعلهم الملائكة بنات الله ، ونسبوا اليه مالا يرتضونه لانفسهم كما قال تعالى : " ويجعلون

---

(١) سورة الروم : آية : ٢٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٢٢٣ .

للـه ما يكرهون " (١) .

وبذلك أقيمت عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم لا يحتاجون فيها الى غيرهم . (٢)

ومن ثم كانت الآيات المتعددة والمتنوعة فى القرآن التى تدعو وتقرر هذا النوع من التوحيد من مثل قوله تعالى : " وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد " (٣) وقوله : " ومن يدع مع الله الها آخر ، لابرهان له فانما حسابه عند ربه " (٤) ، وقوله : " لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " (٥)

فهذه الآية مسوقة لنفى التعدد فى الالوهية ، ونفى أن يكون هناك من يستحق العبادة من دون الله ، فان فساد السموات والارض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ، ومن كون الاله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لهما الا بأن يكون الاله فيهما هو الله لاغيره ، فلوكان للعالم الهان معبودان لفسد نظام العالم كله . (٦)

وقوله : " قل لوكان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا " (٧)

فالمعنى الظاهر المتبادر الذى تشهد له آيات كثيرة : هو : لوكان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا — أى الآلهة المزعومة — أى طلبوا الى ذى العرش — أى الى الله سبيلا — أى الى مغالبته وازالة ملكه ،

---

(١) ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير للصابونى ج ٣ ص ٥٣ .

(٢) ابن قيم الجوزية : التفسير القيم جمعه محمد ادريس الندوى ص ٤٠٥ .

(٣) سورة النحل : اية : ٥١ .

(٤) سورة المؤمنون : آية : ١١٧ .

(٥) سورة الانبياء : آية : ٢٢ .

(٦) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٢٣

(٧) سورة الاسراء : آية : ٤٤ .

لأنهم اذا يكونون شركاء ، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وأبى على الفارسى ، والنقاش ، وأبى منصور (١) .

وبذلك يتحقق توحيد الالهية ، ويتبين أنه هو افراد الله بالعبادة والالهية ، والنفى والبراءة من كل معبود ، ويتم ذلك بأن يعرف أن الله جعل العبادة له أنواع : اعتقادية ، وقلبية ، ولفظية ، ومالية ، وبدنية ، مما يدل على أن دين الاسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له ، بفعل المأمور وترك المحظور ، والاخلاص فى ذلك كله ، وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة ، فيجب اخلاصها لله تعالى ، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره فى شىء فقد نقض توحيده (٢) .

وقد عمل الشوكانى على قطع ذرائع الشرك لتحقيق توحيد الالهية ، واخلاص العبادة لله تعالى ، فدعا الى هدم كل ما يوصل الى الاشراك ، ووضح حكم ما يفعله القبوريون من الاستغاثة بالأموات ، ومناداتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله فى بعض الحالات فقال :

ان الأحاديث فى هذا الباب كثيرة ، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد ، مع أنه لا يعبد الا الله ، وذلك لقطع ذريعة التشريك ، ودفع وسيلة التعظيم ومن هذه الأحاديث :

— " ما أخرجه مالك فى الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " (٣)

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٢٣٠ ، وأنظر الشنقيطى أضواء البيان جـ ٣ ص ٥٩٤ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب تيسير العزيز الحميد ص ٤٠ .

(٣) الشوكانى : الدر النضيد ص ١١ ، ١٢ ، والحديث فى الموطأ فى السفر : ٨٥ ، وأخرجه الامام أحمد ٢/ ٢٤٦ .

ـ " كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ومافيها من الصور فقال : " أولئك اذا مات الرجل ـ أو العبد ـ الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله " (١) .

ـ " ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات أربع : " لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من أوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض" (٢) .

ـ " ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الحلف بغير الله وقال : " من حلف فليحلف بالله أو ليصمت " وقال : ومن حلف بملة غير الاسلام لم يرجع الى الاسلام سالما " وقال : " من حلف بغير الله فقد أشرك" (٣)

فأفادت هذه الأحاديث أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الاسلام ، وذلك لكون الحلف مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركا محضا ؟ (٤)

ـ ومن ذلك ما أخرجه أحمد باسناد جيد عن قبيصة عن أبيه أنه سمع

---

(١) الحديث أخرجه البخارى في الجنائز ٧٠ ، وفي مناقب الانصار ٢٧ ، ومسلم في المساجد ١٢ ، وفي الفتن ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢١ ، والنسائى في المساجد ١٢ . وأنظر الدر النضيد للشوكانى ص ١١ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الاضاحى ٤٢ ـ ٤٥ ، والنسائى في الضحايا ٢٤ ، وأحمد بن حنبل ١/ ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٥٢ ، ٢١٧ . وأنظر الدر النضيد للشوكانى ص ٩ .

(٣) أخرجه الترمذى ٧/١٨ ـ ١٩ (كتاب النذور ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وفي سنن أبى داود ٣/ ٣٠٣ (كتاب الايمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء .

(٤) الشوكانى : الدرر النضيد ص ١٠ .

رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول : " ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت " (١) وعن ابن عباس رضى اللـه عنهما قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر " (٢)، وعن أبى هريرة رضى اللـه عنه : " من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئا وكل اليه " (٣) وعنه رضى اللـه عنه قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " من آتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " (٤).

والعلة الموجبة للكفر ليست الا اعتقاد أنه مشارك للـه تعالى فى عالم الغيب مع أنه فى الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٥).

ثم وضح الشوكانى حكم ما يفعله القبوريون فذكر أنهم : قد جعلوا بعض خلق اللـه شريكا له ومثلا ونداً فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه الا باللـه وطلبوا منه مالا يطلب الا من اللـه مع القصد والارادة .

وقال : ولاشك أن من اعتقد فى ميت من الأموات أو حى من الأحياء أنه يضره

---

(١) الحديث : أخرجه أبو داود فى الطب ٢٢ ، وأحمد ٢ ، ٤٧٧ ، ٥ ، ٦٠ ، ومعنى العياقة : الخط أو زجر الطير ، والطرق : الخط يخط فى الأرض بنفس المصدر ، والجبت اسم جامع للخرافات كلها ، أنظر الشوكانى فى الدر النضيد ص١٢ .

(٢) أخرجه أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس طب ٢٢ ، ١ ٥ ، وأخرجه ابن ماجه فى الأدب ٢٨ ، وأحمد بن حنبل ١/ ٢٢٧ ، ٣١١ .

(٣) الحديث : أخرجه النسائى من حديث أبى هريرة فى باب الحكم فى السحرة ج ٧ ص١١٢ سنن النسائى بشرح السيوطى .

(٤) أخرجه أبو داود فى باب الكاهن ٢١ ج ٥ ص ٣٧٠ تهذيب ابن قيم الجوزية .

(٥) الشوكانى : الدر النضيد ص ١٣ .

أو ينفعه اما استقلالا أو مع الله تعالى أو ناداه أو توجه اليه أو استغاث به فى أمر من الامور التى لايقدر عليها المخلوق ، فلم يخلص التوحيد لله ، ولا أفرده بالعبادة ... ولم يكن ثم فرق بين من اعتقد فى وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع وبين من اعتقد فى ميت من بنى آدم أو حى منهم أنه يضر أو ينفع أو يقدر على أمر لايقدر عليه الا الله تعالى .

وهل الشرك الا دعاء غير الله ، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لايقدر عليه سواه ، أو التقرب الى غيره بشىء مما لايتقرب به الا اليه ؟ (١)

وفى هذا يبين الشوكانى أن ما يفعله القبوريون وعباد الأصنام واحد ولافرق بينهما ، لأن عبادة الكفار للاصنام لم تكن الا بتعظيمها ، واعتقاد أنها تضر وتنفع ، والاستغاثة بها عند الحاجة ، والتقرب لها فى بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين فى القبور فانهم قد عظموها الى حد لايكون الا الله سبحانه ، بل ربما يترك العاصى منهم فعل المعصية ، اذا كان فى مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت ، وربما حلف بعضهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذى يعتقده . (٢)

يقول ابن تيمية : ان من دعا ميتا وان كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر ، وان من شك فى كفره فهو كافر (٣) ، وقال ابن قيم الجوزية فى كتابه " اغاثة اللهفان " فى انكار تعظيم القبور : وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين الى أن صنف بعضهم كتابا سماه " مناسك المشاهد " ولايخفى أن هذا مفارقة لدين الاسلام ، ودخول فى دين عباد الأصنام . (٤)

---

(١) المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) الشوكانى : الدر النضيد ص ١٨ ، ١٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠ .

(٤) المصدر السابق : نفس الصفحة ، وأنظر ابن قيم الجوزية " اغاثة اللهفان " جـ ١ ص ١٩٧ .

كما ذكر الشوكانى عن شيخ الاسلام فى الرسالة السنية قوله : ان كل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى أو انصرنى أو أرزقنى أو أجرنى ، وأنا فى حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب نجا والا قتل (١) .

ثالثا : توحيد الأسماء والصفات :

لقد بنى الشوكانى منهجه فى هذا التوحيد على ما دل عليه الكتاب والسنة ، فى مبحث الأسماء والصفات ، من الأسس والقواعد التى يرتكز عليها مذهب السلف الصالح كما سيتضح بعد :

أولا : تنزيه الله تعالى .

ثانيا : الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم

ثالثا : قطع الاطماع عن ادراك حقيقة الكيفية والكنة .

وتفصيل ذلك وبيانه فيما يلى :

أولا : تنزيه الله تعالى عن أن يشبه شىء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين لقوله تعالى : " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٢) وقوله تعالى : " ولم يكن له كفوا أحد " (٣) وقوله : " هل تعلم له سميا " (٤) " ولا يحيطون به علما " يقول الشوكانى : قد يغنى هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين ، كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه ، وأنزلهما على رسوله وهما : " ولا يحيطون به علما " و " ليس كمثله شىء " فالكلمة منهما قد دلت

---

(١) المصدر السابق : ص٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٣) سورة الاخلاص :

(٤) سورة مريم : آية : ٦٥ .

دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر فى ذات اللـه وصفاته على وجـه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبه من شعب الجهل (١) . ....
واللـه أعلم بكيفية ذاته ، وماهية صفاته (٢) .

ثانيا : الايمان بما وصف اللـه به نفسه ، وبما وصفـه به رسوله :

يقول الشوكانى : "وحقيقة مذهب السلف الصالح هو قولهم باثبات ما أثبتـه اللـه تعالى لنفسه من الصفات على وجـه لايعلمه الا هو فانه القائل : " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٣) .

ومعنى ذلك : أنه لايصف اللـه أعلم باللـه من اللـه . قال تعالى : "أأنتـم أعلم أم اللـه " (٤) كما أنه لا أعلم باللـه بعد اللـه من رسول اللـه ـ صلـى اللـه عليه وسلم ـ الذى قال فى حقـه : " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (٥) " (٦) .

ثالثا : قطع الأطماع عن ادراك حقيقـة الكيفية ، لأن ادراك حقيقـة الكيفية مستحيل لقوله تعـالى : " ولا يحيطون به علما " (٧) .

يقول الشوكانى : اللـه أعلم بكيفية ذاته ، فان اللـه أخبرنا أنهم لايحيطون به علما ، فمن زعم أن ذاته كذا أوصفته كذا فلا شك أن صحة ذلك متوقفـة

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ضمن الرسائل السلفية ص ٩ .
(٢) المصدر السابق :
(٣) المصدر السابق : ص ١٠ .
(٤) سورة البقـرة : آية : ١٤٠ .
(٥) سورة النجـم : آية : ٣ ـ ٤ .
(٦) د . عمر الاشقر : العقيدة فى اللـه ص ١٤٧ ـ ١٩٩ .
(٧) سورة طـه : آية : ١١٠ .

على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الافراد علما (١) •

والمعنى الذى قرره الشوكانى من القواعد السلفية فى فهم الاسماء والصفات يبين أنه : لا احاطة للعلم البشرى برب السموات والأرض، فالاحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين (٢) •

وهذه القواعد والأصول التى بنى عليها الشوكانى منهجه فى توحيد الأسماء والصفات ينبغى أن لايخل بها أى مكلف ، والا وقع في هوة الضلال ، وذلك بأن من نفى عن ربه وصفا أثبته الله لنفسه ، فالله — جل وعلا — يثبت لنفسه صفات كمال وجلال ، فكيف يليق بمسكين أن يتقدم بين يدى رب العالمين ؟ ومن أراد أن يسلم من ورطة التشبيه والتعطيل ، فعليه أن يوء من بصفات ربه — جل وعلا — منزها ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق (٣) •

يقول الشوكانى : ان اثبات المثل لله تعالى محال ومن فهم الآيات السابقة حق الفهم وتدبرها حق التدبر مشى بها عند اختلاف المختلفين فى الصفات على طريقة بيضاء واضحة (٤) •

والذى تعنيه السلفية من هذا التوحيد : هو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف (٥) أو تعطيل (٦) ، ومن

---

(١) الشوكانى : الرسائل السلفية : التحف فى مذهب السلف ص ٩ •

(٢) د • عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ١٩٧ — ١٩٩ •

(٣) المصدر السابق:

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٥٢٨ •

(٥) التحريف : تغيير ألفاظ أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا أو تغيير معانيها الى معانى باطلة لايدل عليها الكتاب والسنة • أنظر : الصديق حسن خان : قطف الثمر فى بيان عقيدة أهل الاثر ص ٣١ وأنظر الكواشف الجلية ص ٧٣ •

(٦) التعطيل : نفى أسماء الله وصفاته ، وتعطيل المخلوقات من خالقها جل وعلا ، وأول من ابتدع التعطيل : الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، الفتوى الحموية ص ٩٥ •

غير تكييف (١) ، ولا تمثيل (٢) .

يقول الشوكاني : والحق في الصفات امرارها على ظاهرها من غير تأويل ، فان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين (٣) .

وما ذكره الشوكاني من استحالة معرفة كنة الله أو كنة صفاته منطق سليم ، لأن العقل الانساني مهما بلغ من الذكاء وقوة الادراك فانه قاصر غاية القصور ، وعاجز نهاية العجز عن معرفة حقيقة الروح ، فكيف يطمح الى معرفة حقيقة الذات والصفات الالهية ؟ .

وقد ردت السلفية على من أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد ، كجهم ابن صفوان ، ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا : " ان اثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب " وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة ، لأن اثبات ذات مجردة من جميع الصفات لايتصور لها وجود في الخارج ، وهذا غاية التعطيل (٤) .

يقول ابن قيم الجوزية : ليس اسم الله والرب والاله اسما لذات مجردة لاصفة لها البتة ، فان هذه الذات المجردة وجودها مستحيل ، وانما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله والرب والاله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال (٥) .

---

(١) التكيف : أن يقال أن الصفة على هيئة كذا ، وكيفية معينة ، الصديق حسن خان : قطف الثمر ص ٣١ .

(٢) التمثيل : التشبيه بين الخالق والمخلوق ـ المصدر السابق .

(٣) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٨ .

(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٨٠ .

(٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٢١ .

ومما سبق يتبين لنا عن طريق الشرع أن اللــه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله، لقوله تعالى : " ليس كمثله شيء " (١) وقوله : " هل تعلم له سميا " (٢) وقوله تعالى : " فلا تجعلوا للــه أندادا وأنتم تعلمون " (٣) وقوله : " ولم يكن له كفوا أحــد " (٤)

وكما دل على ذلك الشرع ، دل عليه أيضا دليل العقل : " فان المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخـر ويجب له ما يجب على الآخـر ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه . فلو كان المخلوق مماثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب وما يجوز وما يمتنع ، والخالق يجب وجوده وقدمه ، والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه ، بل يجب حدوثه وامكانه ، فلو كانا متماثلين ، للزم اشتراكهما في ذلك فكان كل منهما يجب وجوده وقدمه ، ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ، ويجب حدوثه وامكانه ، فيكون كل منهما واجب القدم ، واجب الحــدوث ، واجب الوجود ، وليس بواجب الوجود ، يمتنع قدمه ، لا يمتنع قدمه ، وهــذا جمع بين النقيضين . (٥)

هذا وينبغي أن يعلم أن أنواع التوحيد الثلاثة : الربوبية ، والالهية ، والأسماء والصفات ــ يوجــد بينها علاقــة تضمن وتلازم وشمول .

العلاقــة بين أنواع التوحيد الثلاثة :

فبين توحيد الربوبية ، والالهية ، وتوحيد الاسماء والصفات علاقــة تلازم : معناها : أن من أشرك في أيّ نوع منهــا فهو مشرك في بقيتهــا ،

---

(١) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٢) سورة مريــم : آية : ٦٥ .

(٣) سورة البقــرة : آية : ٢٢ .

(٤) سورة الاخلاص

(٥) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص ٨ ، ومجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٢٢

فدعاء غير اللـه وسوءاله حاجـة شرك في الالـهية ، كما أنه شرك في الربوبية ، حيث اعتقد أنه متصرف مع اللـه في ملكوته ، وأنه يسمعه على البعـد والقرب ، وهو شرك في الاسماء والصفات حيث أثبت للمدعو من دون اللـه سمعا محيطا بجميع المسموعات ، لايحجبه قرب ولا بعد ، فاستلزم هذا الشرك في الالـهية ، الشرك في الربوبية والشرك في الاسماء والصفات [(١)] .

كما أن توحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية ، فمن لايقدر على أن يخلق يكون عاجزا ، والعاجز لايصلح أن يكون الهـا . قال تعالى : " **أيشركـون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون** " [(٢)] وقال : " **أفمن يخلق كمن لايخلق أفـلا تذكرون** [(٣)] " [(٤)]

أما الشمول الموجود بين الانواع الثلاثة : فهو أن في توحيد الأسمـاء والصفات شمولا للالهية والربوبية ، وذلك لانه يقوم على افراد اللـه بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا ، ومن جملتهـا كونه ربا واحدا لا شريك له في ربوبيته ، وكونه الهـا واحـدا لا شريك له في الهيته [(٥)] .

ومن ذلك يتبين أن الأنواع الثلاثة في التوحيد متكافلة ومتلازمة يكمـل بعضها بعضا ، ولا يكمل لأحـد توحيده الا باجتماعها جميعا .

---

(١) حافظ بن أحمد الحكمي : العقيدة الاسلامية سوءال وجواب ص ٣٨ .
(٢) سورة الاعراف : آية : ١٩١ .
(٣) سورة النحـل : آية : ١٧ .
(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٣ .
(٥) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلـة جـ ١ ص ٢٢٣ .

مناقشة الشوكانى للزيدية فى الوحدانية

أولا : منهج الزيدية فى التوحيد :

ويتبين بنظرتهم للذات ، ثم نظرتهم للصفات ،.

(أ) نظرتهم للذات :

يعد أصل التوحيد ركيزة أساسية يرتكز عليها فكر الزيدية ، ولذلك ترى أئمتهم يضعونه فى مقدمة أصولهم الخمسة ، التى أخذوا بها عن المعتزلة ، وسنجد عند عرضهم لهذا الاصل وما يتعلق به من رفض واستبعاد لكل ما يمس المفهوم المطلق للذات الالهية من تشبيه أو تجسيد ، وتنزيهها من كل عوامل التعدد والتركيب ، شأنهم شأن المعتزلة تماما .

وتفسر الزيدية اصطلاحهم فى التوحيد : بأنه العلم بأن الله تعالى واحد لايشاركه غيره : فيما يستحق من الصفات ، نفيا واثباتا على الحد الذى يستحقه ، والاقرار به (١) ، كما جعلت الزيدية ذلك واجبا على كل مكلف ، يقول الامام يحى بن الحسين : " أول واجب على العبد أن يعلم أن الله واحد أحد فرد صمد ، ليس له شبيه ، ولا نظير ، ولا عديل ، لاتدركه الابصار فى الدنيا ولا فى الآخرة " (٢).

كما ان معرفة الله عندها : هو التعيين عليه ويكون على وجهين : اثبات ونفى ، فالاثبات : هو التعيين بالله والاقرار به ، والنفى : نفى التشبيه عنه (٣).

كما تحدد الزيدية المعنى الاصطلاحى ل(الواحد) الذى ينطبق على لفظ الجلالة (الله) فتقول : نخرج معنى قولنا الواحد ، على أنه لا شبيه له

---

(١) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ١٧٩ .

(٢) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ١٥٧ .

(٣) د . فضلة عبد الامير : تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣١٧ .

ولا نظير ، ولا كفوا لاصغير ولا كبير ، هو الله الواحد الاحد ، الذى لم يكن في شيء ، وهو الموجد لكل شيء ، ولم يكن من اصل ، ولا يكون منه ابدا فصل " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "(١) ، الواحد فى الربوبية ، والملك والعزة ، والكبرياء ، والعظمة (٢) .

وتوغل الزيدية فى معنى التجريد المتوحيد ، والمنزه للذات الالهية عن كل ما يشير من قريب أو بعيد الى التجسيد ، والتشبيه فتقول : عالم لا يجهل ، قادر لا يعجز ، قاهر لا يغلب ، دائم لا يبيد ، حى لا يموت ، قديم وما سواه محدث ، غنى وما سواه فقير ، لا تحيط به الانظار ، القديم الازلى الذى لا غاية له ولا نهاية ، البرىء من أفعال العباد ، المتعال عن الانتقال ، المتقدس عن الزوال ، وعن التصور فى الاجسام (٣) .

ليس جسما ، لان الجسم محدود مبعض ، والله ليس كذلك ، ولا عرضا لان العرض لا قوام له الا بغيره ، والله هو المقيم لكل شيء ، الذى لا يحتاج الى معونة شيء (٤) ، وليس شخصا فتجاهره الابصار ، ولا هو صوت فتوعيه الاسماع ، ولا رائحة فيشمه الشام ، ولا حار ولا بارد فتذوقه اللهوات ، ولا لين ولا خشن ، فتلمسه الايدى (٥) ، ولا يجوز عليه المكان والحركة والسكون والجوارح والاعضاء (٦)

---

(١) سورة الاخلاص .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦١ .

(٣) د . محمود أحمد صبحى : الزيدية ص ١٥٧ — ١٥٨ .

(٤) رسائل العدل والتوحيد : جـ ٢ ص ٣٢٠ — ٣٢١ .

(٥) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٢ .

(٦) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ١٧٩ .

ولما كانت الزيدية كالمعتزلة يعتقدون وحدانية الله على النحو السابق ، انبروا يحاربون كل مذهب ، ويفندون كل قول يرونه بعقولهم أنه يتعارض مع مبدأ التوحيد ، فحاربوا كل مذهب جعل لله شريكا في الازلية أوشبه الله بخلقه ، فنفوا عن الله تعالى جميع الصفات المحدثات (١) .

وبعد أن حددت الزيدية معنى الوحدانية وضعت لكلمة (واحد) عدة معان ، انطلقت تقول : أنه تعالى لايجوز عليه التجزوء والانقسام ، وانه لا يشاركه غيره في صفاته ، وأنه لا ثاني له ، ولا قديم معه سواه ، واستدلت على ذلك بدليل التمانع (٢) من قوله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ... " (٣) وبقوله : وما كان معه من اله لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض " (٤)

فيتبين مما سبق نظرة الزيدية للذات الالهية . وننتقل الآن الى نظرتهم الى وحدانية الصفات ، فنجدهم قالوا : بنفي الصفات الالهية الزائدة على الذات والقائمة بالذات سواء ما اصطلحوا عليه من صفات الذات أو صفات الافعال .

(ب) نظرتهم للصفات :

فالزيدية فيما يتعلق بصفات الذات ذهبت مذهب المعتزلة ، الذين قالوا : أنها والذات الالهية سواء بسواء ، وانه ليس لله من صفات مفارقة ، بل هذه الصفات هي ذاته نفسها ، فعلمه ذاته ، وكما قالت المعتزلة واحد ائمتهم ابو الهذيل : أنه عالم بعلم هو هو ، قادر بقدرة هي هو ، وحي بحياة هي هو ، وسميع بسمع هو هو ، وهكذا في جميع صفات الذات .

وكما يقول الهادي : أن القدرة ليست شيئا سوى ذاته ، لان القول بأن لله

---

(١) د . محمود أحمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ١ص٣٢٧ .

(٢) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص٢٠٣ .

(٣) سورة الانبياء آية : ٢٢ .

(٤) سورة المؤمنون آية : ٩١ .

قدرة سواه يعنى أنه اما أن تكون قديمة أولية ، فتكون ثابتة مع الله ، أزلية ، وهذا ابطال للتوحيد ، أو أن تكون محدثة بعلم ، ويكون الله أوجدها من بعد العدم ، فيدخل بذلك العجز على الله والتضعيف (١) .

ومن هنا نعلم أن الزيدية قالت أن الله ليس له سبحانه صفات أزلية قائمة بذاته ، من علم وقدرة وارادة وحياة وعلم وسمع وبصر وكلام غير ذاته فنفوا الصفات القديمة أصلا والقائمة بذاته تعالى زاعمين أن القول بوجود هذه الصفات يؤدى الى القول بالتجسيم كما قالت المعتزلة : أنه لو وصف الله بصفة ما للزم أن يكون قبل هذه الصفة ناقصا ومحتاجا الى ما يكمله بهذه الصفة ، وللزم افتقاره اليها وهو محال . . . وأنه لم يكن فى الأزل اسم ولا صفة لأن الصفة وصف الواصف ، ولم يكن فى الأزل واصفا ، ولم يكن فى الأزل مسم . (٢)

وهكذا تنتهى الزيدية الى القول : بأنه ليس هناك سوى الذات الالهية ، ولا فرق بين هذه الصفات والذات لأن هذه الصفات قديمة أزلية ، ولو افترضنا وجودها مستقلة عن الذات لكان هناك أكثر من قديم ولا نتفى التوحيد .

أما صفات الفعل : مثل السخط والرضى والارادة والتفضل والجود ، والكرم والثواب ، والاحسان والعفو والرحمة وغيرها ، فهى فى نظر الزيدية أفاعيل من الله يفعلها بعد عدم وفقا لمقتضيات الفعل الانسانى وملابساته ، فهذه الصفات تصدر عن الله وفقا لمقتضيات الحوادث ، (٣) وسيأتى لهذا الموضوع زيادة بيان فى فصل الصفات .

---

(١) محمد على زيد: معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٢) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٣٤٩ .

(٣) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

ولما اصطدمت الزيدية بعد التجريد المتناهي للذات بالعديد من الآيات في القرآن الكريم التي تبين صفات الله تعالى وأفعاله ، تراها تعاملت معها وفقا لمنهجها في التأويل ، والذي سبق الكلام عنه في الفصل الأول [١] ، فأولت النصوص التي تصطدم مع منهجها لكي تسلم لها قواعدها في تجريد الذات عن الصفات وسوف نناقش الزيدية في كل ماذهبت اليه في هذه الوحدانية لتعرف مدى انحرافها عن منهج الكتاب والسنة والسلف الصالح

مناقشة الشوكاني للزيدية :

رأينا أن الزيدية والمعتزلة ، رفضوا واستبعدوا كل مايمس المفهوم المطلق للذات الالهية من تشبيه أو تجسيد كما نزهت الذات من كل عوامل التعدد التركيب ، وقالوا : في وحدة الذات : " هو واحد في ذاته لاقسيم له " [٢] وفسروا هذا النوع من التوحيد : أنه تعالى لا يجوز وصفه بصفة ثبوتية ، لأن ذلك يقتضي الكثرة في القدماء ، وقالوا : ان صفاته عين ذاته .

وقالوا في توحيد الصفات : أنه لا شبيه له في صفة من صفاته ، وأدرجوا في مسمى هذا النوع نفي الصفات [٣] ، فمن أثبت صفة صار في زعمهم مشبها ، وبعضهم لم يصفه لا بنفي ولا بإثبات فشبهوه بالممتنع .

وقالوا في توحيد الأفعال : أنه واحد في أفعاله لا شريك له فيها ، وقدموا على هذا النوع دليل التمانع ، وهو الدليل المذكور في جميع كتب المتكلمين ، والمعتمد عندهم في الاستدلال على الوحدانية . [٤]

---

(١) أنظر هذه الرسالة ص

(٢) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن ص ١٧٩

(٣) علي محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٦ .

(٤) د . أحمد محمود صبحي : الزيدية ص ٣٠٣ .

نقد الشوكاني الزيدية في هذا المسلك ، وبين أنه مشوب بالجهل مباين للعلم ، وأن عبارتهم في نفي الصفات بلغت الى حد يقشعر منه الأبدان ، وأنهم فروا من التشبيه الى التعطيل ثم قال : قد رأيت ما يقول هؤلاء ، ويذكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم : " أن الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا هو جوهر ولا عرض ، ولا داخل العالم ولا خارجه ، فأنشدك الله : أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي ؟ وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة ؟ (١) فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل . (٢)

وهكذا نفت الزيدية والمعتزلة حقائق أسماءه وصفاته ، وقالوا : هذا هو التوحيد ، وقالوا : نحن ننزه الله عن الأعراض والأبعاض ، والحدود والجهات ، وحلول الحوادث . فانظر ماتحت تنزيه هؤلاء المعطلة النفاة .

يقول ابن قيم الجوزية : انظروا ماتحت تنزيه المعطلة النفاة بقولهم : ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ، ولا تقوم به الأعراض ، ولا يوصف بالأبعاض ، ولا تحله الحوادث ، ولا يفعل بالأغراض ، ولا تحيط به الجهات ، ولا يقال : في حقه أين ، فكسوا بهذه الألفاظ حقائق أسمائه وصفاته ، ثم توصلوا بواسطتها الى نفيها وضللوا من أثبتها . (٣)

والزيدية لما أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد ، وقالوا : اثبات الصفة يستلزم تعدد الواجب ، كان قولهم معلوم الفساد بالضرورة ، " فان اثبات ذات مجردة من جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج ، وانما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله ، وهذا غاية التعطيل . (٤)

---

(١) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٩ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلي جـ ١ ص ١٢٥ - ١٣٦

(٤) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ط ـ ص ٨

يقول ابن القيم الجوزية : ليس اسم الله والرب والاله اسما لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات المجردة وجودها مستحيل ، وانما اسم الله والرب والاله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ، ونعوت الجلال . (١)

والله تعالى موصوف فى القرآن بكل صفات الكمال الواردة فيه ، وليس فى وصفه بشىء منها مايوجب الجسمية ولا الحيز ولا الجهة ولا التركيب ، ومعنى الكمال والنقص يجب أن يوءخذ من الشرع حتى لا نصفه سبحانه بما قد يظن أنه كمال فى حقه بالمقايسة على المخلوقين وهو ليس كمالا بالنسبة له . (٢)

وهذه الطريقة التى سلكتها السلفية فى التنزيه وبنت عليها مذهبها فى الصفات طريقة سديدة ، وابن تيمية كان منهجه واضحا فى ذلك عندما رأى أن تلقى معنى الكمال والنقص بالنسبة لله لا يوءخذ الا من السمع ، لأنه سبحانه أعلم بنفسه وبما يجب له .

واذا كان هوءلاء الزيدية يعتقدون أن اثبات الصفات يتنافى مع التنزيه عندهم ، فانهم بذلك قد خالفوا أصول القرآن ، والأساس الذى بنى عليه مذهب السلف الذى جمع بين الاثبات والتنزيه يقول الشوكانى : كلمة : " ليس كمثله شىء " يستفاد منها نفى المماثلة فى كل شىء ، ونعرف الكلام عند وصفه سبحانه " بالسميع البصير " وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فيتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات . (٣)

---

(١) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٢٢١ .

(٢) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٤ .

(٣) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٠ .

ومن هنا نعلم أن منهج الزيدية والمعتزلة وسائر النفاة ليس بسديد ، لأنهم اختلفوا في تحقيق معنى الكمال لله هل هو في اثبات الصفات أو نفيها عنه ، وقد تلقوا ذلك من عقولهم ، ولم يتلقوه من السمع ، فكان تأويلهم للصفات بما يؤدي الى نفيها زاعمين أن اثبات الصفات يستلزم التعدد والتركيب ، والافتقار ومشابهة الحوادث أو يستلزم الحركة والانتقال (١) .

فيقال لهم أن العقل لما دل على اثبات اله واحد ورب واحد لا شريك له ولا شبيه ولم يلد ولم يولد " لم يدل على أن الرب الواحد لا اسم له ولا صفة ولا وجه ، ولا يدين ، ولا هو فوق خلقه ، ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ، فدعوى ذلك على العقل كذب صريح عليه كما هو كذب صريح على الوحي (٢) .

والوحي والعقل والفطرة دلت على ثبوت ذلك له سبحانه أفننفيه لمجرد تسمية الزيدية أو المعتزلة له بأن ذلك يستلزم التركيب أو الجسمية أو قيام الحوادث به (٣) ؟

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٣٠ .

(٢) ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق :

الفصل الرابـــــــــع

=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=

الصفات الالهية العقلية ومنهجه فى اثباتهـــا

=ـ=

- تعريف الصفات الالهية العقلية .
- قواعد منـــهج الشوكانى فى هذه الصفات .
- اثبات الصفات الالهية العقلية .
  - صفة العلم .
  - صفة القدرة .
  - صفة الارادة : (الكونية والدينية) .
  - صفة الحياة .
  - صفتى السمع والبصر .
  - صفة الكلام .
- الصفات الالهية العقلية عند الزيدية .
- مناقشة الشوكانى لهم .
- رد السلفية على هوءلاء النفاة المعطلة .

=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=

=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=ـ=

تعريف الصفات الالهية العقلية :

الصفات الالهية العقلية : هى ماكان طريق اثباتها أدلة العقول ، مع ورود السمع بها ، وهى على قسمين :

الأول : مايدل خبر المخبر به عنه ، ووصف الواصف به له على ذاته ، كوصف الواصف له ، بأنه شيء ذات موجود قديم ، اله قدوس ، ملك جليل عظيم عزيز متكبر ، والاسم والمسمى فى هذا القسم واحد .

الثانى : مايدل خبر المخبر به عنه ، ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به ، وهو كوصف الواصف له بأنه : حى عالم قادر مريد سميع بصير متكلم باق ، فدلت هذه الأوصاف على صفات، زائدات على ذاته قائمة به ، كحياته وعلمه وقدرته ، وارادته وسمعه وبصره وكلامه وبقائه ، والاسم فى هذا القسم ، صفة قائمة بالمسمى ، لا يقال أنها هى المسمى ، ولا أنها غير المسمى (١) ، وهذا القسم هو الذى سنتناوله بالبحث هنا .

وقد عرّف المتكلمون هذا القسم الأخير ، بأنه صفات معانى ، وهى فى اصطلاحهم أنها : مادل على معنى وجودى قائم بالذات ، والذى اعترفوا به منها سبع صفات هى : القدرة ، والارادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، ونفوا غير هذه الصفات ، وأنكر هذه المعانى السبعة المعتزلة ، وأثبتوا أحكامها فقالوا : هو قادر بذاته ، عليم بذاته ، حى بذاته ... الخ ، ولم يثبتوا قدرة ، ولا علما ، ولا حياة ، ولا سمعا ، ولا بصرا ، فرارا من تعدد القديم ، وهذا المذهب كل العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه .(٢)

---

(١) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٧١ .

(٢) د . عمر سليمان الأشقر: العقيدة فى الله :ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

قواعد منهج الشوكانى فى هذه الصفات :

حدد الشوكانى موقفه من هذه الطوائف التى ضلت فى هذه الصفات ، وأرجع الأسباب التى بها ومن أجلها تحالفت فيه نحلهم الى الدخول فى الأبواب التى لم يأذن لهم الشرع بدخولها ، وقسّم هذه الطوائف الى أقسام ثلاث مبينا المذهب الحق فى هذه المسائل فقال :

" اعلم أن الكلام فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات قد طالت ذيوله ، وتشعبت أطرافه ، وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق ، وتخالفت فيه النحل ، وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ، ودخولهم فى أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ، ومحاولتهم لعلم شىء استأثر الله بعلمه ، حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا :

الطائفة الأولى : هى التى غلت فى التنزيه ،فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ، ويضطرب له القلب ، من تعطيل الصفات الثابتة فى الكتاب والسنة ، ثبوتا أوضح من شمس النهار . (١)

والطائفة الثانية : هى التى نحلت فى اثبات القدر غلوا بلغ حد أنه لا تأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك الى الجبر المحض ، والقسر الخالص ، فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة وجاءوا بتأويلات للآيات البينات .

والطائفة الثالثة : توسطت وراعت الجمع بين الضب والنون وظنت أنها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط .

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف : ص ٢ ، ٣ .

ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق فى زعمها ، " وكل حزب بما لديهم فرحون "(١)

ويذكر الشوكانى موضحا متى يكون الاعتقاد شبهة ؟ وما الواجب على المجتهد اذا تعارضت أمامه الأدلة ، ولم يترجح لديه أحد الطرفين ؟ وما موقف المؤمنين بالنسبة للمسائل المدونة فى علم الكلام التى تسمى بأصول الدين مع العلم أن غالب أدلتها متعارضة ؟ فيقول : ان الأدلة اذا تعارضت على المجتهد فى شيء من مسائل الاعتقاد ، ولم يترجح أحد الطرفين ، ولا أمكنه الجمع بينهما فكان الاعتقاد شبهة ، والمؤمنون وقافون عند الشبهات ، ومن هذا القبيل المسائل المدونة فى علم الكلام المسمى بأصول الدين ، فان غالب أدلتها متعارضة .(٢)

ومن هنا يعلم أن المسائل الاعتقادية وأصول الدين يجب أن تؤخذ من المصادر التى لا يعتريها الاختلاف ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهى مافى الكتاب العزيز والسنةا لمطهرة .

يقول الشوكانى : أصول الدين الذى هو عمدة المتقين مافى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المطهرة ، فان وجدت فيهما مايكون مختلفا فى الظاهر فليسعك ماوسع خير القرون .(٣)

وبذلك بين الشوكانى أنه لا يجوز التعويل على غير الكتاب والسنة وحدهما فى أخذ الاسماء والصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه ، ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف : ص ٢ ، ٣ .
(٢) الشوكانى : كشف الشبهات عن المشتبهات : ضمن الرسائل السلفية ص ١٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٩ ، ٢٠ .

يقول الشوكانى : لا يتبغى لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، وابراز الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه الى الله . . . فانه لا سبيل للعباد يتوصلون به الى معرفة ما يتعلق بالرب سبحانه ، وبالوعد والوعيد والجنة والنار ، والمبدأ والمعاد الا بما جاءت به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم عن الله سبحانه ، وليس للعقول وصول الى تلك الأمور .(١)

ويذكر الشوكانى ما يحدد به منهجه ويوضح مذهبه ويرسم به طريقه فى اثبات الصفات أو نفيها ، ويذكر قاعدة واجبة فى هذا الباب ، وهى : ما أثبته الله ورسوله يثبته ، وما نفاه الله ورسوله ينفيه ، ويحفظ حرمة النصوص والالفاظ والمعانى التى جاءت فى الكتاب والسنة فيقول : "لم يكلف الله أحدا من عباده أن يعتقد أنه جل جلاله متصف بغير ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن زعم أن الله سبحانه تعبد عباده بأن يعتقدوا أن صفاته الشريفة كائنة على الصفة التى يختارها طائفة من طوائف المتكلمين فقد أعظم على الله الفرية .(٢)

ومن هنا نعلم أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، وبما يجب له ويمتنع عليه لا سبيل الى ادراكها بالعقل وحده ، لأنها من شئون الغيب التى لا تدخل فى نطاق وظيفته ، وانما وظيفة العقل فى ذلك أن يفهم ما تضمنته النصوص من معانى أسماء الرب وصفاته .(٣)

---

(١) الشوكانى : أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) الشوكانى : كشف الشبهات ص ١٨ .

(٣) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٢٣١ = ٢٣٢ .

ولا شك أن الله عز وجل لم يكلنا في معرفة شيء من أسمائه وصفاته الى شيء وراء مادل عليه الكتاب والسنة ، ومن رجع في شيء من ذلك الى قضية عقل أو استحسان برأي أو الهام وكشف أو غير ذلك فقد قال على الله بغير علم ، وضل سواء السبيل .(١)

والرجوع الى قضايا العقل أو الاستحسان بالرأي وممارسة علم الكلام والاشتغال به لا يفيد ، وانما يؤدي الى الحيرة ، ولبس ثم أوثق من أدلة الكتاب والسنة يقول الشوكاني : أعلم أني عند الاشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب لم أزدد بها الا خيرة وعند هذا رميت بتلك القواعد من حالق ، وطرحتها خلف الحائط ، ورجعت الى الطريقة المربوطة بأدلة الكتاب والسنة .(٢)

وتتخذ السلفية في اثبات هذه الصفات منهجا قويما اذ تجعل أسماء الله تعالى وصفاته كلها توقيفية لا يجوز اطلاق شيء منها على الله في الاثبات والنفي الا باذن من الشرع .

وتعني السلفية بقولها هذا : أن لا يتجاوز بها الوارد في الكتاب والسنة ، فهي تتلقى من طريق السمع لا بالاراء فلا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمى الا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

وما تذكره السلفية في هذا الباب هو النصيحة النافعة على أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل تثبت له الاسماء والصفات ،

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) الشوكاني : أدب الطلب تحقيق ونشر مركز الدراسات والابحاث اليمنية ص ١١٥ .

وتنفى عنه مشابهة المخلوقات (١) ، فلا مبالغة فى الاثبات المفضى الى التجسيم ولا مبالغة فى النفى المفضى الى التعطيل ، فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية مذهب السلف الصالح وهو قولهم : باثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو . (٢)

واذا كان هناك من الأسماء ما يطلق على صفات الله كما يطلق على صفات خلقه ، فليس هذا الا محض اشتراك فى الاسم فقط ، ولا يقتضى مماثلة صفاته تعالى لصفات المخلوقين ، ولا مشابهته تعالى لخلقه ، لأن صفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، ويقدر لا كقدرنا ، ويرى لا كرؤيتنا ، فليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه . (٣)

فوصف الله تعالى بالصفات التى توصف بها المخلوقات لا تقتضى التشبيه بأى حال ، مادمنا نفرق بين اطلاق اسم ما على الله تعالى ، وبين اطلاقه على شىء من المحدثات وذلك لبطلان طريقة قياس الغائب على الشاهد . (٤)

ومعنى ذلك فى كلام السلفية : أن الاثبات ليس تشبيها ، لأن القرآن تحدث عن الصفات الالهية بالاثبات ، والله قد سمى بعض عباده بما يسمى به نفسه كالعلم والسمع والبصر ، والله موجود والعبد موجود ، وليس اثبات هذه الصفات لله يقتضى مشابهته لشىء من خلقه فى أى منها ، لأنه لا يلزم من اتفاقهما فى مسمى الصفة اتفاقهما فى حقيقة الصفة لأن الله

---

(١) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين جـ ٢ ص ٥٢ ، ٨٦ .

(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٠ .

(٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة : جـ ١ ص ٧٣ .

(٤) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٢٣٥ .

تعالى لا يقاس بخلقه ، فلا يستعمل فى حقه قياس التمثيل أو الشمول بل يستعمل فى ذلك قياس الأولى .(١)

وبناء على ذلك اذا رأينا القرآن الكريم قد وصف الخالق - جل وعلا - بصفات ووصف المخلوقين بتلك الصفات ، فصفة الخالق حق ، وصفة المخلوقين حق ، لكن صفة الخالق لائقة بذاته ، وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره ، وبين الصفة والصفة من الفرق كما بين الذات والذات .(٢)

ومما سبق عرفنا منهج الشوكانى وطريقته فى اثبات هذه الصفات الالهية ، والتزامه بنصوص الكتاب والسنة ، واثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وكذلك ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم .

فما هى طريقته فى النفى ؟

نجد الشوكانى يلتزم نفس طريقة الكتاب والسنة فلا ينفى نفيا محضا ، لأنه وجد القرآن لا ينفى صفة نقص عن الله الا اذا كانت متضمنة صفة مدح أو كمال ، فلا ينفى نفيا مجردا ، ولذلك نراه ينقد ويندد بمقالة أهل النفى المحض فيقول :

" قد رأيت مايقوله هؤلاء النفاة ، ويذكرونه فى مؤلفاتهم ، ويحكونه عن أكابرهم : أن الله تنزه وتقدس ، لا هو جسم ولا هو جوهر ، ولا عرض ، ولا داخل العالم ، ولا خارجه ، فأى عبارة تبلغ هذه العبارة فى النفى ؟(٣)

وهذا الذى ذكره الشوكانى مندداً بمقالة أهل النفى المحض لم يصف الله به نفسه فى القرآن ، لأنه لا يستلزم ثبوتا ، وهذه الصفات

---

(١) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٩ .

(٢) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٨ - ٩ .

(٣) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٩ .

يمكن أن يوصف بها المعدوم ، وذلك لأن القرآن لا ينفى عن الله صفة نقص الا اذا كانت متضمنة صفة مدح أو كمال كما فى آية الكرسى وغيرها ، وعامة السلفية على النفى المتضمن اثبات صفة مدح يقول ابن تيمية : كل نفى لا يستلزم ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه ، فالذين لا يصفونه الا بالسلوب ، لم يثبتوا فى الحقيقة ، الها محمودا بل ولا موجودا ، وكذلك من شاركهم فى بعض ذلك كالذين قالوا : لا يتكلم ولا يرى أو ليس فوق العالم أو لم يستو على العرش ، ويقولون : ليس بداخل العالم ولا خارجه ، ولا مباين للعالم ولا مجانب له ، اذ هذه الصفات يمكن أن يوصف بها المعدوم ، وليست هى صفة مستلزمة صفه ثبوت .(١)

وقد أذعن الشوكانى على مانطق به لكتاب والسنة فمنع التأويل ، وأثبت الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التى وردت فى هذه الصفات الالهية ، وأجرى أخبارها على ظواهرها " من دون تكييف ولا تكلف ، ولا قصور فى شىء"(٢) وقال : " فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط ، فهو غير مقيّد بالسلف ، ولا واقف فى طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ ، ولا سالك طريق السلامة والاستقامة "(٣)

وليس الظاهر المتبادر فى الصفات عند السلفية معناه التشبيه ، حتى تحتاج الى تأويل أو صرف اللفظ عن ظاهره ، بل الظاهر المتبادر عند كل مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق ، وامرارها على ظاهرها هو الحق ، ولا ينكر عاقل أن المتبادر للاذهان السليمة أن الخالق ينافى

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ص ٤١ المكتب الاسلامى تحقيق زهير الشاويش الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ .

(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢ .

المخلوق فى ذاته وسائر صفاته ، لا يعارض فى هذا الا مكابر معاند .(١)

ومما سبق يتبين لنا موقف الشوكانى والسلفية من اثباتهم الحقائق المتبادرة من ظواهر النصوص التى وردت فى صفات الله وأسمائه الأمر الذى ينادى بأعلى صوت ويقرر : أنه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الداعى الى الله على بصيرة أن يكون قد أخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله بما الهدى فى خلاف ظاهره ، والحق فى اخراجه من حقائقه ، وحمله على وحشى اللغات ، ومستكرهات التأويلات ، وأن حقائقه ضلال وتشبيه والحاد ، وأن الهدى والعلم فى مجازه ، واخراجه عن حقائقه .(٢)

وبهذا الموقف الواضح والمنهج المستقيم الذى قرره الشوكانى : من اثبات جميع الصفات الالهية المذكورة فى القرآن والسنة ، ومنعه تأويلها أو تكييفها كما سبق ، لأنها صفات كمال لا بد أن يتصف بها الله تعالى ، ولأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ، ولا أعلم من رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى يكون بذلك قد أعطانا تصورا واضحا لتحديد العلاقة بين ذات الله تعالى وصفاته .

وفى اثبات هذه الصفات الالهية العقلية سلك الشوكانى طريقا مأمون العواقب ، وذلك بأن تعرف على الله وصفاته من خلال كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يترك مجالا للشك والالتباس .

---

(١) د . عمر الأشقر : العقيدة فى الله ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة جـ ١ ص ٦ .

اثباته الصفات الالهية العقلية :

سلك الشوكاني في اثبات هذه الصفات سبيل النصوص القرآنية والحديثية التي تتحدث عن الله تعالى حديثا مباشرا ، مبينة صفاته تعالى وأسماءه وأفعاله ، كما حرص الشوكاني على ألا يزيف النصوص بتأويل أو تحريف كما فعل كثير من المتكلمين ، وخصوصا المعتزلة والزيدية ، ولكن وضح المراد من خلال النصوص ، وحرر المقصود كما سنوضحه بعد .

أولا : اثباته صفة العلم :

بين الشوكاني صفة العلم بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة ، بأن علمه عز وجل أزلي ، وأنه قد سبق في كل شيء ، ولا يصح أن يقدر وقوع غير ما قد علمه ، والا انقلب العلم جهلا ، وذلك لا يجوز اجماعا ، لأن علمه عز وجل سابق أزلي ، وقد علم مايكون قبل أن يكون ، ولا خلاف بين أهل الحق من هذه الحيثية .(١)

ومعنى ذلك أن الله تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بجميع المعلومات ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة ، جاءت في آيات لا تحصى : أنه عالم بعلم هو صفة له ، قائم بذاته ، ولما اشتق منها ككونه عليما ، وبعلم ،وأحاط بكل شيء علما : قال تعالى : " ان الله بكل شيء عليم "(٢) ، وقال تعلى : " يعلم مايلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها "(٣) وقوله : " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ،

---

(١) الشوكاني : أمناء الشريعة تحقيق د . ابراهيم هلال ص ١١٩ .
(٢) العنكبوت : آية : ٦٢ .
(٣) سورة سبأ : آية : ٢ .

ويعلم مافى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس الا فى كتاب مبين "(١) ، وقوله : " وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه "(٢) وقوله : " وأن الله قد أحاط بكل شىء علما "(٣) ، " عالم الغيب والشهادة "(٤) ، " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير "(٥) وغير ذلك من الآيات .

فأفادت هذه الآيات وغيرها اثبات صفة العلم لله ، وأن علمه سبحانه شامل لكل شىء ، ومحيط به ، فيعلم ماكان ، ومايكون ، ومالم يكن لو كان كيف يكون ؟ ، فهو عالم السر والعلانية ، والآخرة والدنيا ، وعالم ماغاب من الاحساس وما حضر .(٦)

والذى يقرر ذلك ويدل عليه قوله تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ومعناها : ألا يعلم الله المخلوق الذى هو من جملة خلقه ، فان الاسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه ، فهو الخبير بما تسره وتضمره القلوب ، لا تخفى عليه خافية .(٧)

قال الدكتور خليل هراس فى شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية : " والعلم صفة لله عز وجل ، بها يدرك جميع المعلومات على ماهى عليه ، فلا يخفى عليه منها شىء ، وفى هذه الصفة اثبات اسم الحكيم ، ومعناه : الذى لا يقول ولا يفعل الا الصواب ، وكذلك اثبات اسمه الخبير ، بمعنى : كمال العلم ووثوقه ، والاحاطة بالأشياء على وجه التفصيل ، ووصول علمه

---

(١) سورة الأنعام : آية : ٥٩ .
(٢) سورة فصلت : آية : ٤٧ .
(٣) سورة الطلاق : آية : ١٢ .
(٤) سورة الحشر : آية : ٢٢ .
(٥) سورة الملك : آية : ١٤ .
(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٢٠٧ .
(٧) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٢٦٢ .

الى كل ماخفى ودق من الحسيات والمعنويات .(١)

ومما سبق تقرر بالأدلة السمعية من القرآن الكريم صفة العلم لله تعالى ، كما يتقرر بالأدلة العقلية هذه الصفة له تعالى : فان المصنوع يدل من جهة الترتيب الذى فى أجزائه ، أى كون صنع بعضها من أجل بعض ، ومن جهة موافقه جميعها للمنفعة المقصورة بذلك المصنوع ، أنه لم يحدث عن صانع هو طبيعة ، وانما حدث عن صانع رتب ما قبل الغاية قبل الغاية ، فوجب أن يكون عالما به .(٢)

فهذا الدليل بين أنه يستحيل ايجاد الأشياء مع الجهل ، لأن ايجاد الأشياء بارادته تعالى ، والارادة تستلزم العلم المراد ، ولأن المخلوقات فيها من الاتقان وعجيب الصفة ودقيق الخلقة ما يشهد بعلم فاعلها ، وهذا ظاهر لمن نظر فى الآفاق والأنفس ، وتأمل ارتباط العلويات بالسفليات ، والحيوانات وما هديت اليه من مصالحها .(٣)

وقد اشتد انكار الشوكانى على من ينكر علم الله الأزلى كالمعتزلة وعلى رأسهم أبو على الجبائى بما سنوضحه فى مناقشة الشوكانى لهم فى نهاية هذا الفصل (٤) كما اشتد انكار السلفية لهوءلاء لأنهم نفوا صفة العلم .(٥)

---

(١) د . خليل هراس: شرح العقيدة الواسطية الطبعة الثالثة ص ٣٧ .

(٢) د . محمود خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٢٨٩ ، وأنظر العقيدة الاصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص ٢٤ .

(٣) الايجى : المواقف ص ٢٨٥ .

(٤) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف : ص ٧ ، ٨ .

(٥) د . خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص ٣٩ .

ثانيا : اثبات صفة القدرة :

أثبت الشوكانى صفة القدرة بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة أنه تعالى قادر ، وله قدرة يباين بها صفة من ليس بقادر لقوله تعالى : " ان القوة لله جميعا " (١) والله تعالى لكمال قدرته لايعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء : " وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا " (٢) قال الشوكانى فى تفسيرها : ما كان الله ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائنا ما كان فيها ، لأنه كثير العلم ، وكثير القدرة ، لايخفى عليه شيء ، ولا يصعب عليه أمر . (٣)
فالله تعالى لكمال قدرته لايعجزه شيء ، لأن العجز نقص ينشأ اما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل ، واما من عدم علمه به ، والله تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة ، وهو على كل شيء قدير .

والآيات فى تقرير صفة القدرة كثيرة كقوله تعالى : " وكان الله على كل شيء مقتدرا " (٤) وقوله تعالى : " وسع كرسيه السموات والأرض ، ولايؤوده حفظهما وهو العلى العظيم " (٥) ، وقوله : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " (٦) " والسماء بنيناها بأيد " (٧) وغير ذلك من الآيات التى تثبت لله صفة القدرة .

---

(١) سورة البقرة : الآية : ١٦٥ .
(٢) سورة فاطر : " : ٤٤ .
(٣) الشوكانى : فتح القدير : جـ ٤ ص٣٥٦ .
(٤) سورة الكهف : آية : ٤٥ .
(٥) سورة البقرة : " : ٥٥ .
(٦) " الذاريات : " : ٥٨ .
(٧) " " : " : ٤٧ .

كما جاء عن طريق السنة ما يقرر هذه الصفة كما فى حديث الاستخارة عن جابر " ... اللهم انى أستخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك ... فانك تقدر ولا أقدر " (١) .

وقد علم ببداهة العقول والنظر كمال قدرته وعلمه ، فانتفى العجز لما بينه وبين القدرة من التضاد ، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون الها " (٢)

ويدل على اثبات هذه الصفة لله سبحانه : أن هذا العالم فعل محكم مرتب متقن منظوم مشتمل على العجائب والآيات ، وذلك يدل على القدرة ، لأنه صادر من فاعل قادر (٣) .

فالله تعالى قادر يصح منه ايجاد العالم وتركه ، فليس شئ منهما لازما لذاته ، بحيث يستحيل انفكاكه عنه ، فهو ان شاء فعل ، وان لم يشأ لم يفعل ، فهو مختار ، والمختار انما يفعل بالقدرة ، اذ القادر هو ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ، . فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته ، فهذا ليس بقادر " (٤)

---

(١) الحديث فى صحيح البخارى : كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة .

(٢) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٥٦

(٣) ابن تيميـــة : العقيدة الأصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص ٢٥ .

ثالثا : اثبات صفة الارادة :

الارادة والمشيئة : عبارتان عن معنى واحد ، فهو مريد وله ارادة صفة له ، يباين بها صفة من يكون ساهيا أو مغلوبا أو مكرها (١) ، وقد أثبت الشوكانى هذه الصفة لله سبحانه وتعالى ، بما قد تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة : أنه تعالى مريد ، وله ارادة ومشيئة لقوله تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " (٢) وقوله تعالى : " فعال لما يريد " (٣) وقوله : " ان الله يفعل ما يريد " (٤) وغير ذلك من الآيات .

وقد وضح الشوكانى صفة الارادة وبين أنها ارادة كونية : وهى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته : انسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم (٥) ، فهذه الارادة القدرية الكونية خلقية ، وهى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات (٦) .

ثانيا : ارادة دينية : وهى محبته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا ، وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح " (٧) ، وهذه الارادة الدينية ، أمرية شرعية ، وهى متضمنة للمحبة والرضى (٨) .

يقول الشوكانى : ما خلقه الله وقدّره وقضاه فهو سبحانه يريده ، وان كان لا يأمر به ، ولا يحبه ، ولا يرضاه ، ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه ،

---

(١) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٦ .
(٢) سورة القصص : آية : ٦٨ .
(٣) سورة هود : آية : ١٠٧ .
(٤) سورة الحج : آية : ١٤ .
(٥) الشوكانى : قطر الولى تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٩ .
(٦) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٦٦
(٧) الشوكانى : قطر الولى تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٩ .
(٨) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٦٦ .

وما أمر به وشرعه وأحبه ، ورضيه ، وأحب فاعله ، وأثابهم وأكرمهم عليـــــه ، فهو الذى يحبه ويرضاه ويثيب فاعله .(١)

فالارادة الشرعية التى ذكرها الشوكانى : فى مثل قول الناس لمـــن يفعل القبائح ، هذا يفعل مالا يريد اللـه ، أى : لا يحبه ، ولا يرضـاه ، ولا يأمر به ، وأما الارادة الكونية ، فهى الارادة المذكورة فى قول المسلمين : ماشاء اللـه كان ومالم يشأ لم يكن "(٢)

ثم ذكر الشوكانى ما يتقرر به صفـة الارادة الكونية من القرآن فقـــال : قوله تعالى : " فمن يرد اللـه أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء "(٣) ، وقـــول نوح عليه السلام : " ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان اللـه يريد أن يغويكم "(٤) وقوله تعالى : " واذا أراد اللـه بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال "(٥)(٦) وغير ذلك من الآيات .

وأما ما يتقرر به صفـة الارادة الدينية فيقول الشوكانى : قوله تعالى : " يريد اللـه بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر"(٧) وقوله تعالى : " مايريـــد اللـه ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون "(٨)(٩) ، وغير ذلك من الآيات التى تبين صفة الارادة الدينية .

---

(١) الشوكانى : قطر الولى ص ٢٦٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) سورة الانعام : آية : ١٣٥ .
(٤) سورة هـود : آية : ٣٤ .
(٥) سورة الرعد : آية : ١١ .
(٦) الشوكانى : قطرالولي تحقيق ابراهيم هلال ص ٢٦٩ - ١٢٧٠-
(٧) سورة البقـرة : آية : ١٨٥ .
(٨) سورة المائدة : آية : ٦
(٩) الشوكانى : قطر الولي ص ٢٧٠ .

وكما ثبت بالأدلة النقلية صفة الارادة والمشيئة للـه عز وجل كونيـة ودينية ، ثبت بالضرورة أنه مريد ، لأنه انما يفعل على حسب علمه ، ثم ان كل موجود ، فهو على قدر مخصوص ، وصفـة معينة ، وله وقت ومكان محددان ، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة وتخصيصها كان وفق العلم بالضرورة ، ولا معنى للارادة الا هذا .(١)

رابعا : اثبات صفة الحياة :

الحياة صفـة للـه عز وجل : فهو حى ، وله حياة يباين بها صفـة من ليس بحى .(٢)

وحياته تعالى أكمل حياة ، وأتمها ، واذا كانت كذلك استلزم اثباتها ، اثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة ، قال الشوكانى : لاحياة على الدوام الا للـه سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم ، والحى هو الذى يوثق به فى المصالح(٣) قال تعالى : " وتوكل على الحى الذى لايموت "(٤) .

وقد أثبت الشوكانى هذه الصفـة للـه عز وجل بما تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة أنه تعالى : حى ، والحى هو الباقى ، وهو حى كما وصف نفسه به(٥) لقوله تعالى : الله لا اله الا هو الحى القيوم "(٦) وقال تعالى : " وعنت الوجوه للحى القيوم "(٧) .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية ضمن مجموعة الفتاوى جـ ٥ .

(٢) البيهقـى : الاعتقاد على مذهب السلف ص٣٦ .

(٣) الشوكانـى : فتح القدير جـ ٤ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٤) سورة الفرقان : آية : ٥٨ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٢٧١ .

(٦) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ ، وسورة آل عمران : آية : ٢ .

(٧) سورة طـه : آية : ١١١ .

وقد اقترن اسم الحي بالقيوم في ثلاث سور من القرآن ـ البقرة ٢٥٥ ، وآل عمران اية : ٢ ، وطه : ١١١ ، كما جاء ذلك في الحديث الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه : " أعوذ بعزتك لا اله الا أنت أن تضلني أنت الحي القيوم الذي لا يموت ، والجن والانس يموتون " (١) .

وهو تعالى حيا ، وهو معلوم بالضرورة ، فان العالم القادر حيا ضروري ، اذ لا يعني بالحي الا مايشعر بنفسه ، ويعلم ذاته وغيره ، والعالم بجميع المعلومات ، والقادر على جميع المقدورات ، كيف لا يكون حيا ؟ (٢) .

والحي القيوم من أعظم أسماء الله ، لأنهما يتضمنان اثبات صفات الكمال أكمل تضمن ، وأصدقه ، وعلى هذين الاسمين مدار الأسماء كلها ، واليهما ترجع معانيها ، فصفة الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ، فلا تتخلف عنها صفة الا لضعف الحياة ، ويدل القيوم على معنى الأزلية والأبدية ، وهو يفيد دوام قيامه ، فهو سبحانه لا يزول ولا يأفل : أي لا يغيب ولا ينقص ولا يفنى ولا يعدم ، بل هو الدائم الباقي ، الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال (٣) .

خامسا : اثبات صفة السمع والبصر :

الله تعالى سميع بصير ، وله سمع وبصر ، يدرك بأحدهما جميع المسموعات وبالآخر جميع المبصرات (٤) وصفة السمع والبصر من صفات الذات الثبوتية الملازمة للذات أزلا وأبدا ، والسميع البصير اسمان من أسمائه

---

(١) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٧ .
(٢) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ص ٦٥ .
(٣) ابن أبي العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ج ١ ص ٧٩ .
(٤) البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف ص ٣٨ .

تعالى ، فهو سبحانه بصفة السمع يسمع السر والنجوى ، بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه ، كما هو تعالى بصير يدرك جميع المرئيات مهما لطفت أو بعدت ، فلا يؤثر على رؤيته الحواجز والأشياء ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذى يليق به (١) .

وقد أثبت الشوكانى صفتى السمع والبصر له تعالى بما تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة بقوله تعالى : " اننى معكما أسمع وأرى " (٢) وقوله تعالى : " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ، والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير " (٣) ، وقوله تعالى : " ألم يعلم بأن الله يرى " (٤) . وقوله تعالى : " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير " (٥) وقوله تعالى : " له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع " (٦) .

قال الشوكانى فى هذه الآية الأخيرة : الله سبحانه له ماخفى فى السموات والأرض ، وغاب من أحوالهما ، ليس لغيره من ذلك شىء ، كما جاء بما يدل على التعجب من ادراكه سبحانه للمبصرات والمسموعات فقال : أبصر به وأسمع " فأفاد هذا التعجب على أن شأنه سبحانه فى علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين ، وأنه يستوى فى علمه الغائب والحاضر ، والخفى والظاهر ، والصغير والكبير ، واللطيف والكثيف ، وكأن أصله ما أبصره وما أسمعه (٧) .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . خليل هراس ص ٣٥ .
(٢) سورة طه : آية : ٤٦ .
(٣) سورة المجادلة : آية : ١ .
(٤) سورة العلق : آية : ١٤ .
(٥) سورة الشورى : آية : ١١ .
(٦) سورة الكهف : آية : ٢٦ .
(٧) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٢٧٩ .

وكما ثبتت صفتا السمع والبصر عن طريق الآيات القرآنية ثبتت أيضا بطريق الأحاديث النبوية ، ففي صحيح البخاري عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لانصعد شرفا ، ولا نهبط في واد ، الا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أيها الناس : اربعوا على أنفسكم فانكم ما تدعون أصم ولا غائبا ، فانما تدعون سميعا بصيرا ، ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الدنيا " لاحول ولاقوة الا بالله ".(١)

وينبغي أن يتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات ، " فكلمة " ليس كمثله شيء " بها يستفاد نفي المماثلة في كل شيء ، ووصفه سبحانه بالسميع البصير يتقرر بها الاثبات لهذه الصفات لا على وجه المماثلة للمخلوقات .(٢)

كما تثبت صفة السمع والبصر لله تعالى بضرورة العقل ، وذلك بأن السميع البصير من صفات الكمال ، فان الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي ، واذا كانت صفة كمال لو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا ، والله منزه عن كل نقص (٣) وكل كمال محض لانقص فيه فهو جائز عليه وما كان جائزا عليه من صفات الكمال ، فهو ثابت له ، فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ، وهذا ممتنع اذا لم يتوقف كمال الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ماينزه عنه ، فانه يستلزم نقصا يجب تنزيهه له ، وأيضا فلو لم يتصف بهذا الكمال

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ، باب لاحول ولا قوة الا بالله .

(٢) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ١٠ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٨٥ .

لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه ٠

كما أبطلت السلفية قول المعتزلة ومن وافقهم الذين أرادوا بسمعه وبصره مجرد العلم بما يسمع ويرى ٠ لأن الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، وفرّق بين السمع والبصر ، وهو لايفرّق بين علم وعلم لتنوع المعلومات قال تعالى : " واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم " (١) وقال تعالى : " وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " (٢) فذكر سمعه لاقوالهم ، وعلمه ليتناول باطن أحوالهم " (٣)

صفة الكلام :

أثبت الشوكانى صفة الكلام لله تعالى بما تقرر بالأدلة من الكتاب والسنة بقوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " (٤) وقوله تعالى : " وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " (٥) وقوله : " انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين " (٦) وقوله : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " (٧) وقوله تعالى : " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون " (٨) الى غير ذلك من الآيات التى تقرر بأدلتها صفة الكلام ٠

---

(١) سورة الأعراف : آية : ٢٠٠ ٠

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٢٧ ٠

(٣) د ٠ محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ١ ص٣٠٠

(٤) سورة النساء : آية ١٦٤ ٠

(٥) سورة التوبة : آية : ٦ ٠

(٦) سورة الأعراف : آية : ١٤٤ ٠

(٧) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ ٠

(٨) سورة الأنبياء : آية : ٢ ٠

وقد وضح الشوكانى من خلال تفسيره لمعانى هذه الآيات معتقد السلفية فذكر أن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ، بل منزل ، وهو صفة من صفات الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد فى التنزيل .(١) يقول الشوكانى : لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الاجابة الى القول بخلق القرآن وحدوثه وحفظ الله بهم أمة نبيهم من الابتداع .(٢)

كما ذكر الشوكانى فى قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " : أن الله هو الذى كلم موسى ، و " تكليما " مصدر موءكد وفائدة التوكيد دفع توهم المجاز ، فاذا أكد الكلام لم يكن الا حقيقة ، وأجمع النحويون على أنه اذا أكد الفعل بالمصدر لم يكن مجازا ".(٣)

كما وضح الشوكانى أن كلام الله تعالى لموسى عليه السلام كان من غير واسطة . قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه "(٤) قال الشوكانى : أى سمع كلامه من غير واسطة .(٥)

وبهذا وغيره مما وضحه الشوكانى تبين أن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، والله تكلم به حقيقة ، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره ، واذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج ذلك عن أن يكون كلام الله ، فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من بلغه موءديا ، والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ليس شىء منه كلاما لغيره ، والله تكلم به أيضا بصوت نفسه ، فاذا قرأه العباد قرأوه بصوت أنفسهم ، وكما أن

---

(١) د . محمد حسن الغمارى : الامام الشوكانى مفسرا ص ٢٠٣ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٣٩٧ .

(٣) المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٣٦ .

(٤) الاعراف : ١٤٣ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٢ .

القرآن كلامه ، فكذلك هو كتابه لأنه كتبه فى اللوح المحفوظ .(١)

واذا كان القرآن كلام اللـه عز وجل ، وكلام اللـه صفة من صفات ذاته ، فلا يجوز أن يكون شىء من صفات ذاته مخلوقا ولا محدثا ولا حادثا ، فلو كان القرآن مخلوقا لكان اللـه سبحانه قائلا له كن ، والقرآن قوله ، ويستحيل أن يكون قوله مقولا له ، لأن هذا يوجب قولا ثانيا ، والقول فى القول الثانى وفى تعلقه بقول ثالث كالأول وهذا يفضى الى مالا نهاية وهو فاسد ، واذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقا .(٢)

قال الشوكانى : أنه لانزاع فى حدوث المركب من الأصوات والحروف ، لأنه متجدد فى النزول ، فالمعنى محدث تنزيله .(٣)

وقد وضح ابن تيمية رأى السلفية فى هذه المسألة وناقش فيها المخالفين من المعتزلة والمتفلسفة والأشعرية وأنزل كلا منهم منزلته من صفة الكلام فقال: اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن اللـه متكلم بكلام قائم بذاته ، وأن كلامه غير مخلوق ، واتفق أئمة السلف على أن كلام اللـه منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، ومعنى بدأ : أى هو المتكلم به ، لم يخلقه فى غيره ، كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم ، بأنه : بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام ، ومعنى واليه يعود : ماجاء فى الآثار ،أن القرآن يسرى به حتى لايبقى فى المصاحف منه حرف ، ولا فى القلوب منه آية ، وكما ورد فى الحديث الذى رواه أحمد فى المسند أن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : " ما تقرب العباد الى اللـه بمثل ما خرج منه " (يعنى القرآن) .(٤)

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح الدكتور خليل هراس ص ٨٤ — ٨٥

(٢) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف تصحيح الشيخ محمد أحمد موسى ص ٣٢ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٣٩٧ .

(٤) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

كما يعتبر اطلاق لفظ قديم من الألفاظ المبتدعة التى لم ينطق بهـــا سلف الأمة وأئمتها يقول ابن تيمية : ان أحـــدا من الأئمة والسلف لم يقل أن القرآن قديم وأنه لايتعلق بمشيئته وقدرته (١) .

وقد قطعت السلفية على المعتزلة حجتهم عندما جمعت بين وصفين فـــى صفـــة المتكلم فقالوا : " المتكلم من قام به الكلام ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته " (٢) .

---

(١) ابن تيمية : التسعينية ص ١٤٣ .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٦٦ ـ ٦٧ .

مناقشة الشوكانى للزيدية فى الصفات العقلية :

الصفات الالهية العقلية عند الزيدية :

عندما ننظر الى مصنفات الزيدية ، وما ألفوه وكتبوه فى الالهيات ، وما ذكروه فى صفات الله عز وجل ، نجد أنهم نفوا الصفات القديمة أصلا والقائمة بالذات والزائدة على ذاته .

يقول أبو الحسن الأشعرى فى مقالاته : اختلفت الزيدية فى الأسماء والصفات وهم فرقتان :

فالفرقة الأولى منهم : أصحاب سليمان بن جرير الزيدى " يزعمون أن البارى عالم بعلم لا هو هو ولا غيره وأن علمه شئ ، قادر بقدرة لا هى هو ولا غيره ، وأن قدرته شئ ، وكذلك قولهم فى سائر صفات النفس كالحياة والسمع والبصر وسائر صفات الذات (١) .

والفرقة الثانية : يزعمون أن البارى عز وجل عالم قادر سميع بصير ، بغير علم وحياة وقدرة وسمع وبصر ، وكذلك قولهم فى سائر صفات الذات (٢) .

ويقول الامام الهادى مؤسس الزيدية فى كتاب الديانة : من زعم أن علمه وقدرته وسمعه وبصره صفات له لم يزل موصوفا بها قبل أن يخلق وقبل أن يصفه بها أحد وقبل أن يصف هو بها نفسه بتلك الصفات ، فلا يقال هى الله ، ولا يقال هى غيره فقد قال منكرا من القول وزورا (٣) .

فتبين أن الهادى فيما يتعلق بالصفات الالهية العقلية أو بصفات الذات كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وغيرها يذهب فيها مذهب المعتزلة كأبى الهذيل العلاف وأمثاله الذين قالوا : أنها والذات الالهية سواء بسواء ،

---

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢) المصدر السابق

(٣) د . أحمد محمود صبحى الزيدية ص ٥١٢ .

وأنه ليس لله من صفات مفارقة ، بل هذه الصفات هى ذاته نفسها ، فعلمه ذاته أو كما قال أبو الهذيل : أنه عالم بعلم هو هو ، وقادر بقدرة هى هو ، وحى بحياة هى هو . وهكذا فى جميع صفات الذات .(١)

وبهذا يتضح التقارب فى الآراء والعقائد وخصوصا فى الصفات العقلية بين الزيدية والمعتزلة فلم يحدث ثم اختلاف .(٢)

والمراد بالصفات العقلية هنا التى تستحقها الذات الالهية دون أن توجب لها معان زائدة على الذات — على رأى المعتزلة والزيدية — أو تسلب عنها معانى الكمال من قدرة وعلم ... الخ فتكون الذات الالهية عبارة عن فكرة تجريدية متصورة فى الخيال ليس لها به علاقة بمخلوقاتها ، ومن ثم تكون النتيجة عندئذ الوقوع فى التعطيل ، ولئلا تكون النتيجة كذلك ذهب المعتزلة والزيدية الى أن صفاته هى عين ذاته ، فهو قادر وعالم وقدرته وعلمه هى عين ذاته وكذلك فى بقية الصفات الأخرى .(٣)

ومعلوم أن نفى الزيدية والمعتزلة لهذه الصفات أو لهذه المعانى الزائدة انما ينبع من مبدأ حماية فكرة الوحدانية للذات الالهية ، لأن هذا يتفق مع قواعدهم فى التنزيه ، فهم فى نفيهم للصفات يهربون من الوقوع فى التشبيه والتعدد الذى وقع فيه النصارى .

فالمعتزلة تقول : ان النصارى قد كفروا باثبات ثلاثة فكيف بمن يثبت الأكثر؟ يقول القاضى عبد الجبار عند تأويله لقوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا :ان **الله ثالث ثلاثة** "(٤) قال : انهم يقولون : ثالث ثلاثة ، وهو معنى قولهم

---

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص١٦٦ .

(٢) د . فضيلة عبد الأمير الشامى : تاريخ الفرقة الزيدية ص٣٢٤ .

(٣) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق بين القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ص١٥٠ رسالة ماجستير .

(٤) سورة المائدة : آية : ٧٢ .

اذ أثبتوا ابنا ، وأبا ، وروحا قديمات ، وعلى هذا يقال فى هؤلاء المشبهة أنهم يثبتون معبودا ثالثا ، ورابعا ، وعاشرا اذ قالوا : ان معه علما ، وقدرة وحياة قديمة (١) .

ومن أدلة الزيدية والمعتزلة على نفى هذه الصفات أنه لو وصف الله بصفة ما لنتج عن ذلك تصور الكثرة فى الذات الالهية حيث يكون هناك صفة وموصوف ، وللزم تبعا لذلك أن تشاركه هذه الصفة فى معنى القدم ، وللزم تعدد القدماء ، فتكون هناك ذات قديمة ، وصفة قديمة ، وهم يقولون بقديم واحد ، يقول الشهرستانى : الذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول: بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا : هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حى بذاته ، لابعلم ولا قدرة ولا حياة ، هى صفات قديمة ، ومعان قائمة به ، لأنه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الالهية (٢) .

ومن هنا نعرف أنه مهما اختلفت عبارات المعتزلة والزيدية فى تحديد هذه الصفات ، وتحديد العلاقة بينها وبين الذات كما رأينا أن منهم من ينفى جميع الصفات الايجابية من علم وقدرة وارادة ... الخ ، وآخر يقول : ان الله عالم بذاته ، قادر بذاته ... الخ .
وثالث يقول : ان الله عالم بعلم هو ذاته ، وقادر بقدرة هى ذاته ... الخ وغير ذلك فانه لم يكن همّ الجميع سوى النفى المحض .

ولما اصطدمت الزيدية بالنصوص الصريحة التى تثبت هذه الصفات التى نفوها بحجة أنها تؤدى الى القول بالجسمية أو القول بتعدد القدماء مما يتعارض مع مبدأ التوحيد عندهم كقوله تعالى فى اثبات العلم : " أنزله بعلمه " (٣)

---

(١) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٣٥٣ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٤٨ تقديم د . عبد اللطيف محمد العبد .

(٣) سورة النساء : آية : ٦٦ .

وقوله فى اثبات القوة مثنيا على نفســه : " ان اللــه هو الرزاق ذ و القوة المتين " (١) الى غير ذ لك من الآيات التى تثبت صفــة السمع والبصر والحياة والكلام ... الخ

عندئذ لجأت الزيدية متابعة المعتزلة فى ذ لك الى القواعد التى تجعل للعقل المكانة الأولى ، وللنص المكانة الثانية ، وأن النقل لايثبت الا بالعقــل، فالعقل أصل للنقل ، والقدح فى الأصل قدح فى الفرع ، فكان تقديم النقـــل قدحــا فى النقل والعقل معــا ، فوجب تقديم العقل ، وأما النقل فوجب أن يوءول ، وعلى ذ لك يجب تأويل جميع النصوص التى تخالف بظاهرها دلالــة العقل كما بينت ذ لك فى الفصل الأول " التأويل " (٢).

ومن هنا تجعل الزيدية لهذ ه الصفات معنى بحيث لاتكون سوى ذ اتــه ، فجعلت لصفــة العلم معنى : أنه العالم بالأشياء ، لايخفى عليه سر ولانجوى ، والقول بأن للــه علما سواه يعلم فى الحالات ما يكون من المعلومات وهــذ ا فى اللــه فأحول المحولات ، وأبطل ما يقال به من المقــالات (٣) يقول الحاكم الجشمى : لوكان تعالى " ذ ا علم " لكان فوقــه " عليم " لقوله تعـــالى : " وفوق كل ذ ى علم عليم " ولو كان اللــه "ذ ا علم " وكان العلم صفــة قديمـــة لشاركت هذ ه الصفــة ذ اته ، لأن الاشتراك فى صفــة ذ اتية يوجب الاشتراك فى سائر الصفات مما يوجب التعدد بين ذ اته وصفاته (٤).

كما أخرجت الزيدية للقدرة معنى القدرة على ما خلق وذ رأ من عجائـــب ماخلق من المخلوقات ، ومدبرات ما دبّر ، وافتطر من المفطورات من الأراضيـــن والسموات ، وما سوى ذ لك من المجعولات ، اللواتى يشهدن لمدبرهن بالحــول

---

(١) سورة الذاريات : آية : ٥٨ .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢٧٤ .

والقوة ، وينطق مع كل أوان بالقدرة ، وهذه القدرة ليست شيئا سوى ذاته ، لأن القول بأن لله قدرة سواه يعنى أنه اما أن تكون قديمة أزلية فتكون ثابتة مع الله أزلية ، وهذا ابطال للتوحيد . أو أن تكون محدثة بعلم ويكون الله أوجدها من بعد العدم فيدخل بذلك العجز على الله والتضعيف (١) ......

وكذلك أخرجت الزيدية معنى صفة السمع والبصر ، بأنه : سميع بصير أزلا . قال الحاكم الجشمى : ان قولنا سميع بصير ، لايفيد صفة زائدة على كونه حيا لا آفة به ، بينما قولنا سامع مبصر يفيد حالة متجددة (٢) .

كما أخرج الامام الهادى صفة السمع على أنه أربعة معان : بمعنى سميع هو عليم أو المجيب للداعين ممن دعاه من عباده أو على وجه ثالث فى قول القائل : " سمع الله لمن حمده " قبل الله من حمده ، وأثاب على شكره من شكره ، والوجه الرابع : الاصغاء بالآذان ، وهو لايجوز اطلاقه على الله ، لأنه يقتضى وجود الجوارح الى أن ينتهى الى أنه ليس لله سمع غير ذاته ، بل سمعه ذاته (٣) .

كما تذهب الزيدية فى الارادة أنها صفة من صفات الفعل ، وهى لذلك محدثة ، مكونة ، موجودة ، ولا تفترق ارادته وصنعه ، بل صنعه مراده ، ومراده ايجاده ، وهكذا لافرق بين ارادة الله ومراده ، وأن الارادة منه والمراد ، اذا أراده فقد كونه ، واذا كونه فقد أراده ، فارادة الله — اذا — محدثة ، تحدث باختلاف الحالات ، ووفقا للمقتضيات ، ومتى كانت كذلك فهى ليست أبدية ، أزلية ، وزال منها اسم القدم والأولية ، وهى ليست سوى الفعل نفسه (٤) .

---

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص١٦٦ .

(٢) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص٢٧٦ .

(٣) الهادى : كتاب المسترشد جـ ٢ ق ٧٣ نقلا عن معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

(٤) المصدر السابق : جـ ١ ق ٦٢ ، ٦٤ .

كما تخرج الزيدية صفة الحي الى ثلاثة وجوه ، بمعنى المتحرك من ذوى الحواس ... والله من ذلك برئ ، والمعنى الثانى : ما ينبت من الأرض من النبات والفواكه ، وهذه أجسام تحيا بالماء ... والله برئ من هذا المعنى ، والمعنى الثالث : الذى لايجوز على الله غيره " وهو أن معنى الحي هو : الذى يجوز منه الفعل والتدبير (١) .

وهكذا تنتهى الزيدية من تحليل كل صفة من الصفات الالهية العقلية صفات الذات ، كل واحدة على حدة ، الى القول أن ليس هناك سوى الذات الالهية ، ولا فرق بين هذه الصفات والذات .

كما تذهب الزيدية مذهبا مبتدعا ، فتمنع أن يكون الكلام صفة لذاته ، فتقول : لو كان الكلام صفة لذاته للزم كون ذاته على صفة الحروف ، وتقول : كلام الله محدث مخلوق ، اذ المخلوق هو المحدث بتدبير الله ، وتكلم عندهم بمعنى فعل الكلام (٢) .

وقد ذهب الهادى قبل كلام ابن المرتضى السابق الى القول : بأن القرآن مخلوق متابعا المعتزلة فى ذلك مبينا أن القول بأزلية القرآن وقدمه يجعله يشارك الله فى الأزلية والقدم ، مما يوقع فى الشرك ، ويناقض التوحيد ، ولا يقتصر الهادى على ذلك بل يقول : بنفى وجود كلام أزلى لله ، تجنبا للوقوع فى التشبيه والشرك بزعمه ، وفسر الهادي قوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما " (٣) ، بالقول : أن الله خلق له كلاما فى الشجرة ، سمعه موسى بأذنه ، كما يسمع ما يأتى به الملك اليه من الوحى (٤) .

---

(١) المصدر السابق : جـ ٢ ص ق ٧٣ .

(٢) الدكتور أحمد محمود صبحى الزيدية ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٣) سورة النساء : آية ١٦٤ .

(٤) محمد على زيد : معتزلة اليمن ص ١٧١ .

مناقشة الشوكانى للزيدية :

رأينا فيما تقدم أن الزيدية ذهبوا الى نفى الصفات الأزلية الزائدة على الذات ،حتى لايلزم من اثباتها محال زاعمين أن هذا هو الطريق السديد فى التنزيه .

ولما اصطدمت بآيات واضحة وصريحة فى اثبات هذه الصفات ، فتعاملت معها وفق منهجها ، الذى يعتبر العقل أصلا لحجتى الكتاب والسنة ، ومن ثم كان له عندهم المكانة الأولى ، وللنصوص المكانة التالية ، بحجة أن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال .

ومن هنا كان موقف الزيدية من النصوص التى تثبت صفات المعانى أصفات الذات ، كالعلم والقدرة ، والحياة والارادة ، والكلام والسمع والبصر ، بصرفها الى معانى أخرى لكى يتسنى لها نفى هذه الصفات ، كما فعل الهادى امام الزيدية فى صفتى السمع والبصر ، فأخرج صفة السمع على أربعة معان فقال : معنى سميع ، هو عليم أو المجيب للداعين أو على وجه ثالث : فى قول القائل سمع الله لمن حمده وأثاب على شكره من شكره ، والوجه الرابع : الاصغاء بالآذان وهو لايجوز اطلاقه على الله ، لأنه يقتضى وجود الجوارح الى أن انتهى أن ليس لله سمع غير ذاته .(١)

وهكذا كان منهج الزيدية فى هذه الصفات . فماذا كان موقف الشوكانى والسلفية تجاه هذا المنهج الكلامى المبتدع ؟ .

نقد الشوكانى منهج الطوائف التى اطالت ذيول الكلام فى الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات حتى تشعبت وتخالفت نحلهم ، وأرجع هذا التخالف والتشعب الى أسباب ثلاث :

---

(١) محمد على زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٨ .

الأول : عدم وقوفهم — علماء ومتسببين للعلم — حيث أوقفهم اللـه •

الثاني : دخولهم في أبواب لم يأذن الشرع لهم بدخولها •

الثالث : محاولتهم لعلم شيء استأثر اللـه بعلمه (١) •

ثم حدد الشوكاني نقاط انحراف هذا المذهب المبتدع فذكر انحراف الطائفة الأولى : أنه كان في غلوها في التنزيه فأدى بهم الى تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة •

كما أن انحراف الثانية : كان في غلوها في اثبات القدر فأفضى بهم الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لانزال الكتب وبعث الرسل كثير فائدة (٢) •

ثم ذكر الشوكاني هذه المسائل التي بنى عليها الزيدية والمعتزلة وغيرهم من المتكلمين أصول دينهم غالب أدلتها متعارضة ، ومن ثم لا يترجح أحد طرفيها ، ولا يمكن الجمع بينها ، فيكون هذا الاعتقاد شبهة ، وليس هذا طريق السلف الصالح ، وانما السلف هم الذين يتوقفون عند الشبهات • •

كما حدد الشوكاني المورد الذي يجب أن تؤخذ منه أصول الدين وما يتعلق باللـه من صفات فذكر أنه لا يجوز التعويل على غير الكتاب والسنة ، في أخذ الأسماء والصفات ، والاعتصام بالألفاظ والنصوص والمعاني الواردة فيهما فقال : " أصول الدين الذي هو عمدة المتقين ما في كتاب اللـه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما في السنة المطهرة (٣) •

ثم رد الشوكاني على الزيدية الذين عولوا على العقل وقدموه على دليل السمع ، وأعطوه من الوظائف ما لا طاقة له به فقال : أنه لا سبيل للعباد

---

(١) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٢ •

(٢) المصدر السابق : ص ٣ •

(٣) الشوكاني : كشف الشبهات عن المشبهات ص ١٨ •

يتوصلون به الى معرفة ما يتعلق بالرب الا بما جاء من الأنبياء عن الله تعالى ، وليس للعقول وصول الى تلك الأمور ، وقال أيضا : لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة ، وابراز الصفات كما جاءت ، ورد علم المتشابه الى الله (١) .

وبهذا وغيره بيّن الشوكاني مايتسم به منهج السلف الذى هو عليه في الصفات الثابتة لله تعالى ، فهذا المنهج يحتم اقتران جميع الصفات بقوله تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٢) التى تفيد النفي والاثبات في وقت واحد ، وكذلك قوله تعالى : " ولا يحيطون به علما " (٣) .

فليست صفاته من علم وقدرة وحياة وسمع وبصر وكلام ، كصفات المخلوقين من العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والكلام ، فصفات الله لائقة بجلاله ، ومناسبة لكماله ، وصفات المخلوقات مناسبة لضعفهم وافتقارهم .

وبذلك يكون الشوكاني قد رد على الزيدية الذين أخطأوا عند ما نفوا هذه الصفات الثابتة له تعالى ، وزعموا أن اثباتها يؤدى الى التعدد في القدماء ، ويؤدى الى التجسيم ، ويتنافى مع التنزيه .

واشتد انكار الشوكاني لمناهج المتكلمين عموما والزيدية والمعتزلة خصوصا ، فنقض مصطلحاتهم التى جعلوها أصلا يرد الكتاب والسنة ، ومعيارا لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، يقبل منها ما وافقه ، ويرد ما خالفه ، وأشنع من ذلك أنهم جعلوا هذه التعقلات

---

(١) المصدر السابق .
(٢) سورة الشورى آية : ١١ .
(٣) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٦ .

معيارا لصفات اللـه تعالى ، ولم يلتفتوا الى ماوصف اللـه به نفسه ووصفه به رسوله صلى اللـه عليه وسلم .

يقول الشوكانى فى ذلك : دعنك ماحدث من تلك التمذهبات فى الصفات ، وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلا يرد الكتاب والسنة . . . وجعلها من بعدهم أصلا لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والغرية على الفطرة . . .

وأغرب من هذا وأشنع وأفظع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقلات أصولا ترد اليها أدلة الكتاب والسنة ، جعلوها معيارا لصفات الرب تعالى ، فما تعقله هذا من صفات اللـه قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به ، فأثبتوا للـه تعالى الشيء ونقيضه ، استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة . (١)

ولم يلتفتوا الى ماوصف اللـه به نفسه أو وصفه به رسوله صلى اللـه عليه وسلم ، فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون من صفات اللـه مالا يعلمه . (٢)

وأخيرا ندد الشوكانى ببدعة خلق القرآن التى قالت بها المعتزلة والزيدية ، وذكر أن السلف لم يسمع منهم فى هذه المسألة شيء من الكلام ، فكان امتناع أئمة السنة من الاجابة الى مادعوا اليه ، وارجاع علم ذلك الى عالمه هو الطريق المثلى ، وفيه السلامة والخلوص ، يقول الشوكانى : لقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الاجابة بخلق القرآن وحدوثه وحفظ اللـه بهم أمة نبيه من الابتداع . (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧ .

(٣) د . محمد حسن الغمارى الامام الشوكانى مفسرا ص ٢٠٣ .

ومراد الشوكاني في ذلك : أن صفة الكلام لله تعالى قديمة ، وأن القرآن كلام الله غير محدث ولا مخلوق ، بل منزل ، وهو صفة من صفاته تعالى قديم النوع ، حادث الآحاد في التنزيل ، وفي ذلك رد على الزيدية القائلين ، بأن كلام الله محدث مخلوق ، والقول بأزلية القرآن وقدمه يجعله يشارك الله في الأزلية والقدم .

كما كان منهج السلفية في الرد على هؤلاء واضحا حيث رأت أن تلقى معنى الكمال والنقص بالنسبة لله لا يؤخذ الا من السمع ، لأنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبما يجب له ، أما المتكلمون ، فتلقوا معنى التنزيه والكمال من عقولهم ، والعقل في ذلك لا يوصل الى يقين اذا عزل نفسه عن السمع .(١)

ومن هنا كان منهج الزيدية في الصفات ليس بسديد ، لأنهم تابعوا المعتزلة الذين تابعوا الفلاسفة في أن اثبات الصفات يستلزم التعدد والتركيب ، والافتقار أو مشابهة الحوادث .

واثبات الصفات لا يستلزم مشابهة الحوادث لأن الاثبات ليس تشبيها ، فالقرآن جمع بين الاثبات والتنزيه في آية واحدة فقال تعالى : " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "(٢) فالله سميع بصير ، ولا يشبه أحدا من خلقه مع أنهم يسمعون ويبصرون ، وكذا في باقي الصفات ، لأن التماثل في الذوات ، والذاتان هنا مختلفتان تماما فكذلك صفاتهما .(٣)

كما أن القرآن الكريم تحدث عن الصفات الالهية بالاثبات ، والله سمى بعض عباده بما يسمى به نفسه كالعلم والبصر ، والله موجود ، والعبد موجود ،

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ٣٠ .

(٢) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٩٩ .

وليس اثبات هذه الصفات لله يقتضى مشابهته لشئ من خلقه ، لأنه لا يلزم من اتفاقهما فى مسمى الصفة اتفاقهما فى حقيقة الصفة ، يقول ابن تيمية : ان النافى ان اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه قيل له : ان أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل ، وان أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له فى الاسم لزمك هذا فى سائر ما تثبته ، ومعلوم أن اثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، فانه يعلم بضرورة العقل امتناعه (١) .

كما ردت السلفية على من نفى هذه الصفات كالمعتزلة والزيدية ، موضحة أن نفى هذه الصفات أبلغ فى النقص وأقرب الى اتصاف المعدوم ، لأنه يستقر فى الفطر والعقول أن مالا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا ، كما يستقر فى العقول أن مالا يسمع ، ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال ، لأنه لا يسمع كلام أحد ، ولا يبصر أحدا ، ولا يأمر بأمر ، ولا ينهى عن شئ ، ولا يجير عن شئ .

يقول ابن تيمية : ان نفى هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حى أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شئ ، ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ، ولا يعبد ، ولا يدعى كما قال الخليل : يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا " (٢) وفى قوله تعالى : " هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " (٣) .

فنفى هذه الصفات معلوم بالنظر أنه من أعظم النقائص والعيوب ، وأقرب شبها بالمعدوم ، واثبات الصفات له سبحانه ، مبنى على أنها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها (٤) .

---

(١) ابن تيمية : الرسالة التدمرية ط المكتب الاسلامى ص ٧٣ .

(٢) سورة مريم آية : ٤٢ .

(٣) سورة طه آية : ٨٨ .

(٤) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تقديم حسنين مخلوف ص ٨٧ ، ٨٨ .

فالمعتزلة والزيدية في نظر السلفية أكثر المتكلمين ايغالا في التأويل لما نفوا الصفات ، وأثبتوا الأسماء ، فقالوا : انه حي عليم قدير ، وقالوا : لا يوصف بالعلم والحياة لأن هذه أعراض لا تقوم الا بالأجسام وهم بذلك لا يستطيعون أن يتخلصوا مما فروا منه لأنه يقال لهم : اذا كنتم لا تتصورون عالما قادرا الا جسما ، فكذلك لا نتصور حيا عليما الا جسما ، ولا يعقل مسمى بذلك الا جسما ، فما كان جوابكم عن الأسماء كان هو عينه جوابنا عن الصفات .(١)

وبذلك يتبين لنا أن الله تعالى تكفل بحفظ دينه عن التحريف والتغيير والتبديل ، بأن أوجد من علماء الكتاب والسنة من يبين للناس أمر دينهم وينكرون على أهل البدع بدعهم يقول الشوكاني : أوجد الله تعالى من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم — ولله الحمد — المقامات المحمودة ، والمواقف المشهودة ، في نصر الدين وهتك المبتدعين .(٢)

---

(١) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٦٧ .

(٢) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٥ .

الفصل الخـــامس

الصفات الالهية الخبريـــــة

وموقف الشوكاني في اثباتهـــا

* منهج الشوكاني في اثبات هذه الصفات :

أولا : مايوهم كونه تعالى في جهـــة .

١ ـ صفة العلو .

٢ ـ الاستواء والنزول .

٣ ـ صفة النزول والمجىء .

ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء للـــه عز وجل .

١ ـ صفة الوجـــه .

٢ ـ صفة العين .

٣ ـ صفة اليد والساق .

ثالثا : مايوهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات وأن له عواطف .

ـ محبة اللـــه ، وكراهية اللـــه وبغضه .

ـ موقف الزيدية من الصفات الالهية الخبرية .

أولا : مايوهم الجهة والمكان .

ثانيا : مايوهم نسبة الأعضـــاء .

ـ مناقشة الشوكاني للزيدية فيما ذهبوا اليه .

ـ رد أئمة السلفية على هؤلاء النفاة المعطلة .

الصفات الالهية الخبرية
ومنهج الشوكاني في اثباتها

الصفات الالهية الخبرية من المسائل التي كثر فيها الخوض، وتعرض لها كثير من المتكلمين بأدلة جدلية، وفلسفة منطقية ليبطلوا بها الحق، ويحقوا بها الباطل، حتى نفاها الكثير منهم عن رب العالمين، وابتلى الشوكاني كغيره من علماء السنة في عصره وفي قطره اليمني بكثير من المبتدعين من طوائف المعتزلة والزيدية، الذين نفوا هذه الصفات بحجج واهية، ودعاوى باطلة، وامام هوءلاء وهوءلاء يقف الشوكاني مناضلا ومدافعا عن مذهب السلف في اثباتها، فقمع هذه البدعة، ورد تلك الغربة .

منهج الشوكاني في اثبات هذه الصفات :

تعريفها : عرف الامام البيهقي الصفات الخبرية فقال : هي ماكان طريق اثباتها الكتاب والسنة فقط، كالوجه واليدين والعين، وهذه صفات قائمة بذاته لايقال فيها انها هي المسمى، ولا غير المسمى، ولا يجوز تكييفها، فالوجه له صفة وليست بصورة، واليدان له صفتان وليست الجارحتين، والعين له صفة وليست بحدقة، وطريق اثباتها له صفات ذات ورد خبر الصادق به (١) .

ولما كانت هذه الصفات من اهم ماوقع فيه النزاع، بذل الشوكاني قصارى جهده في بيان وتوضيح مذهب السلف فيها، متتبعا تاريخ المبتدعين في احداث بدعة نفي هذه الصفات، كمعبد الجهني، والجعد بن درهم (٢)،

(١) الامام البيهقي : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٣١ .
(٢) الشوكاني : التحف في مذهب السلف ص ٦ .
والجعد بن درهم بن المرابي، مبتدع له اخبار في الزندقة سكن الجزيرة
===

ومن قال بقولتهم ، وانتحل نحلتهم ، مبينا موقف علماء السلف من هوءلاء قال الشوكانى :كانت الكلمة فى الصفات متحدة ، والطريقة لهم جميعا متفقة ، وكان اشتغالهم بما امرهم الله بالاشتغال به وكلفهم بالقيام بفرائضه من الايمان بالله واقام الصلاة ، وطلب العلم النافع ، وارشاد الناس الى الخير، والقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولم يشتغلوا بمالم يكلفهم الله بعلمه ، ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته ، فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع ، خالصا عن شوب قذر التمذهب ، فعلى هذا النمط كان الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعون وتابعوهم ، وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا ، وبافعاله واقواله اقتدوا ، فمن قال : انهم تلبسوا بشىء من هذه المذاهب الناشئة فى الصفات أو غيرها فقد أعظم عليهم الفرية (١) .

فهنا يحتج الشوكانى فى اثبات هذه الصفات الخبرية بان الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعين ، وتابعى التابعين ، أثبتوا الحقيقة المتبادرة من ظواهر النصوص التى وردت فى صفات الله دون تأويل او تعطيل ، فلم يتعرضوا لتاويلها وصرفها عن ظاهرها ، ولو كان التاويل سائغا لكانوا اسبق الناس اليه . يقول الشوكانى :

ان مذهب السلف من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم ، هو ايراد ادلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ، ولا تأويل متعسف لشىء منها ، ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضى اليه كثير من التاويل (٢) ، كما ذكرت ذلك فى الصفات الالهية العقلية من قبل .

== القرانية ، واخذ عنه مروان بن محمد. قال الذهبى : مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر عام ١١٨ هـ . أنظر شرح الطحاوية تحقيق د .عبد الرحمن عميرة جـ ٢ ص ٣٤٧ .

(١) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ٦ .

(٢) الشوكانى : " " " ص ٥ .

فكلمة السلف والأئمة متفقة على ان يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، لانه عرف بالشرع مع العقل ان الله ليس كمثله شيء لافي ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .(١)

كما أن اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن ، والسنة ، والايمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، الا انهم لا يكيفون شيئا من ذلك .(٢)

وعلى ذلك اثبت الشوكاني هذه الصفات ، فاثبت لله العلو ، والاستواء ، والنزول ، والعين ، واليدين الى آخر الصفات التي اثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه العزيز ، واثبتها له رسوله في السنة النبوية ، يقول الشوكاني : الناس في هذه الاشياء الموهمة للجهة ونحوها فرق ثلاث ، فرقة تؤول ، وفرقة تشبه ، وثالثة ترى أنه لم يطلق الشارع مثل هذه اللفظة الا واطلاقه سائغ وحسن قبولها مطلقة ، مع التصريح بالتقديس ، والتنزيه ، والتبرى من التحديد والتشبيه ، وعلى هذه الطريقة مضى صدر الامة ، واختارها ائمة الفقهاء وقادتها ، واليها دعا ائمة الحديث واعلامه ، وهذا هو المنهج المصحوب بالسلامة عن الوقوع في مهاوى التأويل .(٣)

وفي الحقيقة أن الانكفاف عن التاويل ، واجراء الظواهر على مواردها هو الذى ذهب اليه ائمة السلف ، ولذلك تراجع كبار المتكلمين كالجويني والغزالي والرازى الى طريقة القرآن وطريقة السلف . يقول الرازى : تاملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورايت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرا في الاثبات ـ الرحمن على العرش

---

(١) ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص٨ تقديم حسنين مخلوف .

(٢) د . محمود احمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ١ ص٣٠٧ .

(٣) الشوكاني : ارشاد الفحول ص١٧٦ .

استوى (١) ـ اليه يصعد الكلم الطيب (٢) ـ واقرا فى النفى ـ ليس كمثله شىء (٣) " (٤)

كما يقول الجوينى : ذهب ائمة السلف الى الانكفاف عن التاويل واجراء الظواهر على مواردها ، والذى نرتضيه رايا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة ... الى أن قال : أشهدوا على أنى قد رجعت عن كل مقالة تخالف السلف . (٥)

وهذه العبارات التى نقلها الشوكانى فى ارشاد الفحول عن الذهبى فى النبلاء عن أئمة المتكلمين ورجوعهم الى مذهب السلف فى الصفات الخبرية ، كالاستواء وصفة العلو ، والنزول ، وغيرها تعتبر حجة على خصماء السلفية ، من المعتزلة والزيدية ومن تبعهم الذين ينفون هذه الصفات ، أو يوء ولونها حتى يخرجوها عن ظاهرها .

واذا كان الشوكانى يرى أن النصوص يجب أن تحمل على ظاهرها ، وأن تفسر كما وردت من غير تعرض للتاويل ، ولا توقف فى الظاهر كما هو مذهب السلف ، فهل معنى ذلك انه انزلق بذلك وراء المشبهه ؟

نجد انه يتقرر من مذهب السلف : أن الأخذ بظواهر النصوص لا يوءدى الى التشبيه ، لأن صفات الله ليست كصفات الخلق ، وأنه تعالى منزه عما يختص به المخلوقون من الحدوث والنقص وغير ذلك .

يقول القاضى ابو يعلى فى كتاب ابطال التأويل : لا يجوز رد هذه الاخبار ، ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات الله ،

---

(١) سورة طه : آية : ٥ .
(٢) سورة فاطر : آية : ١٠ .
(٣) سورة الشورى : آية : ١١ .
(٤) الشوكانى : ارشاد الفحول ص ١٧٧ .
(٥) المصدر السابق .

لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ، ولا يعتقد التشبيه فيها ....
ويدل على ابطال التأويل : أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، وصرفها عن ظاهرها ، ولو كان التاويل سائغا لكانوا اليه أسبق ، لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبه (١) .

ويتضح منهج الشوكانى فى هذه الصفات الخبرية ، عندما سئل : ما حكم من أول الصفات ، ونفى ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به نبيه ، وأول الآيات ، وجعل الاستواء استيلاء ، وأول النزول بالرحمة ، وجعل التأويل مطردة فى سائر نصوص الصفات (٢) ؟ فكان الجواب تنديدا بالمتكلمين ومسالك المتأولين ، وأصولهم الزائفة التى دفعوا بها الآيات القرانية ، والاحاديث الصحيحة النبوية ، معتلين فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة يقول الشوكانى : ان هؤلاء سلكوا فى طريقة متوعرة ، لايرجع من سلكها بمطلوب صحيح ، ومع هذا أصلوها أصولا ظنوها حقا فدفعوا بها آيات قرآنية ، وأحاديث صحيحة نبوية ، واعتلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة (٣) .

وقد أرجع الشوكانى أصل بدعة نفى الصفات الخبرية الى معبد الجهنى (٤) واصحابه ، فبين الصحابة رضى الله عنهم ضلاله وبطلان مقالته للناس ، كما فعل التابعون بالجعد بن درهم ومن قال بقوله ، وأنتحل نحلته الباطلة ، فلم يستطع المبتدع فى الصفات أن يتظاهر ببدعته حتى نجم

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص٤٥٥
(٢) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص١ .
(٣) المصدر السابق ص٢ .

ناجم المحنة ، وبرق بارق الشر من جهة الدولة العباسية ، فانطلق ما كان قد خرس من السنة المبتدعة ، واعتلوا بمذاهبهم الزائفة ، وبدعهم المضلة ، ودعوا الناس اليها وحاربوا عنها (١) .

ومما سبق يتبين موقف السلفية والشوكانى تجاه الصفات الخبرية الذين رأوا أن من تعاليم حرمات الله تعالى حفظ حرمة نصوص هذه الصفات باجرائها على ظواهرها واعتقاد مفهومها المتبادر منها الى أذهان العامة (٢) .

فاذا كانت السلفية قد صرحت بأن الله تعالى استوى على عرشه ، وخلق آدم بيده ، ويجئ يوم القيامة ، وينزل الى سماء الدنيا ، وكل ذلك حق على حقيقته ، فذلك لأنه ما دامت ذاته لاتشبه الذوات ، فكذلك صفاته لاتشبه الصفات ، ولا ينبغى التشاغل بتأويلها أو صرفها عن ظاهرها ، لأن هذا قياس مضطرب وقول فاسد (٣) .

ومعنى ذلك انه ليس من التشبيه فى شئ أن يؤمن العبد بأن الله سبحانه ، عليم ، قدير ، وانه استوى على عرشه ، ويجئ يوم القيامة ، ما دام يعتقد انه ليس كمثله شئ ، ولم يكن له كفوا أحد ، لأن الله سبحانه ، أعلم منا بنفسه ، وبما يجب له من صفات الكمال .

وابن تيمية الذى ينسبون اليه ويوجهون القول بالتشبيه والتجسيم والتحيز والاستواء الحسى ، وغير ذلك من الاتهامات ، برأ نفسه منها فى حياته ، وصرح بنفى التمثيل والتشبيه ، وكشف فى مناظراته ونقاشه عن حقيقتين هامتين فى المنهج السلفى فذكر :

---

(١) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ٦

(٢) ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين جـ ٢ ص ٨٤ .

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٣١٩ .

في الأولى : بيان أن العقل الصريح لايخالف المنقول الصحيح ٠

والثانيـة : أن ما يدعيه المتكلمون مما يقولون أنه قد خالفـه ظاهر القـرآن وخاصة في الامور الالهية ليس من ذلك ما يصح أن يسمى دليـلا عقليا حتى يقول أن المنقول الصحيح قد عارضه فضلا عن ان يتأوله ٠

كما يقول لهم : ان من خالف الكتاب والسنة ليس معـه ما يسمى معقولا ، وانمـا هي شبهات وجهليات ، ومن خرج عن الكتاب والسنة ضل سعيه وخاب أمله ٠ (١)

بل ان ابن تيمية نفسه هاجم الحشوية الذين ارتدوا ثوب السلفيـة وارتفعت عقيدتهم بالاثبات الى درجـة التشبيه ، اذ كانوا يصرحون بالتشبيه ويمثلون اللـه بالمخلوق ، فاتهمهم ابن تيمية بالكذب على السلف ، وبـرأ السلف منهم حيث قال : من الحق الاشارة الى أن من انتحى مذهب السلف مع الجهل أو المخالفـة لهم بزيادة او نقصان ، فيمثل اللـه بخلقـه والكذب على السلف من الامور المنكرة سواء سمي ذلك حشوا او لم يسم ٠ (٢)

فمن السهل بعد ماسبق من خلال النظر في تراث السلفية ومن قولنـا ومن مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ان يحكم الباحـث علـى ان السلفية بريئة من التشبيه لأن كتبهم ومصنفاتهم تشهد باثبات التنزيه لله تعالى عن مشابهة صفات المخلوقات ، كما تبين لنا من مؤلفات الشوكاني ورسائله أنـه يسير على المنهج السلفي وطريقـة القرآن في اثبات الصفات الخبرية مع التنزيه وعدم التشبيه أيضا ٠

والآن نتناول مع الشوكاني أهم مادار حوله النزاع والخلاف من الصفات الخبرية بين المثبتين لها من السلفية والنافين لها من المعتزلة والزيديـة ٠

---

(١) ابن تيمية : العقل والنقل ١ ـ ٣٥ ، ٥١ ، ٥٦ ٠

(٢) د ٠ محمود احمد خفاجي : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلـة جـ ١ ص ٣١٦ ٠

وجد الشوكانى طوائف المتكلمين وخصوصا المعتزلة والزيدية يدور نزاعهم حول نفى هذه الصفات وعدم اثباتها ظنا منهم واعتقادا ان اثبات العلو والاستواء والنزول والمجىء يوهم الجهة والمكان لله تعالى ، كما أن اثبات الوجه والعين واليدين توهم نسبة الاعضاء لله تعالى، وأن اثبات المحبة والغضب وغيرها يوهم الانفعالات والعواطف البشرية . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

أولا : ما يوهم كونه تعالى فى جهة :

١ ـ العلو :

لما وجد الشوكانى الخلاف يدور فى اثبات صفة العلو ، والنزاع فيه كائنا بين الطوائف وجد الكتاب والسنة المعيار الذى يجب أن يرجع اليه ، فيه يعرف الحق من الباطل ، ويوزن به الصواب من الخطا يقول الشوكانى : الادلة من الكتاب والسنة معروفة فى اثبات ذلك ، ولكن الناشىء على مذهب ، يرى غيره خارجا عن الشرع ، ولا ينظر فى ادلته ، ولا يلتفت اليها ، والكتاب والسنة هما المعيار الذى يعرف به الحق من الباطل ، والصحيح من الفاسد . ولا شك أن هذا اللفظ يطلق على الظاهر الغالب كما فى قوله تعالى : " ان فرعون علا فى الارض " ـ وقال الشاعر :

فلما علونا واستوينا عليهم ٥ ٥ تركناهم صرعى لنسر وكاسر (١)

كما اثبت الشوكانى هذه الصفة بما تقرر بالأدلة الواردة من الكتاب والسنة كقوله تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " (٢) وقوله تعالى : " ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ـ أسباب السموات فاطلع الى اله موسى " (٣) وقوله : " تعرج الملائكة والروح اليه " (٤) وقوله :

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص٢ ٢٧ .

(٢) سورة فاطر : آية : ١٠ .

(٣) سورة غافر : اية : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٤) سورة المعارج : اية : ٤ .

" أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور " (١)

وغير ذلك من الآيات التى تدل على صفة العلو لله تعالى وارتفاعه فوق العرش ، ومباينته لخلقه .

ولما سئل الشوكانى عن صفة العلو فقال : مسالة الجهة التى ذكرها السائل واشار الى بعض ما فيه دليل عليها ـ فقال : " ان الله سبحانه فى سمائه مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه فى كل مكان ، والدليل : آيات الاستواء ، والصعود والرفع ، وقوله تعالى : " أامنتم من فى السماء "ومن السنة : حديث الجارية (٢) ، والنزول وعمران بن حصين ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " ألا تأمنونى وانا امين من فى السماء " (٣) .... " (٤) الى ان قال الشوكانى : والادلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة ... وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى ، استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب او سنة او قول صاحب (٥) .

وهكذا يقرر الشوكانى صفة العلو لله بالأدلة الواضحة من القرآن والسنة وفى قوله تعالى : " سبح اسم ربك الاعلى " (٦) يقول : الاعلى صفة للرب ، والمعنى : نزهه عن كل مالا يليق به ، وفى قوله تعالى : " يخافون ربهم من فوقهم " (٧) يقول : اى يخافون ربهم حال كونه من فوقهم ، ويدل

---

(١) سورة الملك : آية : ١٦ .

(٢) حديث الجارية : رواه مسلم ح : ٥٣٧ ، وأبو داود ح : ٩٣٠ ، والنسائى ٣/١٨ ، وأحمد ٥/٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٣) الحديث متفق عليه من حديث الخوارج ولفظ الحديث " لا تامنونى .. وأنا أمين من فى السماء ياتينى الوحى صباحا ومساء " انظر ابن خزيمة كتاب التوحيد ص١١٨ ، وانظر أحمد بن حنبل ٢ ، ٤ .

(٤) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ١ .

(٥) المصدر السابق ص١١ .

(٦) سورة الأعلى : آية : ١ .

(٧) سورة النحل : آية : ٥٠ .

على صحة هذا المعنى قوله : " وهو القاهر فوق عباده " —(١) وقوله اخبارا عن فرعون — : " وانا فوقهم قاهرون " (٢) (٣)

كما استعمل الشوكانى فى اثبات هذه الصفة دليل الفطرة فقال : وهذا ما يجده كل فرد من افراد الناس فى نفسه ويحسه وتجذبه اليه طبيعته كما تراه فى كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى ، والتجأ اليه ووجه أدعيته الى جنابه الرفيع وعزه المنيع ، فانه يشير عند ذلك بكفه ، او يرمى الى السماء بطرفه .(٤)

وتسوق السلفية ادلتها العديدة من الكتاب على انه تعالى فى السماء، فوق عباده ، ظاهر عليهم ، وكلها تدور حول الأدلة الدالة على علوه ، وأنه فوق عباده ، ومن ذلك — اشارته صلى الله عليه وسلم — بأصبعه الى السماء كما فى حديث حجة الوداع : عندما قالوا : تشهد انك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت . فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس :" اللهم اشهد اللهم اشهد " (٥)

وقد انقضى عصر الصحابة والاجماع منعقد بينهم على ماجاء بهذا الخصوص فى الكتاب والسنة من اثبات صفة العلو لله عز وجل ولذلك نجد التابعين يوجهون جل اهتمامهم الى الرد على من خرج على هذا الاجماع . يقول ابو حنيفة : من قال لا اعرف ربى فى السماء ام فى الارض فقد كفر ، لان الله يقول : " الرحمن على العرش استوى " (٦) وعرشه فوق سماواته لانه تعالى فى اعلى عليين .(٧)

---

(١) سورة الانعام : آية : ١٨ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٢٧ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير ج ٣ ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١١ .

(٥) أخرجه البخارى فى الفتن ٨ ، وفى الحج ١٢٢ ، وأخرجه مسلم فى الايمان ٢٧٨ ، وأبو داود فى المناسك ٥٩ ، وأحمد بن حنبل ١ ، ٤٤٧ ، ٤ ، ٢٠٦ ، ٥ ، ٦٨ .

(٦) سورة طه : آية : ٦ (٧) أبو حنيفة : الفقه الأكبر ص ٣٦ ، ٣٧ .

فهذا تصريح من أبى حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله فى السماء ، واحتج عليهم بأن الله فى أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ، فان القلوب مفطورة على أن الله فى العلو ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل .(١)

فالمقصود هنا أن أساليب القرآن فى التعبير عن هذه الصفة قد تنوعت غاية التنوع فعبّر القرآن عنها تارة بالاستواء الى السماء ، وأخرى بصعود الأشياء اليه ، وتارة بنزول الملائكة من عنده ، وبأنه رفيع الدرجات ، وأن عباده يخافونه من فوقهم ، وأنه دنا من نبيه ليلة المعراج ، وأنه عنده من يسبحون له بالليل والنهار ، وهذا التنوع فى التعبير والتراكيب المختلفة لا يمكن بحال أن يفهم منه أن المراد فوقية الرتبة والمكانة ، ولهذا انقضى عصر السلف وهم مجمعون على اثبات صفة العلو .(٢)

٢ - الاستواء والنزول :

وعلى نحو ماسبق فى موقف الشوكانى من اثبات صفة العلو لله كان موقفه من الاستواء والنزول كما ورد فى القرآن والسنة .

فقد تحدث القرآن عن استواء الرحمن على عرشه فى سبع مواضع فى سورة الاعراف قوله : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش "(٣) وقال فى سورة يونس : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش "(٤) وقال فى سورة الرعد : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش "(٥)

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى الكبرى جـ ٥ ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص٧٤

(٣) سورة الأعراف : آية : ٥٤ .

(٤) سورة يونس : آية : ٣ .

(٥) سورة الرعد : آية : ٢ .

وفى سورة طه : " الرحمن على العرش استوى "(١) وقال فى سورة الفرقان : ثم استوى على العرش" (٢) وكذلك آية الاستواء فى سورة الحديد (٣) ، والسجدة (٤) .

فهذه المواضع السبعة التى أخبر فيها سبحانه باستوائه على عرشه كلها قطعية الثبوت لأنها من كتاب الله ، كما أنها صريحة لا تحتمل تأويلا . يقول الشوكانى : ان الاستواء والكون على مانطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ، ولا قصور فى شئ من المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف فى طريق النجاة ، ولا معتصم عن الخطأ (٥) .

فكان الشوكانى فى ذلك على النهج الذى أثبته القرآن فى صفة الاستواء ، وهو معرفة معنى الاستواء ، وجهل الكيفية ، والنهى عن البحث فيها كما سئل الامام مالك :

" الرحمن على العرش استوى " كيف استوى ؟ غضب فى وجه السائل ، وقال الاستواء معلوم ، وكيفه مجهول ، والايمان به واجب ، والسوءال عنه بدعة (٦) .

فنرى الشوكانى لم يتشاغل بالبحث عن الكيف ، بل كان سبيله اقرار الآية على مادلت عليه من معنى ، ولم يتساءل فى ذلك ؟ هل كان استواء حسيا أو غير حسى ؟ ، وهل بمماسة أو غير مماسة ؟ وهل العرش أكبر منه

---

(١) سورة طه : آية : ٥ .

(٢) سورة الفرقان : آية : ٥٩ .

(٣) سورة الحديد : آية : ٤ .

(٤) سورة السجدة : آية : ٤ .

(٥) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ١٢ .

(٦) د . محمود أحمد خفاجى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٣٢٥ .

أو هو أكبر من العرش ؟ وهل هو سبحانه محتاج الى العرش ليستوى عليه أم غير محتاج ؟ كل هذه الأسئلة قد أعفى الشوكانى نفسه من البحث عنها ، كما فعل السلف ، لأنها بحث عن الكيف والكيف عنه مرفوع .

كما أخرج الشوكانى أحقية مذهب السلف فى معنى الاستواء من بين اختلاف العلماء ، مبينا أنه استواء بلا كيف وعلى الوجه الذى يليق به فقال : اختلف العلماء فى معنى الاستواء على أربعة عشر قولا ، وأحقها وأولاها بالصواب مذهب السلف الصالح : أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عن مالا يجوز عليه .

والاستواء فى لغة العرب هو العلو والاستقرار . قال الجوهرى : استوى على ظهر دابته ، أى استقر ، واستوى الى السماء : أى صعد ، وقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمن [١] ، واحاطته بالسموات والأرض وما بينهما وما عليهما . [٢]

كما أعرض الشوكانى عن مايجده من التأويلات المختلفة فى كتب التفسير للاستواء ، لأنه لم يجد واحداً منها وارد عن السلف ، بل هى تأويلات أنتجتها طبيعة التفاعل المذهبى الذى اشتد بين علماء الكلام ونقله عنهم رجال التفسير [٣] لذلك لجأ الشوكانى الى معنى الاستواء الصحيح فى اللغة

---

(١) أخرجه البخارى فى التوحيد ٢٢ ، وفى باب الجهاد ٤ ، والترمذى فى الجنة ٤ ، والامام أحمد ١ ، ٢٠٧ ، ٢ ، ١٩٧ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٢١١ .

(٣) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل : ص ٧٥ .

التى لم يعتريها التغيير والتبديل فقال : الاستواء فى اللغة الاعتدال ، والاستقامة ، ويطلق على الارتفاع والعلو على الشىء قال تعالى : " فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك "(١) وقال : " لتستووا على ظهوره "(٢) وهذا المعنى هو المناسب لقوله تعالى : " هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم "(٣)(٤)

كما قررت السلفية بالأدلة من الكتاب والسنة معنى الاستواء ، وأقوالهم ثابتة فى كتب التفسير بالمأثور ، كالطبرى فى تفسيره ، والسيوطى فى " الدر المنثور " و " ابن كثير " و " البغوى " وغير هؤلاء نقلوا أقوال السلف فى معنى الاستواء ، وليس فى واحد منها أن الاستواء بمعنى الاستيلاء أو القهر أو الغلبة بل الاستواء عندهم هو : العلو والارتفاع قال بذلك : أبو العالية ومجاهد (٥) ، وهو قول الفراء والبغوى وثعلب ، والكلابى (٦) فى تفسيره : قال ابن عباس : وأكثر مفسرى السلف أن : استوى الى السماء ارتفع الى السماء ، وكذلك قال الخليل بن أحمد وروى البيهقى عن الفراء استوى : أى صعد . (٧)

فهؤلاء جميعا وهم أهل اللغة والتفسير يجعلون الاستواء بمعنى الصعود ، والعلو والارتفاع ، ولم يرد عن أحد منهم أن الاستواء بمعنى

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ٢٨ .
(٢) سورة الزخرف : آية : ١٣ .
(٣) سورة البقرة : آية : ٢٩ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٦٠ .
(٥) الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٧٧ .
(٦) ابن تيمية : العقيدة الأصفهانية ص ٢٨ .
(٧) المصدر السابق نفس الصفحة .

الاستيلاء أو القهر وليس فى اللغة ما يشهد بذلك أو يدل على صحته .

ومما تقدم نعلم أن الشوكانى والسلفية آمنوا باستوائه على عرشه كما أخبر عن نفسه ، ولم يتأولوا آيات الاستواء بصرفها عن ظاهرها ، ولم يتوهموا فى الاستواء كيفا ، بل كان سبيلهم الكف عن البحث فى الكيف ، كما كان سبيلهم مع من سأل عنه الزجر والتأنيب ، وعلى هذا النحو فى اثبات صفة النزول والمجئ .

٣ - صفة النزول والمجئ :

قد دل القرآن الكريم صريحا على مجيئه تعالى يوم القيامة والملك صفا صفا ، وأنه سبحانه ينزل لفصل القضاء ، لذلك نرى الشوكانى لما ثبت لديه ذلك آمن به فقال : "اتيان الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه كقوله تعالى : "وجاء ربك والملك صفا صفا" (١) " (٢)

كما ذكر الشوكانى ما أخرجه ابن أبى حاتم عن مقاتل فى هذا المعنى فقال : "أو يأتى ربك" قال : يوم القيامة فى ظلل من الغمام" (٣)

لكنى أرى الشوكانى فى صفة المجئ كان بين مثبت لها تارة ومؤول لها تارة أخرى كما فى سورة الفجر فى قوله تعالى : "وجاء ربك والملك صفا صفا" (٤) يقول الشوكانى : جاء أمره وقضاؤه ، وظهرت آياته ، وقيل : جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالأمر والتدبير من دون أن يجعل لأحد من عباده شيئا . (٥)

---

(١) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٨١ .

(٣) المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٨٢ .

(٤) سورة الفجر : آية : ٢٢ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٤٤٠ .

فهنا أول الشوكانى لكنه فى سورة البقرة فى قوله تعالى : " هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور "(١) يقول : المعنى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الحساب والعذاب فى ظلل من الغمام والملائكة ، كما دعم هذا القول بالرواية عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة أبصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله فى ظلل من الغمام من العرش الى الكرسى " .

كما ذكر الشوكانى عن ابن عباس فى هذه الآية قال : يأتى الله يوم القيامة فى ظلل من السماء قد قطعت طاقات " وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : ان من الغمام طاقات يأتى الله منها محفوفا بالملائكة ، وعن قتادة فى الآية : قال : يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (٢) .

ومن هذا يتبين لنا أن الشوكانى أثبت صفة المجئ فى سورة البقرة وسورة الانعام فى الآيات السابقة من غير تأويل لها ، وعضد القول بالرواية بما رواه عن ابن مسعود ، وابن عباس يثبت فيها مجئ الله عز وجل فى ظلل من الغمام ، ونزوله من العرش الى الكرسى كما ذكر ذلك عن قتادة .

فاذا رأيناه يذكر تأويلا للمجئ فى سورة الفجر فان رسالة التحف فى مذهب السلف ، وهى من آخر مؤلفاته ترجح وتشهد برجوعه عن بعض التأويلات التى ذكرها . يقول الشوكانى : " ان المذهب الحق فى الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ، ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل ، وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين (٣) ، كما أن وقوف

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٠ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ . والحديث أخرجه أبو يعلى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس .

(٣) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٨ .

الشوكانى على مؤلف الذهبى " العلو للعلى الغفار " الذى أشاد به وقال : " استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من الكتاب والسنة أو قول صاحب (١) يرجح أيضا تراجعــه عن بعض التأويلات اليسيرة ، فان الذهبى ذكر فيه صفــة النزول والمجئ ، والأحاديث المتواترة التى تفيد القطع وبين أنه لا مجـــال لانكار أو جحــود (٢) ٠

أما السلفية فقد ثبت عندهم خبر النزول من عدة طرق ، فحديث النزول رواه أبو بكر ، وأبو هريرة ، وعلى بن أبى طالب ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعــود ٠ ورواه عن الرسول صلى اللــه عليه وسلم أكثر من عشرين صحابيا ، وتواتر ذلــك عنهم ، كما يقول ابن القيم الجوزية ، ولفظه فى الصحيحين ، عن أبى هــريرة — رضى اللــه عنه — عن النبى — صلى اللــه عليه وسلم — : " ينزل ربنا كل ليلــة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول : من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ " (٣) وليس هذا النـــزول يشبه نزول المخلوقين (٤) ٠

والسلفية قائلون ومصدقون بما فى هذه الأخبار ٠ يقول ابن خزيمــة : ان نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا ، وأعلمنا أنــه ينزل ، واللــه جلا وعلا " لم يترك " ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين اليه الحاجــة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفــة الكيفية (٥) ٠

---

(١) المصدر السابق ص١١ ٠

(٢) د ٠ محمود أحمد خفاجى :العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ص٣٢٦

(٣) الحديث ورد فى البخارى : ٨ — ١٢٨ " كتاب الدعاء " وأنظر كتــاب التوحيد لابن خزيمة ص١٢٨ ٠

(٤) د ٠ محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص٧٨ ٠

(٥) ابن خزيمة : التوحيد ص ١٢٥ ٠

وعلى ذلك تثبت السلفية نزول الرب من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف . يقول ابن تيمية : قال أبو عثمان النيسابورى الملقب بشيخ الاسلام فى رسالته المشهورة فى السنة : ويثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه فى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف ، بل يثبتون له ما أثبته له رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه الى اللـه ، وكذلك يثبتون ما أنزل اللـه فى كتابه من ذكر المجئ والاتيان فى ظلل من الغمام والملائكة ، وقوله عز وجل : " وجاء ربك والملك صفا صفا "(١) (٢)

فرأينا أن السلفية لما صح عندها خبر النزول أقروا به ، وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، ولم يعتقدوا أن ذلك تشبيه له بنزول خلقه ، وعلموا وعرفوا وتحققوا أن صفات الرب تعالى لا تشبه صفات المخلوقين كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات الخلق .(٣)

وبذلك قد التزمت السلفية بالمنهج الذى رسمه القرآن فى الحديث عن الصفات الالهية .

ثانيا : ما يوهم نسبة الأعضاء للـه عز وجل :

١ ــ صفة الوجه :

قد جاء ذكر الوجه له تعالى فى آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة كقوله تعالى : " كل شئ هالك الا وجهه "(٤) وقوله تعالى :

---

(١) سورة الفجر : آية : ٢٢ .
(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ط دار الكتب الحديثة ص ٢٩ .
(٣) ابن تيمية : العقل والنقل : ٢ ــ ١٧ .
(٤) سورة القصص : آية : ٨٨ .

" ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " (١) .

وكان الشوكانى أمام هذه الآيات بعد اطلاعه على الآثار التى قيلت فى تفسيرها ، والأخبار التى رويت فى اثباتها ، لايزيد على الآثار ولا يتأول الأخبار .

بمعنى أنه أثبت ما روى فى تفسير هاتين الآيتين وجاء عن حبر الأمة بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورواه عطاء عنه ، وبه قال سفيان الثورى ، وذكره الضحاك وأبو عبيدة كما حكاه السيوطى فى " الدر المنثور " وذكر نحوه ابن الجوزى فى زاد المعاد .

يقول الشوكانى فى قوله تعالى : **" كل شىء هالك الا وجهه "** أى كل شىء من الأشياء كائنا ما كان هالك الا وجهه : أى الا ذاته ، وذكر رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ الا ما أريد وجهه (٢) ، ونحو ذلك ذكر ابن الجوزى فى زاد المسير فقال : فيه قولان : الا ما أريد به وجهه ، رواه عطاء عن ابن عباس ، وبه قال الثورى ، **والثانى** : الا هو ، قال الضحاك ، وأبو عبيدة (٣) ، كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤) .

وفى سورة الرحمن فى قوله تعالى : **" كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام "** .

قال الشوكانى : ان الوجه عبارة عن ذاته سبحانه ووجوده ، وقيل : حجته التى يتقرب بها اليه (٥) . وذكر نحوه ابن الجوزى فقال : ويبقى وجه ربك "

---

(١) سورة الرحمن : آية : ٢٧ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٦ ص ٨٩ .

(٤) السيوطى : الدر المنثور جـ ٦ ص ٤٤٧ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ١٣٠ .

أى يبقى ربك • (١)

فنخلص من ذلك الى أن ما ذكره الشوكانى فى تفسير هاتين الآيتين مروى عن ابن عباس ، ذكره الضحاك وسفيان الثورى ، وأبو عبيدة ، وتناوله أهل التفسير كابن الجوزى والسيوطى ، فلم يكن هو بدعا من هوءلاء ، غير أن الشوكانى كان مثبتا صفة الوجه فى أحاديث الروءية التى جاء فيها ذكر الوجه له تعالى صفة من صفاته ، فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة فكان فيها مثبتا واضحا غير متأولا •

يقول الشوكانى : أخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم والدارقطنى فى الروئية ، وابن مردوية عن أبى موسى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادى بصوت يسمعه أولهم وآخرهم : ان الله وعدكم الحسنى وزيادة " فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الرحمن ، وعن أبىّ بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٢) قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن ، وأخرج أبو الشيخ عن أبى هريرة نحوه ، وعن على بن أبى طالب فى الآية مثله • (٣)

وبذلك قد أثبت الشوكانى الوجه صفة لله عز وجل عن طريق هذه الروايات فى تفسير آيات اثبات الروءية فثبتت الروءية لله من الموءمنين كما ثبت معها صفة الوجه بطريق لا شك فيها ففى الحديث قال الشوكانى : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أولى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه ، وسرره مسيرة ألف سنة ،

---

(١) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٨ ص ١١٤ •
(٢) سورة يونس : آية : ٢٦ •
(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٤٤١ •

وأكرمهم على اللـه من ينظر الى وجهـه غدوة وعشية " (١)

وبهذا يتم اثبات الوجه مع الروءية . قال ابن القيم الجوزية : ان الصحابة ـ رضى اللـه عنهم ـ ، والتابعين وجميع أهل السنة ، والأئمة الأربعـة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم فى الجنة ...... فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة . (٢)

والنصوص الكثيرة فى اثبات الوجه من الكتاب والسنة تنفى تأويل الوجه بالجهة أو الثواب أو بالذات ، فالذى عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات ، ولا يقتضى كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقوله المجسمة ، بل هو صفة للـه على ما يليق به . (٣)

كما ترد السلفية على الذين جعلوا المراد بالوجه الذات مستدلين بقولهم: لا خصوص للوجه ، فى البقاء وعدم الهلاك فى الآيتين السابقتين .

فتعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن للـه عز وجل وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ فى معنى الذات ، فان اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل فى معنى آخر ، الا اذا كان المعنى الأصلى ثابتا للموصوف ، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم الى لازمه ، كما أنه اذا اسند البقاء للوجه يلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال أطلق الوجه وأراد الذات . (٤)

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبى شيبة والترمذى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والطبرانى ، والدارقطنى ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقى . أنظر الشوكانى فتح القدير ج ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) ابن القيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة للموصلى ج ٢ ص ٤٢٢ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٥ .

(٤) المصدر السابق .

٢ ـ صفـة العين :

يقرر الشوكانى اثبات صفـة العين له سبحانه بما ورد من الأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسنة كقوله تعالى : " فاصبر لحكم ربك فانـك بأعيننا " (١) وقوله : وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجـرى بأعيننا جزاء لمـن كان كفر " (٢) ، وقوله تعالى : " وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى " (٣)

قال الشوكانى : " ولتصنع على عينى " أى ولتربى وتغذى بمرأى منى ، وتفسير " على عينى " بمرأى منى صحيح ٠ وعن قتادة فى الآية قال : لتغذى على عينى " (٤)

وفى قوله تعالى : " تجـرى بأعيننا " قال الشوكانى : أى بمنظر ومرأى منا وحفظ لها ، كما فى قوله : " واصنع الفلك بأعيننا (٥) " (٦)

قال ابن كثير : " تجـرى بأعيننا " أى بأمرنا بمرأى منا ، وتحت حفظنـا ، وكلاءتنـا ٠ (٧)

ومن هذه الآيات وغيرها ، أثبت الشوكانى ما أثبته اللـه تعالى لنفسـه عينا يرى بهـا جميع المرئيات ، وهى صفـة حقيقية له سبحانه على ما يليق به ، فلا يقتضى اثباتها كونها جارحة ٠ (٨)

---

(١) سورة الطـور : آية : ٤٨ ٠

(٢) سورة القمـر : آية : ١٤ ٠

(٣) سورة طـه : آية : ٣٩ ٠

(٤) الشوكـانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٣٦٥ ، ٣٦٧ ٠

(٥) سورة القمـر : آية : ١٤ ٠

(٦) الشوكـانى : فتح القدير جـ ٥ ص ١٢٣ ٠

(٧) ابن كثيـر : مختصر الصابونى جـ ٣ ص ٤٤٠ ٠

(٨) ابن تيميـة : العقيدة الواسطية شرح د ٠ محمد خليل هراس ص ٥٧ ٠

٣ ـ صفة اليد والساق :

كما أثبت الشوكانى صفة اليد والساق بما ورد من الأدلة فى الكتاب والسنة ، قال تعالى : " قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، استكبرت أم كنت من العالين " (١) وقال تعالى : " وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " (٢) .

كما أثبت الشوكانى صفة الساق بقوله تعالى : " يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون " (٣)

قال الشوكانى فى اثبات هذه الصفات : والتثنية فى اليد على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة ، بل للدلالة على أنها صفتان من صفات ذاته سبحانه (٤) .

وقد ذكر الشوكانى هذا الحديث الذى تثبت به هذه الصفة فقال : عن ابن عمر قال : " خلق الله أربعا بيده : العرش ، وجنة عدن ، والقلم ، وآدم " وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله ثلاث أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده " (٥) قال الدكتور محمد خليل هراس : لايسوغ أن يقال : خلق الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لايجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة والقدرة .

---

(١) سورة ص : ٧٥ .

(٢) سورة نون : ٤٢ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٤٤٥ .

(٤) الحديث : أخرجه بن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والبيهقى فى الاسماء والصفات ، أنظر الشوكانى فتح القدير جـ ٤ ص ٤٤٧ .

(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٥٦ .

وفى اثبات صفة الساق ذكر حديثا أخرجه البخارى وغيره : عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا " (١)

وأخرج ابن منده عن أبى هريرة فى الآية قال : يكشف الله عز وجل عن ساقه ، وعن ابن مسعود فى الآية قال : يكشف عن ساقه تبارك وتعالى ، فيسجد كل مؤمن ويقسو ظهر الكافر فيصير عظما واحدا ، قال الشوكانى : وبذلك قد أغنانا الله فى تفسير هذه الآيات بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها ، فليس كمثله شىء ، ثم أورد قول الشاعر :

دعو كل قول عند قول محمد ٥٥ فما آمن فى دينه كمخاطر (٢)

فهذه الآيات والأحاديث التى ذكرها الشوكانى تضمنت اثبات اليدين ، والساق صفات حقيقية لله سبحانه وتعالى على ما يليق به ، ولا يمكن حمل اليدين على القدرة أو النعمة ، فان الأشياء كلها حتى ابليس خلقها الله بقدرته ، الا أنه خلق بيده أشياء دلت عليها الآيات التى ذكرتها وغيرها من الأحاديث ، مما يدل على تكريمها ، ورفع منزلتها وعناية الله تعالى بها .

هذا بالاضافة الى أن لفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله الا فى اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة (٣) ، وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف ، والأصابع ، واليمين ، والقبض

---

(١) الحديث : بفتح البارى جـ ٨ ص ٦٦٤ ، ومسلم جـ ٢ ص ٣ ، والدارمى فى الرقاق ٨٣ قال الشوكانى : وهذا الحديث ثابت من طرق فى الصحيحين وغيرهما ، وله ألفاظ فى بعضها طول ، وهو حديث مشهور معروف . فتح القدير جـ ٥ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٣) د . محمود أحمد خفاجى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٢٢٠

وغير ذلك مما لايكون الا لليد الحقيقية ٠ (١)

فاذا أثبت الشوكانى والسلفية هذه الصفات ـ صفة اليد والساق ـ بالآيات المبينة فى كتابه تعالى وفى نصوص الأحاديث الشريفة ، فتلك دلائل نقلية صريحة وصحيحة مع قوله تعالى : " ليس كمثله شىء " كما عرفنا بالدلائل العقلية : أن العين ليست بحدقة ، وأن اليدين ليستا بجارحتين ، فانهما صفات ذات تثبت بالكتاب والسنة بلا تشبيه ٠ (٢)

ثالثا : ما يوهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات وأن له عواطف :

١ ـ محبة الله ، وكراهية الله وبغضه :

المحبة صفة من صفات الله تعالى كما أن الكره والبغض والسخط والمقت ٠٠٠ الخ صفات أفعال لله عز وجل ، وهى صفات حقيقية له على ما يليق به ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم المخلوق ٠

يقول الشوكانى : معنى الغضب فى صفة الله : ارادة العقوبة فهو صفة ذاته ، ومنه الحديث : " ان الصدقة لتطفىء غضب الرب" (٣) فهو صفة فعله ٠ (٤)

كما يقول فى صفة المحبة : قال الأزهرى : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما ، واتباعه أمرهما ، ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران ٠ (٥)

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د ٠ محمد خليل هراس ص ٥٧ ٠

(٢) البيهقى : الاعتقاد على مذهب السلف : ص ٤٢ ٠

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الزكاة باب ٣٨ ٠

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٢٤ ٠

وقد ورد ذكر هذه الصفات للـه تعالى فى كتابه الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

ومن ذلك : ما ورد أنه يحب أفعالا معينة ، كما يحب كلاما معينا ، ويحب بعض خلقه الذين اتصفوا بصفات حميدة خاصة وذلك فى قوله تعالى : " ان اللـه يحب المتقين " (١) " واللـه يحب المحسنين " (٢) " واللـه يحب الصابرين " (٣)

ومن ذلك : ما ورد فى صفة الكره والبغض من صفات أفعاله وذلك فى قوله تعالى : " ولكن كره اللـه انبعاثهم فثبطهم " (٤) وقوله تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط اللـه وكرهوا رضوانه " (٥) ، وقوله تعالى : " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب اللـه عليه ولعنه " (٦) الى غير ذلك من الآيات ٠

أما السنة : فقد ورد ما يثبت هذه الصفات من الاحاديث النبوية الشريفة ومن ذلك ما ورد فى صفة المحبة قوله صلى اللـه عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ، ثقيلتان فى الميزان : سبحان اللـه وبحمده ، سبحان اللـه العظيم " (٧) وفى صحيح البخارى عن عبادة بن

---

(١) سورة البقرة : آية ٧٦ ٠

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ ٠

(٣) سورة آل عمران : آية ١٥٩ ٠

(٤) سورة التوبة : آية ٤٦ ٠

(٥) سورة محمد : آية ٢٨ ٠

(٦) سورة النساء : آية ٩٣ ٠

(٧) رواه البخارى ومسلم ، البخارى فى التوحيد ٥٨ ، والدعوات ٦٦ ، وأخرجه مسلم فى الذكر ٢٠ ٠

الصامت عن النبى صلى اللـه عليه وسلم : " من أحب لقاء اللـه ، أحب اللـه لقاءه ، ومن كره لقاء اللـه كره اللـه لقاءه "(١)

ومن ذلك ماورد من صفات الفعل له عز وجل من الكره والبغض والسخط والمقت . . . الخ قوله صلى اللـه عليه وسلم : " أبغض الرجال الى اللـه الألد الخصم "(٢) وقوله صلى اللـه عليه وسلم فى الأنصار : " من أحبهم أحبه اللـه ، ومن بغضهم أبغضه اللـه "(٣).

فتضمنت هذه الآيات والأحاديث اثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة ، والبغض والكره وهذه من صفات الفعل الاختيارية التى تتعلق بمشيئته ، والمعتزلة والزيدية ينفون هذه الصفات بدعوى أنها توهم نقصا ، أما الأشاعرة يرجعونها الى صفة الارادة ، فيقولون أن محبة اللـه لعبده لا معنى لها الا ارادته لاكرامه ومثوبته ، وصفات الرضى والغضب والكراهية كلها عندهم بمعنى الثواب والعقاب والمعتزلة والزيدية لا يثبتونها ، ويفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على اللـه ، وأما أهل الحق فيثبتونها صفة حقيقية .(٤)

يقول الشيخ حسنين مخلوف : والغضب صفة أثبتها اللـه تعالى

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الرقاق ٤١ ، وأخرجه مسلم فى الذكر ١٤ - ١٨ ، والترمذى فى الزهد ٦ ، والنسائى فى الجنائز ١٠ ، وابن ماجه فى الزهد ٣١ ، والدارمى فى الرقاق ٤٣ ، وأحمد بن حنبل ٢ ، ٤٢٠ ، ٣ ، ١٠٧ ، ٤ ، ٢٥٩ ، ٥ ، ٣١٦ ، ٣٢١ .

(٢) الحديث فى البخارى فى تفسير سورة ٢ ، ٣٧ مظالم ١٥ ، وأحكام ٣٤ ، واخرجه مسلم ، علم ٥ ، والترمذى فى تفسير سورة ٢ ، ٣ ، والنسائى فى القضاة ٢٤ ، وأحمد بن حنبل ٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٢٠٥ .

(٣) أخرجه البخارى فى مناقب الانصار ٤ ، وأخرجه مسلم فى الايمان ١٣٩ .

(٤) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ٤٤ ، ٤٥ .

لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته ، نوءمن بها ونفوض اليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة اليه ، مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث ، وأثرها الانتقام والعذاب .(١)

كما تثبت السلفية لازم المحبة والغضب ، وهى ارادة الله سبحانه وتعالى باكرام من يحبه أو الانتقام ممن يسخط عليه .(٢)

وكما أن هذه الصفات تثبت بالكتاب والسنة فهى ثابتة باجماع المسلمين ، يقول ابن تيمية : ان القرآن والسنة واجماع المسلمين : أثبت محبته لعباده الموءمنين ومحبتهم له لقوله تعالى : "يحبهم ويحبونه"(٣) ثم قال : وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على اثبات محبة الله تعالى لعباده الموءمنين ومحبتهم له .(٤)

وهذه الصفات التى أثبتها السلفية بالكتاب والسنة يثبتونها كغيرها من الصفات التى وصف الله بها نفسه من صفات كماله ، والعقل يدل على اتصافه بها من الكمال(٥) ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم للمخلوق .(٦)

يقول ابن الوزير : كل صفة يوصف بها الرب ويوصف بها العبد ، فالرب يوصف بها على أتم الوصف مجردة عن جميع النقائص ، والعبد يوصف بها محفوفة بالنقص .(٧)

---

(١) حسنين مخلوف : صفوة البيان لمعالى القرآن ج ١ ص ١٣ .
(٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس .
(٣) سورة المائدة : آية : ٥٤ .
(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى الكبرى ج ٢ ص ٣٥٤ .
(٥) ابن تيمية : " " ج ٣ ص ٨٢ .
(٦) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ج ١ ص ٢٣٤ .
(٧) ابن الوزير : ايثار الحق على الخلق ص ١٣٨ وما بعدها .

وهكذا رأينا : أن الشوكانى والسلفية يثبتون الصفات الخبرية التى ورد بها السمع ، ويرون أن اثباتها من غير تأويل لها أو تحريف من لوازم كمال الله المطلق وأن ورود السمع بها ثناء على الله تعالى ، ومدحا له وتعرفا منه الى عباده ، فجحدها ، وتحريفها عما دلت عليه ، وأريد بها ، مناقض لما جاءت له .

وسنرى الآن ما فعلت الزيدية بهذه الصفات الالهية الخبرية ، وكيف جعلت صفات الذات من الوجه واليد والعين والجنب مجازا ثم ذهبت فى تأويلها حتى لا تؤدى الى التشبيه والتجسيم - فى نظرها - ؟ .

كما نرى موقف الشوكانى من هذه البدع التى نتج عنها النفى لصفات الله الذاتية والفعلية . وكيف ردت السلفية على طوائف أهل الضلال وحكمت بزيفهم ؟ .

موقف الزيدية من الصفات الالهية الخبرية :

سبق أن بينت أن الشوكانى والسلفية أثبتوا جميع الصفات التى ورد بها الشرع ، مع فهم معانيها الحقيقية ، من غير تأويل لها ، ولا تعطيل ، وبدون تشبيه ولا تمثيل ، وأن هذا الطريق الذى سلكوه هو طريق السلف الصالح ، فماذا ياترى موقف الزيدية من هذه الصفات ؟

لقد أنكرت الزيدية كالمعتزلة هذه الصفات الخبرية ، وأولت ما ورد فيها من الآيات والأحاديث ، كما أجمعوا على نفى الجهة عن الله تعالى ، لأنهم اعتقدوا أن اثباتها يوجب المكان والجسمية .

كما اعتبرت الزيدية كالمعتزلة ، جميع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى تتضمن معنى الجهة والمكان ، والوجه والعين ، واليد والساق ، والنفس والجنب ، وغيرها مجازا ، وتأولوها بدعوى أن العقول حجة ، ولها حق التوفيق والتأويل ، والآن نسمع ماورد فى مصنفات الزيدية ، وما تكلموا به فى هذه المصنفات .

أولا : مايوهم الجهة والمكان :

نرى الزيدية تؤول الآيات التى تثبت صفة العلو والفوقية لله تعالى ، ففى قوله عز وجل : " أأمنتم من فى السماء ... "(١) يقول الحاكم الجشمى : أأمنتم عذاب من فى السماء ، وقيل : أأمنتم من فى السماء سلطانه وتدبيره ، فان تدابيره تكون فى السماء ، ثم تنزل الى الأرض .(٢)

كما استدلت الزيدية على نفى المكان : بقوله تعالى : " وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله "(٣) قال الحاكم الجشمى تعبده الملائكة فى

---

(١) سورة الملك : آية : ١٦ .

(٢) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ٢٩٢ .

(٣) سورة الزخرف :آية : ٨٤ .

السماء ، ويعبده فى الأرض المؤمنون " ، كما فسرت العندية فى قوله تعالى : " فالذين عند ربك "[١] بالكرامة والمنزلة ، وفى قوله تعالى : " فى مقعد صدق عند مليك مقتدر "[٢] قالوا : "عند مليك " أى فى علم الله صائرون الى ذلك الموضع ، وقول الحاكم هنا كقول أبوعلى الجبائى .[٣]

ولا يختلف نفى الزيدية للجهة والمكان عن قول المعتزلة ، ففى قوله تعالى : " وهو الذى فى السماء اله " أى هو المعروف بالالهية ، أو المتوحد فيها أو هو الذى يقال له الله فيها لا يشرك به فى هذا الاسم .[٤]

وهكذا ترى الزيدية كالمعتزلة تأويل الآيات التى تدل على صفة العلو والاستواء ، وما من شأنه يتنافى مع تصورهم للوحدانية .

ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء :

نجد الزيدية والمعتزلة بالنسبة للصفات الذاتية من الوجه واليد والعين والجنب وغيرها ، تعتبر هذه الصفات مجازا ثم تذهب الى تأويل الآيات التى وردت فيها ما يؤدى فى نظرهم الى التشبيه والتجسيم.[٥]

فأوّلت الزيدية صفة اليد التى وردت فى قوله تعالى : " . . . لما خلقت بيدى "[٦] بمعنى : خلقت من غير واسطة ، وكذا فى قوله تعالى : " مما عملت أيدينا "[٧] أى خلقت بقدرتى[٨] وعلمى ، يريد أنى على ذلك قادر وبه

---

(١) سورة فصلت : آية : ٣٨ .
(٢) سورة القمر : آية : ٥٠ .
(٣) د . عدنان زرزور الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ٢٩٣ .
(٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٥ ، وانظر المصدر السابق ص ٢٩٥
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٤٦ ، والبحر الزخار ج ١ ص ٥٩ .
(٦) سورة ص : آية : ٧٥ .
(٧) سورة يس : آية : ٧١ .
(٨) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ٢٩٣ .

عالــم .(١)

كما أولت الزيدية : صفة الوجه بمعنى الذات فى قوله تعالى : "كل شيء هالك الا وجهه "(٢) وأولت الجنب فى قوله : "يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله "(٣) بمعنى الأمر أى أمر الله ، وبعضهم ذهب الى أنه بمعنى الطاعة ، وأولت اليد فى قوله تعالى : "بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء "(٤) بمعنى النعمة ، وتأتى اليد بمعنى القوة فى قوله : "لما خلقت بيدى " أما العين فى قوله تعالى : "تجرى بأعيننا "(٥) ، يقال : جرى هذا الأمر بعينى : أى بعلمى (٦) ، كما يؤولون الموجودات السمعية الأخرى كالعرش والكرسى ، أما العرش ، فهم لا يثبتونه لله عز وجل ويقولون أنه مجاز ، وينفون الكرسى ، ويؤولونه بعلم الله عز وجل .(٧) .

وهكذا أولت الزيدية الآيات التى جاء ظاهرها فى زعمهم بحمل معانى التشبيه والتجسيم ، وصرفتها الى معنى يوافق الأدلة العقلية لديهم ، وهم فى ذلك مقلدة للمعتزلة ، يقول الشهرستانى : الزيدية لا يرجعون

---

(١) العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد المجيد المخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى .

(٢) سورة القصص : آية : ٨٨ .

(٣) سورة الزمر : آية : ٥٦ .

(٤) سورة المائدة : آية : ٦٤ .

(٥) سورة القمر : آية : ١٤ .

(٦) أحمد عبد الله عارف : أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ، رسالة ماجستير ص ٢٢٢ . وأنظر العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد المجيد المخطوط بالمكتبة المركزية .

(٧) أحمد عيسى شرف الدين : تاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن ص ١٤٣ .

الى رأى واجتهاد ، ويرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ، ويعظمون أئمة الاعتزال ، أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت .(١)

فلذلك تراهم كالمعتزلة يرجعون صفة المحبة والكراهة الى الثواب والعقاب .(٢)

فالسخط والرضى والاحسان والعفو والجود والكرم ، والثواب فى نظر الزيدية أفاعيل من الله يفعلها بعد عدم ، وفقا لمقتضيات الفعل الانسانى ، وهو لا يسخط ولا يحب أو لا يرضى الا بعد ما يوجب ذلك ، وذلك لا يجوز الا بعد التكليف ، وبعد تصرف المكلفين بالطاعة والمعصية ، لأن جميع ذلك منه جزاء على الأفعال ، ولا يحسن مجازاة الفاعل قبل اقدامه على الفعل .(٣)

وبذلك وقفت المعتزلة والزيدية تحارب كل شئ يتنافى مع تصورهم لوحدانية الله ، ورفضوا أن يأخذوا الآيات التى تحمل فى نظرهم معنى التشبيه والتجسيم ، وفعلوا مثل ذلك فى جميع الآيات والأحاديث التى يخالف ظاهرها أصل التوحيد بالمعنى الذى فهموه ، وأولوا الآيات تأويلا يتسق مع تعاليه عز وجل وتنزيهه عن الشبه بخلقه .

وفى كل ما تقدم يناقش الشوكانى الزيدية فيما ذهبت اليه من نفى هذه الصفات الخبرية وتأويلهم وتعطيلهم للآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تثبت ذلك لله عز وجل من صفات كماله ، ونعوت جلاله على الوجه اللائق به سبحانه . كما ترى السلفية ضلال هؤلاء وزيغهم عن طريق الهدى والرشاد

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل : ص ١٦٥ .

(٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية ص ٤٢ .

(٣) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٩ ، وأنظر مقالات الأشعرى ص ٧٠ تصحيح هلموث ريتر الطبعة الثالثة .

مناقشة الشوكانى للزيدية :

وجد الشوكانى أن الزيدية تابعت المعتزلة فى الصفات الخبرية ، حتى لا يلزم من اثباتها محال ، فذهبت تتنكر لهذه الصفات جميعها ، فأنكرت استوائه على عرشه تعالى (١) ، وعلوه على خلقه (٢) ومجيئه يوم القيامة ، ونزوله الى سماء الدنيا ، وكذبوا الأحاديث الصحيحة الثابتة فى تلك الصفات .

ولما اصطدمت الزيدية والمعتزلة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تثبت استواءه على عرشه ، وعلوه على خلقه ، وآيات تثبت لذاته تعالى الوجه وصفة اليد والعين ، وكذا تثبت صفات أفعاله من المحبة والكراهية ... الخ . تعسفت فى التأويل وركبت متن اللجاج ، وحملت آيات الكتاب العزيز مالا تحتمله لكى يسلم لها مقالة النفى ، ثم يعلنون أن ذلك هو أصل الدين وحقيقته الذى جاء بها نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم .

وفى ذلك ينقدهم الشوكانى ويبين فريتهم على العقل والنقل ، ويزيف ادعاءهم أصول دينهم فيقول : أصول الدين الذى هو عمدة المتقين ما فى كتاب الله تعالى ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما فى السنة المطهرة . (٣)

وبالنسبة لتأويلهم هذه الصفات ، وزعمهم أنهم اذا أثبتوها اقتضى ذلك تشبيها ، وأن اثبات هذه الصفات لا تعقل الا بمعنى الجوارح ، فان الشوكانى والسلفية يرفضون ذلك لفساده وبطلانه ، لأنهم يثبتون لله

---

(١) أنظر نفس الرسالة ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٢) د . عدنان زرزور الحاكم الجشمى ومنهجه فى التفسير ص ٢٩٢ .

(٣) الشوكانى : كشف الشبهات عن المشتبهات ص ١٩ .

عز وجل ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس الزيدية أو المعتزلة أو غيرهما أعلم من الله أو رسوله فيما يجوز أن يوصف به الله أو لا يوصف . قال الشوكانى : "الله أعلم بكيفية ذاته ، وماهية صفاته ، بل العلم كله له" (١)

كما أنه لم يؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ـ رضى الله عنهم ـ تأويل لهذه الصفات ، فلم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم تأويل أى صفة من صفات الله . كما لا يجوز فى حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا سيما فى عقائد الدين وأصوله . (٢)

فالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ فهموا ذلك ، وأثبتوا الصفات لله ولم يؤولها واحد منهم . يقول الشوكانى : ان مذهب السلف من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل . (٣)

وقد مضى على ذلك سلف الأمة وأئمتها ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات وينزهونه عن النقص والتعطيل ، والتشبيه والتمثيل .

يقول ابن تيمية : "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، وينزهونه عن النقص والتعطيل والتشبيه والتمثيل ، اثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل ،

---

(١) الشوكانى : رسالة التحف فى مذهب السلف ص ٩ ، ١٠ .

(٢) الشنقيطى : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٠ .

(٣) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٧ .

ليس كمثله شيء رد على الممثلة ، وهو السميع البصير رد على المعطلة .(١)

ويتقرر من ذلك أن السلف ماكانوا يتكلفون علم مالا يعلمون ، كما أنهم بالنسبة للصفات الثابتة لله تعالى لا يتأولون ، بل كانوا يمرون أدلتها على ظاهرها ، وهذا هو المتقرر من مذاهبهم لا ينكره أحد . يقول الشوكانى فى ذلك : كان السلف يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم مالا يعلمون ، ولا يتأولون ، وهذا هو المعلوم من أقوالهم وأفعالهم ، والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ، ولا ينكره منكر .(٢)

وتابعهم على ذلك السلفية وأئمتها فى كل عصر ومصر . يقول ابن خزيمة مبينا المذهب الذى تشهد له الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : "نحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر ، مذهبنا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ..."(٣)

واذا كانت الزيدية تعتقد أن اثبات استواء الله على عرشه وفوقيته على خلقه ، واثبات الوجه واليد والعين وغيرها يؤدى الى مخالفة قواعد التنزيه لديهم ويوقع فى شبهة التشبيه والتجسيم عندهم ، ولذلك لا يثبتون للرحمن العرش والكرسى ولا الاستواء ولا هذه الصفات الثابتة له فى كتابه فان الشوكانى يرد عليهم وينقدهم فى هذا التعطيل فيقول :

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٧٤ ، وأنظر العقيدة الاصفهانية ص ٩ ، وأنظر ابن القيم الجوزية مدارج السالكين جـ ٢ ص ٨٦
(٢) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٤ .
(٣) ابن خزيمة : كتاب التوحيد ص ١٠ ، ١١ .

"ان فرارهم من شبهة التشبيه أدى بهم الى سوء التعطيل ، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ، ومن قرصة النملة الى قضمة الأسد .(١)

ثم يرد الشوكانى تأويل الزيدية لصفة اليد بالقوة أو النعمة فيقول :

"التثنية فى اليد للدلالة على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة ، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات الله (٢) ثم يسوق الشواهد التى تؤيد ذلك من الأحاديث الصحيحة فيقول : عن ابن عمر قال : خلق الله أربعا بيده ، العرش ، وجنة عدن ، والقلم ، وآدم "(٣) وحديث : "يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب فيعود ظهره طبقا واحدا "(٤) كما تقدم ذكره عن الشوكانى : أن هذا لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها .(٥)

كما يرد أهل السنة نفى الزيدية للموجودات الثابتة بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من : العرش والكرسى بقولهم : ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه : "الرحمن على العرش استوى "(٦) وغير ذلك من الآيات ، كما يقولون : ونثبت لله الكرسى فالكرسى بين يدى العرش، وأنه موضع القدمين ....(٧)

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٩ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ٤٤٤ .

(٣) أخرجه ابن جريج وأبوالفتح فى العظمة ، والبيهقى عن ابن عمر أنظر المصدر السابق .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى تفسير سورة ٦٨ ، ٢ وفى التوحيد ٢٤ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٢٧٤ ، وأنظر فتح البارى جـ ٨ ص ٦٦٤

(٦) سورة طه : آية : ٥ .

(٧) ابن تيمية : رسالة الفتوى الحموية الكبرى ص ١٠٤٣ .

كما يقول الشوكانى : الاستواء على العرش والكون فى تلك الجهة صرح به القرآن الكريم فى مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها ، كذلك صرح به الرسول صلى الله عليه وسلم فى غير حديث ، بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس فى نفسه ويحسه فى فطرته ، كما نراه فى كل من استغاث بالله سبحانه والتجأ اليه . (١)

فاستدل الشوكانى فى ذلك بالدلائل النقلية والشواهد الفطرية فى اثبات صفة العلو والاستواء ورد ما نفته الزيدية وغيرهم من المتكلمين الى أن قال : "دع عنك ما حدث من تلك التمذهبات فى الصفات ، وأرح نفسك من تلك العبارات التى جاء بها المتكلمون ، واصطلحوا عليها ، وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . (٢)

وبذلك يتبين لنا مما سبق أن الشوكانى يجرى الصفات مجرى الذات كأهل السنة والجماعة من سلف الأمة ، ويدافع عن ذلك ، ويقمع الخارجين والمبتدعين عن المسالك السلفية فى الاعتقاد كالمعتزلة والزيدية الذين عطلوا الصفات ، وأولوا الآيات وأفسدوا دين العباد .

كما أن السلفية ترد بشدة كل من عطل أو أول النصوص التى تثبت هذه الصفات ، وترجع نفى المعتزلة والزيدية ومن نحا نحوهم لهذه الصفات الى تصورهم لمعنى الكمال اللائق بذات الله ، الا أنهم أخطأوا جميعا فى تصورهم هذا الكمال وتفسيرهم لمعناه .

اذ كان عليهم أن يفرقوا فى تصورهم لهذا الكمال بين حقيقتين مختلفتين تمام الاختلاف ، هما : حقيقة الذات الالهية ، وبين حقيقة

---

(١) الشوكانى : التحف فى مذهب السلف ص ٦ ، ١١ .
(٢) المصدر السابق .

الانسان ، فلا ينبغى أن يتخذ للقياس الذى نقيس به عالم الشهادة ، ونطبقه على عالم الغيب .(١)

كما ترد على الزيدية التى تنكر الصفات الخبرية لانها تؤدى الى التشبيه ويتنافى مع التنزيه ، فأولت الاستواء بالاستيلاء ، والفوقية بالقهر ، واليد بالنعمة الى غير ذلك .(٢)

يقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : ان هذا الاثبات ومعرفة الرب تبارك وتعالى بصفاته ، التى نطق بها كتابه ، وشهد به رسوله صلى الله عليه وسلم على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقله العدول الثقات لا يؤدى الى التشبيه ، وذلك لأن السلف لا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات خلقه ، ولا يكيفونها تكيف المشبهة ولا يحرفون الكلم عن مواضعه تحريف المعتزلة والجهمية .

فأهل السنة قد أعاذهم الله من التحريف والتشبيه ومنّ عليهم بالتفهيم والتعريف ، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتشبيه ، واكتفوا بنفى النقائص بقوله عز وجل : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"(٣) وبقوله تعالى : "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد(٤)".(٥)

أما الزيدية والمعتزلة : فقد وقعوا فى التشبيه أولا حيث لم يفهموا آيات الصفات الا ما يليق بالمخلوق المحدث ولم يفهموا منها صفة تليق بذاته المقدسة .

---

(١) د . محمود أحمد خفاجى : العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة جـ ١ ص ٣٧٢ .

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والزيدية ص ٩٨ .

(٣) سورة الشورى : آية : ١١ .

(٤) سورة الاخلاص .

(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والزيدية ص ٩٨ .

ثم وقعوا فى التعطيل ثانيا ، وذلك بنفيهم ما وصف الله به نفسه ، لظنهم أن ذلك من صفات المحدثين ، ثم تأولوا الصفات على مذهبهم فى النفى ، فوقعوا فيما فروا منه حيث وصفوه بالسلب والنفى فشبهوه بالمعدومات.(١) وبذلك قد خالفوا ما أجمعت عليه الأمة من عصر الصحابة والتابعين .

يقول ابن القيم الجوزية عن عصر الصحابة والتابعين :

"كانوا كلهم على ما نطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية ، كلمتهم واحدة من أولهم الى آخرهم ، لم يسموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدلوا الشىء منها ابطالا ، ولا ضربوا لها أمثالا ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقايقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالاجلال والتعظيم .(٢)

وعلى ذلك قد خالفت الزيدية والمعتزلة الاجماع الحاصل من السلف على اثبات الصفات الالهية الخبرية ،فنفت أن يكون من هذه الصفات شيئا لله ، فأكبرت السلفية وأهل السنة والجماعة بدعتهم ، فرموهم بالضلالة ، وتولوا الرد عليهم فى جميع مصنفاتهم .

يقول ابن تيمية فى الحموية الكبرى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التى جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الرب عز وجل ، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر اليوم شيئا فقد خرج عن ماكان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة ، فانهم لم ينفوا ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما فى الكتاب والسنة ، ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة .(٣)

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٨ .

(٢) د . محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٨٣ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الحموية الكبرى مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

وبذلك بينت السلفية أن حجج المتأولين والمعطلين في ذلـك كله متهافتة ، لا تنهض أن تعارض بها عقل صريح ، فما بالك فيمن يعارض بها المنقول الصحيح ؟ [1]

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٥ ص ١٣٦ - ١٥٣ .

الفصـــل الســــادس

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

أفعـــال العبـــاد

xxxxxxxxxxxxxxxx

* * تمهيـــد
* * اللـه فاعل مختار .
* * القدر ومبدأ السببية .
* * الآجال والمحو والاثبات .
* * الفرق بين الكونيات والدنيات .
* * الارادة الانسانية .
* * الهداية والاضلال .
* * مذهب السلف فى أفعال العباد .
* * مناقشة الشوكانى للزيدية :

(١) المقصد الأول فى المناقشة .

(٢) المقصد الثانى " .

(٣) المقصد الثالث " .

****

****

تمهيد : كان على الشوكانى أن يواجه مشكلة أفعال العباد ، التى خاض فيها علماء الكلام ، وقتلوها بحثا ، ولم يتفقوا فيها على كلمة واحدة ، وما كان لهم أن يتفقوا ، اذ هى من أجل المسائل الكبار وأعظمها تشعبا وتفرعا ، وأكثرها اثارة للشبه والحيرة ، وذلك لتعلقها باحكام الله وأفعاله من الأمر والنهى ، والوعد والوعيد ، كما أنها داخلة فى خلقه وأمره ، وقضائه وقدره .

وجد الشوكانى أن الناس قد تنازعوا هذه المشكلة قبله وأثاروا حولها نزاعا طويلا ، واتجهوا فيها الى تيارين :

١ ـ **التيار الجبرى :** (١)

وتمثله فرق المجبرة الذين يقولون بالغاء الحرية الانسانية ، وأنه لا اختيار للعبد فى أفعاله ولا قدرة له فى ذلك ، بل على حد تعبيرهم أنه كالريشة فى الهواء تحركها الرياح كيف تشاء ، واستدلوا على ذلك بآيات كثيرة تسند الفعل الى الله تعالى ، مثل قوله تعالى : "فعّال لما يريد" (٢) "الله خالق كل شيء" (٣) "يضل من يشاء ويهدى من يشاء" (٤)

وأحجموا عن الآيات الأخرى التى تسند عمل العبد الى نفسه

---

(١) يقول الجرجانى فى (التعريفات) ص ٦٥ : الجبرية هو من الجبر ، وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى ، والجبرية اثنان : متوسطة تثبت للعبد كسبا فى الفعل كالاشعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية ، وأنظر ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق د . محمد رشاد سالم جـ ١ ص ٦٣ .

(٢) سورة هود : آية : ١٠٧ ، والبروج : آية : ١٦ .

(٣) سورة الرعد : آية: ١٦ .

(٤) سورة النحل : آية: ٩٣ .

كقوله تعالى : " اعملوا ماشئتم " (١) " جزاء بما كانوا يعملون " (٢) وغير ذلك من الآيات التي تدل على ذلك .

وهؤلاء وجدهم الشوكاني قد أثبتوا القدر وآمنوا به ، الا أنهم قصروا في الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وذهبوا الى الاحتجاج بالقدر على المعاصي والشرور فكانوا من جنس المشركين الذين قال الله فيهم : " لو شاء الله ما أشركنا " (٣) .

٢ ـ التيار الثاني : تيار القدرية (٤) الذي يمثله فرق كالمعتزلة والزيدية المائلون الى اثبات الحرية الانسانية المطلقة ، تحقيقا لمبدأ العدل الالهي عندهم وذلك لقولهم : أنه لو لم يكن العبد مختارا في أفعاله لما كان هناك معنى للثواب والعقاب والتكاليف الشرعية ، ووجدوا الكون يطفح بالشرور والآثام وبأنواع من الظلم والفسوق فقالوا : لا يجوز أن تكون هذه الأشياء مرادة لله ، ولا مخلوقة له ، لأنه لا يتصف بالظلم ، لأن ذلك قبيح والله منزه عن القبح . (٥)

---

(١) سورة فصلت : آية : ٤٠ .

(٢) سورة السجدة : آية : ١٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية : ١٤٨ .

(٤) القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى . أنظر ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم جـ ١ ص ٦٥ ، وأنظر التعريف للجرجاني : ص ١٧٤ .

(٥) ابن تيمية : الارادة والأمر : ضمن مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص ٣٥٧ .

والشوكانى بين هؤلاء وهؤلاء لا يرى أن واحدا منهما قد أصاب ماكان عليه سلف الأمة وأئمتها الذين آمنوا بالقدر خيره وشره ، والذى يتضمن أولا : الايمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلا وأبدا ما سعلمه الخلق فيما لايزال .
ثانيا : أن الله كتب ذلك كله فى اللوح المحفوظ ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات قد أمر القلم بكتابته (١) وهذه هى الدرجة الأولى من القدر . أما الدرجة الثانية من القدر : فهى تتضمن شيئين أيضا : أولهما : الايمان بعموم مشيئته تعالى ، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصى واقعة بتلك المشيئة العامة . وثانيهما : الايمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها مخلوقة له لا خالق لها سواه كما قال تعالى : " والله خلقكم وما تعملون " (٢) ولا منافاة بين ماثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهى ، فان تلك المشيئة لا تنافى حرية العبد واختياره للفعل كما قال تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين ". (٣)

فلم يجد الشوكانى أن واحدة من تلك الطائفتين أصابت ماكان عليه سلف الأمة وأئمتها فى الايمان الصحيح بالقضاء والقدر ولذلك يقول : هذه الطوائف المتكلفة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه ، سلكت طريقة متوعرة ، لا يرجع من سلكها بمطلوب صحيح ، فدفعوا آيات قرآنية ،وأحاديث نبوية صحيحة ، واعتلوا فى هذا الدفع بشبه واهية وخيالات مختلفة وهؤلاء طائفتان :

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس : ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(٢) سورة الصافات : آية ٩٦ .
(٣) سورة التكوير : آية ٢٩ .

الطائفة الأولى : هي التي غلت في اثبات القدر غلو أبلغ حد أنه لا تأثير لغيرها ، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك الى الجبر المحض ، والقسر الخالص ، فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة . (١)

والطائفة الثانية : هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ، ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ، ثبوتا أوضح من شمس النهار ... فضلوا الطريق المستقيم وأضلوا من رام سلوكها " (٢)

مع أن كلا المقصدين صحيح ، ووجه كل منهما صبيح ، لولا ماشأنه من الغلو القبيح . (٣)

وهكذا بين الشوكاني أن كلا الطائفتين غلت غلوا قبيحا ، فضلوا طريق السلف الصالح وما كان عليه أئمتها من منهج القرآن والسنة في اثبات القدر والايمان به على الوجه الصحيح ، لذلك نراه يرفض تأويلات طائفة المجبرة ، وطائفة المعتزلة والزيدية الذين حرفوا الكلم بتأويلاتهم عن مواضعه ، فخالفوا اللغة ، وتناقضوا في المعنى ، وخالفوا اجماع السلف كما سيتبين لنا من المنهج الذي سلكه الشوكاني في هذا السبيل الذي يوضح فيه أن الله فاعل مختار يتصرف في ملكه بمشيئته وحكمته لأنه مالك الملك على الاطلاق ، والله هو الفاعل المختار .

الله فاعل مختار : بين الشوكاني أن الله فاعل مختار ، يتصرف في ملكه بمقتضى مشيئته وحكمته لأنه سبحانه القائل : " قل اللهم مالك الملك

---

(١) الشوكاني : رسالة التحف في مذهب السلف ص ٢ .

(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٣) الشوكاني : المصدر السابق ص ٣ .

تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شئ قدير ، تولج الليل فى النهار ، وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب" (١) .

وفى هذه الآية يذكر الشوكانى : أن الله تعالى مالك جنس الملك على الاطلاق ، فهو مالك العباد وما ملكوا ومالك الدنيا والآخرة ، والمال والعبيد ، والمراد بما يؤتيه من الملك ، وينزعه : هو نوع من أنواع ذلك الملك العام (٢) .

والملك اما أن يكون هو القدرة ، أو المقدور ، أو كلاهما . يقول ابن تيمية : من لم يقل بقول السلف ، فانه لا يثبت لله قدرة ، ولا يثبته قادرا ، فالجهمية ومن تابعهم ، والمعتزلة والقدرية المجبرة والنافية : حقيقة قولهم : أنه ليس قادرا وليس له الملك ، فان الملك اما أن يكون هو القدرة ، أوالمقدور ، أو كلاهما ، وعلى كل تقدير فلابد من القدرة ، فمن لم يثبت له القدرة حقيقة لم يثبت له ملكا (٣) .

كما أنه سبحانه بيده الخير لا بيد غيره ، وذلك الخير دون الشر ، لأن الخير بفضل محض بخلاف الشر ، فانه يكون جزاء لعمل وصل اليه ، أو لأن كل شر من حيث كونه من قضائه سبحانه هو متضمن للخير ، فأفعاله كلها خير (٤) .

يقول ابن تيمية : جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره ، وقد أمرنا

---

(١) سورة آل عمران : آية : ٢٦ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٢٩ .
(٣) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٣٠ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٣٠ .

الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير ، بحسب الامكان ، ونزيل الكفر بالايمان ، والبدعة بالسنة ، والمعصية بالطاعة من أنفسنا ومن عندنا ، فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب ، وان كان ذلك بقدر الله .(١)

وهنا يتقرر من هذه الآية : كما بينه الشوكانى : أن الله تعالى فاعل مختار ، وأن كل تصرف يجرى فى العالم منه وفق مشيئته التى وضعها فى الكون ، فهو سبحانه مالك الملك الحق ، يعطى الملك لمن يشاء ، وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن الله فى العطاء والأخذ ، ويعز من يشاء بالتوفيق لأسباب العز ، ويذل من يشاء بالخذلان ، وأنه سبحانه بيده الأمور كلها خيرها وشرها يعطى ويمنع ويعز ويذل ، وينفع ويضر ، لأنه القادر على كل شيء ، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فاما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحركات الطبيعية التى لا قدره له على فعلها ولا تركها .(٢)

كما يؤكد الشوكانى ذلك التصرف المطلق لله تعالى فى ملكه الذى لا ينازعه فيه منازع ، وما كان لأحد أن يختار معه لأنه هو الفاعل المختار قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ماكان لهم الخيرة "(٣) يقول الشوكانى فى تفسير الآية : أن الله يخلق مايشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ـ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ـ وأنه ليس لأحد من خلق الله أن يختار ، بل الاختيار الى الله عز وجل .(٤)

---

(١) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٥٤٧ .
(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية تحقيق حسنين مخلوف ص٥٢ .
(٣) سورة القصص آية : ٦٨ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٤ ص ١٨٢ .

وهو سبحانه المنفرد بالخلق والاختيار ، وليس له منازع فما شاء كـان ، ومالم يشأ لم يكن ، والأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها اليه .(١) وهذا مذهب السلف .

يقول ابن تيمية : ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فلا يكون فى ملكه الا ماشاءه ، ولا يكون فى ملكه شيء الا بقدرته ، وخلقه ومشيئته ، كما دل على ذلك السمع والعقل . وهذا مذهب الصحابة قاطبة ، وأئمة المسلمين وجمهورهم ، وهو مذهب أهل السنة .(٢)

و " ما " فى قوله تعالى : " وما كان لهم الخيرة " نافية وليست بمعنى الذى ، وهذا هو الصحيح كما نقله ابن أبى حاتم عن ابن عباس وغيره ، فان المقام فى بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار .(٣) فجميع الممكنات مقدورة ومملوكة له تعالى يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار قدره كيف يشاء ، كما أنه تعالى وضع هذا الوجود على نظام محكم وله سنن وقوانين عامة ربط الله تعالى بها الأسباب بمسبباتها كما سيبينه الشوكانى فى القدر ومبدأ السببية .

القدر ومبدأ السببية :

أنه يضل فى هذا القدر خلق كثير بسبب اهمالهم السنن التى ربط الله بها الأسباب بمسبباتها ، فهذا الوجود وضعه الله تعالى على نظام محكم ، وله سنن وقوانين عامة ، وكل شيء فيه بمقدار معين ، حسبما تقتضيه مشيئته تعالى ، على مقدار حاجة العباد اليه .(٤)

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٣ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٤٣ .

(٣) ابن الجوزى زاد المسير جـ ٦ ص ٢٣٧ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ١٢٧ .

ولقد بين القرآن الكريم ، والسنة المطهرة مايدل على ذلك ويوضحه .
قال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر "(١) وقوله تعالى : " وكل شيء عنده بمقدار "(٢) وقوله : " وان من شيء الا عندنا خزائنه ، وماننزله الابقدر معلوم "(٣) وغير ذلك من الآيات .

ومن السنة : قوله صلى الله عليه وسلم : " قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء "(٤) وكما جاء في الحديث : " أن أول ماخلق الله القلم قال له أكتب ، قال : وما أكتب ، قال : أكتب ماهو كائن الى يوم القيامة "(٥) الى غير ذلك من الأحاديث .

يقول الشوكاني : " ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له تعالى يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار كيف يشاء "(٦)

كما أنه سبحانه لايوجد للعباد شيئا من الأشياء الا متلبسا ذلك الايجاد بمقدار معين ، حسبما تقتضيه مشيئته تعالى على مقدار حاجة العباد اليه(٧) ، وكل ذلك من المخلوقات سبق بها علمه تعالى ، مكتوبة فى اللوح المحفوظ . يقول الشوكاني : ان كل شيء من الأشياء خلقه الله

---

(١) سورة القمر : آية : ٤٩ .
(٢) سورة الرعد : آية : ٨ .
(٣) سورة الحجر : آية : ٢١ .
(٤) الحديث : أخرجه مسلم وأحمد ، ورواه الترمذى بالزيادة ، وقال حسن صحيح أنظر ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٣ ص ٤٥٤ أنظر مسلم القدر : ١٦ وأنظر الترمذى فى القدر ١٨ ، وأحمد بن حنبل ٢ ، ١٦٩
(٥) الحديث أخرجه أبو داود فى سننه ١٦ ، والترمذى فى القدر ١٧ ، وفى تفسير سورة ٦٨ ، وأحمد بن حنبل ٥ ، ٢١٧ .
(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ١٢٦ .
(٧) المصدر السابق : جـ ٣ ص ١٢٧ .

متلبسا بقدره ، وقضاء قضاه ، سبق فى علمه ، مكتوب فى اللوح المحفوظ .(١)

واذا كانت هذه الأشياء التى خلقها الله تعالى وقدرها ، وقضاها ، وسبق بها علمه ، وهى مكتوبة عنده فى اللوح المحفوظ ، فكيف نجمع بين قوله تعالى : " ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى السماء الا فى كتاب من قبل أن نبرأها "(٢) وقوله تعالى : " قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا "(٣) ، وبين ما عارضها فى الظاهر من الآيات كقوله تعالى : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، ويعفوا عن كثير "(٤) وما ورد من الآيات فى هذا المعنى ؟

وهنا نجد الشوكانى يبين ويوضح مبدأ السببية فى الشريعة الاسلامية ، ويدفع ما يتوهم من التعارض الظاهر بين آيات القرآن الكريم: وذلك بحمل الآيتين الأوليين وما ورد فى معناهما على عدم التسبب من العبد بأسباب الخير من الدعاء ، وصلة الرحم ، وسائر الأفعال الصالحة ، وحمل الآية الأخرى وما ورد فى معناها على وقوع التسبب من العبد بأسباب الشر المقتضية لاصابة المكروه ووقوعه على العبد ،(٥) ولهذا أمر العباد بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب ومن قال لا أدعوا ولا أسأل اتكالا على القدر ، كان مخطئا ، لأن الله جعل الدعاء ،

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ١٢٩ .

(٢) سورة الحديد : آية : ٢٢ .

(٣) سورة التوبة : آية : ٣٠ .

(٤) الشوكانى : ولاية الله والطريق اليها تحقيق د .ابراهيم هلال ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

(٥) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ .

والسؤال من الأسباب التى ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه ، وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فانما قدره الله بأسباب ، يسوق المقادير الى المواقيت ، فليس فى الدنيا والآخرة شىء الا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات .(١)

وأما بالنسبة لما ورد من الأحاديث الدالة على سبق القضاء ، والفراغ من تقدير الأجل والأرزاق والسعادة والشقاوة ، وما يتوهم معارضتها لما ورد من الأحاديث التى تدل على طلب الدعاء من العبد ، وأن الله يجيب دعاءه ، ويعطيه ماسأل ، وأن الدعاء يرد القضاء ونحو ذلك ، فان الشوكانى يجمع بين المجموعة الأولى من الأحاديث والمجموعة الثانية ، من باب تقييد المسببات بأسبابها ويقول : كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر (٢) ، وما اشتمل عليه من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها كثير جدا (٣) يقول ابن قيم الجوزية : وبالأسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها أرسل رسله وشرع شرائعه وانقسم الناس الى سعيد وشقى ، ومهتد وغوى .(٤)

فأفعال العباد من أقوى الأسباب لما نيط بها ، بل ما أمر الله به من العبادات والدعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب ، لما نيط بها من السعادات ، وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان من أعظم الأسباب لما علق بها من الشقاوات .(٥)

---

(١) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) الشوكانى : ولاية الله ص ٤٩٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين جـ ٣ ص ٤٠٨ .

(٥) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ١٧٦ .

ولما كان هذا القدر قد دخل فيه الوعد والوعيد ، وقال أهل الكلام ، وقرر أصحاب الأصول الخمسة من الزيدية والمعتزلة وغيرهم : أنه لو وقع غير ماسبق به القلم وفصل به القضاء للزم لازم باطل ، وهو انقلاب العلم جهلا ، لتخلف ماحق به القضاء ، كان على الشوكانى أن يحقق هذا الأمر ويقول كلمة الحق ، ويبين ذلك بالدلائل القرآنية والأحاديث النبوية فيقول : أنهم قصروا أنظارهم على هذا الالزام ، وغفلوا عن لزوم ما هو أشد منه ، وهو أن الرب القادر القوى المتصرف فى عالمه بما يشاء ، وكيف شاء ، لم يبق له عز و جل الا ما قد سبق به قضاوءه ، ولا يتمكن من تغييره ، ولا من نقله الى قضاء آخر ـ فهذا يعتبر ـ تقصير عظيم بالجناب العلى عز وجل وتعالى وتقدس ، وهو يستلزم اهمال كثير من الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة [(١)] .

يقول ابن القيم الجوزية : " ان الدين هو اثبات الأسباب ، والوقوف معها ، والنظر اليها ، والالتفاف اليها ، وأنه لا دين الا بذلك ، كما أنه لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشريعة مبناهما على اثباتها ، وهل يمكن حيوانا أن يعيش فى هذه الدنيا الا بوقوفه مع الأسباب ؟ فكيف وغذاوءه بها ، وتنفسه فى الهواء بها ، ودواوءه بها ، وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاوءه بالاعراض عنها ، والغائها ، فالأسباب محل الأمر والنهى ، والثواب والعقاب ، والنجاح والخسران [(٢)] .

والمقصود أن مقالة هوءلاء تستلزم اهمال ما أرشدنا اليه سبحانه من التضرع له ، لأنه ليس للداعى الا ماقد سبق به القلم دعا أو لم يدع ، فهذا يبطل فائدة الدعاء [(٣)] وترك الدعاء من الاستكبار عليه قال تعالى :

---

(١) الشوكانى : ولاية الله ص ٤٧٩ .
(٢) ابن القيم الجوزية : مدارك السالكين جـ ٣ ص ٤٠٨ .
(٣) الشوكانى : ولاية الله ص ٤٧٩ .

" أدعونى أستجب لكم "(١) وقال تعالى : " ان الذين يستكبرون عن عبادتى " الآية ، وقال : " أم من يجيب المضطر اذا دعاه "(٢) فأخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة من دعاه بعد أن أمرنا بالدعاء فى آيات كثيرة .... ومن ذلك ماورد فى اجابة دعوة المظلوم على ظالمه ، والأب على ولده ، وورد أيضا أن جماعة لايرد دعاءهم ، والأحاديث بذلك صحيحة ثابتة .(٣)

بل قد ثبت أن الدعاء يرد القضاء من حديث سلمان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لايرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر "(٤) وحديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايغنى الحذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ، ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان الى يوم القيامة "(٥)

وهكذا بين الشوكانى ما استلزمته مقالة المعتزلة والزيدية من لوازم : منها : التقصير العظيم بالجناب العلى ، واهمال كثير من الأدلة الشرعية ، واهمال ما أرشدنا الله تعالى اليه من التضرع والدعاء له ، وأن هذا يبطل فائدة الدعاء ، وترك الدعاء من الاستكبار عليه .

ولما كان موضوع " أفعال العباد " يرتبط بمسألة الآجال والمحو

---

(١) سورة غافر : آية : ٦٠ .

(٢) سورة النحل آية : ٦٢ .

(٣) الشوكانى : ولاية الله تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٤٨٤ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى وحسنه ، فى الندب ٦ ، وابن ماجه فى المقدمة ١٠ ، والفتن ٢٢ ، وأحمد بن حنبل ٢ ، ٥٠٢ ، ٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨ ، ٢٨٢ ، وأنظر الشوكانى : ولاية الله ، ٤٨٤ يقول : أخرجه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وصححه .

(٥) أخرجه البزار والطبرانى وصححه أنظر الشوكانى : ولاية الله ص ٤٨٤

والاثبات ، كان على الشوكانى أن يبين هذه المسألة والمراد بالذى يمحى ويثبت .

الآجال والمحو والاثبات :

وجد الشوكانى أمامه آيات القرآن تتكلم عن الآجال والمحو والاثبات نحو قوله تعالى : " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب" (١) وقوله : " وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب " (٢) ، وقوله تعالى : " ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده " (٣) ويقابل هذه الآيات مجموعة أخرى توهم التعارض نحو قوله تعالى : " فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (٤) وقوله تعالى : " لن يوءخر الله نفسا اذا جاء أجلها " (٥) وقوله : " ان أجل الله اذا جاء لا يوءخر " (٦)

وقد اختلف المفسرون فى المراد بالذى يمحى ويثبت على أقوال كثيرة يقول الشوكانى : وظاهر النظم القرآنى العموم فى كل شيء مما فى الكتاب فيمحو ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ، ويبدل هذا بهذا ، ويجعل هذا مكان هذا ـ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ـ والى هذا ذهب عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن جريج وغيرهم . (٧)

---

(١) سورة الرعد : آية : ٣٩ .
(٢) سورة فاطر : آية ١١ .
(٣) سورة الانعام : آية : ٢ .
(٤) سورة النحل : آية : ٦١ .
(٥) سورة المنافقون آية : ١١ .
(٦) سورة نوح : آية : ٤ .
(٧) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٨٨ ، وأنظر ابن الجوزى زاد المسير جـ ٤ ص ٤٠ .

ويؤيد ذلك ما ذكره ابن كثير قال : قال منصور : سألت مجاهدا فقلت: أرأيت دعاء أحدنا ، يقول : اللهم ان كان اسمى فى السعداء فاثبته فيهم ، وان كان فى الأشقياء فامحه عنهم واجعله فى السعداء ، فقال : حسن ، وقال الأعمش عن أبى وائل : أنه كان كثيرا يدعو بهذا الدعاء (١) ، وقال ابن جرير : عن أبى عثماء النهدى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال وهو يطوف بالبيت يبكى : اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه ، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادة ومغفرة (٢) .

ومعنى هذه الأقوال : أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ، ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الامام أحمد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولايرد القدر الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر (٣) ،

والمراد من الآية : أنه تعالى يمحو ما يشاء مما فى اللوح المحفوظ فيكون كالعدم ، ويثبت مما فيه فيجرى فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته .

وهذا لاينافى ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : " جف القلم " وذلك لأن المحو والاثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه " (٤) .

ومعنى ذلك : أنه لايطول عمر انسان ولا يقصر الا فى كتاب ، أى اللوح المحفوظ ، وأن للانسان أجلين يقضى الله سبحانه بما يشاء منهما من زيادة أو نقص .

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ٢٨٦ .

(٢) المصدر السابق :

(٣) الحديث : أخرجه الامام أحمد ٢ / ٥٠٢ ، ٥ / ٢٧٧ ، وأنظر ابن كثير مختصر الصابونى تخريجه : رواه أحمد والنسائى وابن ماجه وأنظر الشوكانى ولاية الله ص ٤٨٤ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٨٨ .

وأما بالنسبة لمجموعة الآيات من مثل قوله تعالى : " ان أجل اللـــه اذا جاء لايوءخــر " (١) وأخواتها فى هذا المعنى . يقول الشوكانى فيها : أقول : اذا حضر الأجل فانه لايتقدم ولا يتأخــر ، وقبل حضوره يجـــوز أن يوءخــربالدعاء أو بفعل الخير أو بصلة الرحم ، ويجوز أن يـقدمه لمن عمل شرا ، أو قطع ما أمر اللـــه به أن يوصل ، وانتهك محارم اللـــه سبحانه . (٢)

ولما كان هذا الموضوع يتعلق بالأمر والنهى ، وداخل فى الخلق والامر ، فرق الشوكانى بين الكونيات والدينات .

الفرق بين الكونيات والدينات :

وقد فرق الشوكانى بين ما وقع فيه الاشتباه وأخطأت طوائف مـــن الناس ، فلم يفرقوا بين الكونيات والدينيات التى جاءت فى القرآن الكريـــم ، من الارادة والأمر والاذن ، والقضاء ، والبعث ، والجعل ، والحقيقـــــــة الكونية والدينية .

فذكر الشوكانى : أن الفرق بين هذه الأمور واضح ، فاللـــه تعالى لـــه الخلق والأمر " الا له الخلق والأمر تبارك اللـــه رب العالمين " (٣)

فهو سبحانه خالق كل شىء وربه ومليكه لاخالق غيره ، ولا رب ســـواه ، ماشاء اللـــه كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وكل مافى الوجود من حركة وسكـــون بقضائه وقدره ، وارادته وخلقــه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن الشرك باللـــه سبحانه ، وأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربـــى ، ونهى عن الفحشـــاء والمنكر والبغى ، وهو يكره ما نهى عنه كما قال : " كـــل

---

(١) سورة نوح : آية : ٤ .

(٢) الشوكانى : ولاية اللـــه تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٤٩١ .

(٣) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .

ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (١) " (٢) .

يقول الشوكانى والمعنى : كل ما نهى اللـه عنه كان سيئة ، وكان مكروها ، والمراد بالمكروه عند اللـه هو الذى يبغضه ولا يرضاه ، لا أنه غير مراد مطلقا ، لقيام الأدلة القاطعة على أن الاشياء واقعة بارادته سبحانه . (٣)

يقول ابن تيمية : لفظ الارادة يحتمل له معنيان : فيقصد به المشيئة لما خلقه ، ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به . وقد ذكر اللـه فى مواضع أنه يريدها ، وفى مواضع أنه لايريدها .

والمراد بالأول : أنه شاءها خلقا ، وبالثانى : أنه لايحبها ولا يرضاها أمرا . (٤)

وبناء على ذلك بين الشوكانى أن الارادة الكونية ، والامر الكونى ، هى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته انسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم ، أما الارادة الدينية والامر الدينى : هى محبته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا .

وعلى ذلك يكون ما خلقه اللـه وقدره وقضاه فهو يريده ، وان كان لايأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ، ولا يثيب عليه ، ويكون ما أمر به وأحبه وشرعه ورضيه وأحب فاعله وأثابهم وأكرمهم عليه ، فهو الذى يحبه ويرضاه . (٥)

وبهذه التفرقة التى وضحها الشوكانى بين الكونيات والدينيات أصبح لاحجة لاهل المعاصى فى الاحتجاج بالقدر ومن ظن من الطوائف أن القدر حجة لهم فقد أخطأ وغلط غلطا بينا واقتدى بأهل الكفر الذين حكى اللـه

---

(١) سورة الاسراء : آية : ٣٨ .

(٢) الشوكانى : ولاية اللـه تحقيق د . ابراهيم هلال ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٢٢٨ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ١٥٩ .

(٥) الشوكانى : ولاية اللـه ص ٢٦٩ .

عنهم أنهم قالوا : " لو شاء الله ما أشركنا ، ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء "(١)

يقول ابن الجوزى : جعلوا هذا حجة لهم فى اقامتهم على الباطل ، فكأنهم قالوا : لو لم يرض مانحن عليه ، لحال بيننا وبينه ، وانما قالوا لهم لأنهم تعلقوا بالمشيئة ، وتركوا الأمر ، ومشيئة الله تعم جميع الكائنات ، وأمره لا يعم مراداته ، فعلى العبد اتباع الأمر ، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر(٢) ، فمن احتج بالقدر على المعاصى فحجته داحضة ، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول .(٣)

يقول الشوكانى : لو كان القدر حجة لم يعذب الله سبحانه المكذبين للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وقوم فرعون وغيرهم ، ولم يأمر باقامة الحدود ، ولا يحتج أحد بالقدر الا اذا كان متبعا لهواه بغير هدى من الله ، ومن ظن ذلك فعليه أن لا يذم كافرا ، ولا عاصيا ، ولا يفرق بين من يفعل الخير ومن يفعل الشر ، وهذا خلاف ما تقتضيه عقول العقلاء ، وما تقتضيه كتب الله المنزلة ، وما تقتضيه كلمات أنبياء الله عليهم السلام ، فلا تمسك بعقل ولا شرع(٤) ، فعلى العبد أن يؤمن بالقدر ، وليس له أن يحتج به على الله ، فالايمان به هدى ، والاحتجاج به على الله ضلال وغى ، بل الايمان بالقدر يوجب أن يكون العبد صبارا شكورا .(٥)

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٤٨ .

(٢) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ١٤٥ .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٢٤١ .

(٤) الشوكانى : ولاية الله ص ٢٧٥ .

(٥) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ٢٣٧ .

الارادة الانسانية :

قرر الاسلام أن الانسان خلق مزودا بقوى وملكات ، واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن توجه الى الخير ، كما يمكن أن توجه الى الشر ، فالله تعالى خلق النفس سوّاه ومعتدلة ، قابلة للتقوى والفجور ، ومستعدة للخير والشر ، قال تعالى : " ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها "(١)

يقول الشوكانى : خلقها وسوى أعضاءها ، فألهمها " فجورها وتقواها " أى عرفها وأفهمها حالهما ، وما فيهما من الحسن والقبح ، فعرفها طريق الخير وطريق الشر ـ كما قال : " وهديناه النجدين "(٢) ـ قال ابن زيد : جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى ، وخذلانه اياها بالفجور(٣) ، واختار هذا الزجاج وحمل الالهام على التوفيق والخذلان ، قال الواحدى : هذا هو الوجه لتفسير الالهام ، فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام ، والالهام أن يوقع فى قلبه ويجعل فيه(٤) ، وقال : وهذا صريح فى أن الله خلق فى المؤمن تقواه ، وفى الكافر فجوره فقد فاز من زكى نفسه ، وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفر بكل محبوب ، وخسر من أضلها وأغواها وأخفاها وأخملها ولم يشهدها بالطاعة والعمل الصالح .(٥)

قال ابن الجوزى : فان قلنا : ان الفعل لله ، فمعنى " دساها": خذلها ،

---

(١) سورة الشمس : آية : ١٠ .

(٢) سورة البلد : آية : ١٠ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٩ ص ١٤٠ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٤٤٩ .

(٥) المصدر السابق : نفس الصفحة .

وأخملها ، وأخفى محلها (بالكفر والمعصية) ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح .

وان قلنا : الفعل للانسان ، فمعنى " دساها " : أخفاها بالفجور والمعصية : قال ابن قتيبة : فكأن المتهم بارتكاب الفواحش دس نفسه ، وقمعها ، ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها . (١)

قال ابن كثير : ويحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، وقد خاب من دس الله نفسه ، كما قال ابن عباس . (٢)

وبذلك بين الشوكانى أن الله تعالى أودع فى نفس الانسان خصائص القدرة على ادراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ليختار أيهما شاء ، ففى طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أى الطريقين شاء ، فهو قادر على التمييز بين ماهو خير ، وماهو شر ، وقادر على توجيه نفسه الى الخير والشر على السواء ، وهذه القدرة كامنة فى نفسه ، تارة عبر عنها القرآن بالالهام ، " فألهمها فجورها وتقواها " وتارة بالهداية " وهديناه النجدين" (٣) والآيات القرآنية والتوجيهات النبوية توقظ هذه الاستعدادات وتوجهها ، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقا جديدا ، لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعا ،وكائنة الهاما ، أضف الى ذلك أن الله تعالى خلق فى الانسان قوة مدركة ، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير

---

(١) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٩ ص ١٤٢

(٢) هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع : " أفلحت نفس زكاها الله عز وجل" أخرجه ابن أبى حاتم ولكن اسناده ضعيف أنظر ابن كثير مختصر الصابونى جـ ٣ ص ٦٤٤ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٩ ص ١٤٠ .

فيها ، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح ، ومن ظلم هذه القوة الواعية المدركة وخبأها وأضعفها فقد خاب وخسر ، والله تعالى أعان الانسان بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الايمان ودلائل الهدى .(١)

ولما كانت هذه النفس عرضة للتغيير والتبديل والتأثر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بقوله : " اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها "(٢)

هذا وقد ورد من الآيات القرآنية الكثير مما يقرر حرية الانسان ، واسناد العمل الصالح والعمل السىء له ، وأنه مسئول عن تهذيب نفسه ، واصلاحها ، حتى تصل الى كمالها ، كما تقرر الآيات أن الشرور التى تعرض للانسان انما هى أثر من آثار عمله ونتائج اختياره وتصرفه .

ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : " بل الانسان على نفسه بصيرة "(٣) ، وقوله : " كل نفس بما كسبت رهينة "(٤) ، وقوله تعالى : " كل امرىء بما كسب رهين "(٥) ، وقوله : " من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد "(٦) وقوله : " ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون "(٧)

وقوله تعالى : " ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد "(٨)

---

(١) المصدر السابق : ص ١٤١ .
(٢) الحديث رواه مسلم وأحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .
(٣) سورة القيامة : آية : ١٤ .
(٤) سورة المدثر : آية : ١٨ .
(٥) سورة الطور : آية : ٢١ .
(٦) سورة فصلت : آية : ٤٦ .
(٧) سورة الروم : آية : ٤١ .
(٨) سورة الانفال : آية : ٥٠ ، ٥١ .

قال الشوكانى عن تفسير هذه الآيات الأخيرة : الباء فى قوله : " بما قدمت أيديكم " سببية ، أى أن ذلك واقع بسبب ما كسبتم من المعاصى ، واقترفتم من الذنوب " وأن الله ليس بظلام للعبيد " أى والأمر أنه لا يظلمهم ، لأنه سبحانه قد أرسل اليهم رسله ، وأنزل كتبه ، وأوضح لهم السبيل ، وهداهم النجدين ، كما قال سبحانه : " وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١) " (٢)

قال ابن الجوزى : الله تعالى : لا يظلم عباده بعقوبتهم على الكفر وان كان كفرهم بقضائه ، لأنه مالك ، فله التصرف فى ملكه كما يشاء فيستحيل نسبة الظلم اليه ، (٣) لأنه تعالى الحكم العدل الذى لا يجور ، تبارك وتقدس الغنى الحميد (٤) ، ولهذا جاء فى الحديث القدسى الصحيح : " ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظلموا ، ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه " . (٥)

كما بين الشوكانى أن تبديل نعم الله ، ورفعها ، وانزال العقاب والعذاب محلها راجع الى أسباب هى : كفران نعم الله ، وغمط احسانه ، واهمال أوامره ونواهيه كما قال تعالى : " كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، ان الله قوى

---

(١) سورة النحل : آية : ١١٨ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٣١٨ .

(٣) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ٣٧٠ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ١١٣ .

(٥) الحديث رواه مسلم فى" صحيحه " ٤/١٩٩٤ عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه وأنظر ابن كثير مختصر الصابونى جـ ٢ ص ١١٣ ، وأنظر زاد المسير جـ ٣ ص ٣٧٠ .

شديد العقاب ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم[١] ، "

فهنا أخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه فى حكمه ، بأنه تعالى لا يغير نعمةأنعمها على أحد الا بسبب ذنب ارتكبه ، كصنعة آل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته ، أهلكهم بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التى أسداها اليهم من جنات وعيون ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله فى ذلك بل كانوا هم الظالمين "[٢] .

فكان ذلك العقاب متسبب عن كفرهم ، وتغييرهم ما بأنفسهم من الأحوال والأخلاق ، بكفران نعم الله ، وغمط احسانه ، واهمال أوامره ونواهيه[٣] .

وهذا الذى وضحه الشوكانى مما قررته آيات القرآن هو مايشعر به الانسان من نفسه ، فهو يشعر بأنه يمارس أعماله الارادية بمحض ارادته واختياره ، فلو لم يكن مختارا لما توجه اليه الذم على فعل ماهو ضار ، ولما توجه اليه المدح على فعل ماهونافع .

بل لو لم يكن مختارا لما كان ثمة فرق بين المحسن والمسىء ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اذ لافائدة لهما حيث أن الانسان مسلوب الارادة ،ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد[٤] .

---

(١) سورة الأنفال : آية : ٥٣ .
(٢) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ١١٣ .
(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٣١٨ .
(٤) السيد سابق : العقائد الاسلامية ص ١٠٤ .

وعلى ضوء ماتقدم من رأى الشوكانى والمفسرين من علماء السلف ، فى أن العبد يخلق أفعال نفسه ، وله حرية اختيار يُفرق بين أفعال الله وأفعال العباد ..

أفعال الله تعالى وأفعال العباد :

قد فرق الشوكانى فى قضية أفعال العباد ، تفرقة حاسمة بين كونها مخلوقة ومفعولة للرب ، وبين كونها نفس فعله الذى هو مصدر فعل يفعل فعلا ، اذا قام به الفعل اتّصف به .

فان أفعال العباد هى فعل للعبد حقيقة بمعنى المصدر ، لأنها قائمة به حقيقة ، والعبد متصف بها حقيقة ، لأنه فاعل للظلم ، ومرتكب للشرور ، وليست هذه الأفعال فعلا للرب ، بهذا المعنى ، بل هى مخلوقة له ، مفعولة للعبد ، يقول ابن تيمية : والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والمصلى والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم ارادة ، والله خالقهم وقدرتهم وارادتهم .(١) فمن قال : خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته ، قال : ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ، ومفعولة للرب كسائر المفعولات ، ولم يقل أنها نفس فعل الرب وخلقه ، بل قال : أنها نفس فعل العبد ، وعلى هذا تزول الشبهة ، فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد ، وتقوم به ، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة لغيره .

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى الكبرى جـ ٨ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

ومن هنا يعلم أن تأثير قدرة العبد في مقدورها ، كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها ، فكما أن المسببات لا تحصل الا بأسبابها ، فكذلك أفعال العباد لا تقع الا بقدرتهم ، وقدرة العبد ليست مستقلة في التأثير كسائر الأسباب ، بل تحتاج الى العون وما يدفع العائق . يقول الشوكاني في تفسيره قوله تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين (١) "أعلمهم سبحانه أن المشيئة في التوفيق اليه ، وأنهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه (٢) ، ومثل هذا قوله سبحانه : " وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله " (٣) وقوله : ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ، ماكانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله (٤) " وقوله : " انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (٥) " ، والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة . (٦)

فهنا بين الشوكاني أن مشيئة البشر ليست مستقلة عن مشيئة الله ، فما صح وما استقام لنفس أن تؤمن بالله الا باذنه ، وتسهيله وتيسيره ، ومشيئته لذلك فلا يقع غير ما يشاؤه كائنا ماكان . (٧)

---

(١) سورة التكوير : آية : ٢٩ .

(٢) الشوكاني : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٩٢ .

(٣) سورة يونس : آية : ١٠٠ .

(٤) سورة الانعام : آية : ١١١ .

(٥) سورة القصص : آية : ٥٦ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٩٢ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير جـ ٢ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

يقول ابن كثير فى قوله : " ماكانوا يؤمنوا الا أن يشاء الله (١) " أى أن الهداية اليه لا اليهم بل يهدى ويضل من يشاء وهو الفعال لما يريد " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " لعلمه وحكمته وسلطانه وقهره وغلبته ، وهذه الآية كقوله تعالى : " ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم (٢) " (٣)

فبين سبحانه أن وقوع الايمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاءوا آمنوا ، ومتى شاءوا لم يؤمنوا (٤) .

ومعنى هذا أن الانسان لا يشاء شيئا الا اذا كان فى حدود مشيئة الله وارادته سبحانه .

ولما أطال المتكلمون الخصام فى تفسير الهداية والاضلال ، وفى نسبته الى الله سبحانه ، كان على الشوكانى أن يبين ذلك ويوضحه ويرد على المعتزلة والزيدية ومن نحا نحوهم الذين جعلوا اسناد الاضلال الى الله مجازا .

الهداية والاضلال :

وضح الشوكانى أن الهداية والاضلال نتائج لمقدمات ، ومسببات الأسباب ، فلا يتنافى هذا مع كون العبد مختارا ، وله ارادة ، واسناد الهداية والاضلال الى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه جبر الانسان على الضلالة أو الهداية .

---

(١) سورة الانعام : آية : ١١١ .
(٢) ابن كثير : مختصر الصابونى ج ١٠ ص ٦٠٩ .
(٣) ابن الجوزى : زاد المسير ج ٣ ص ١٠٧ .
(٤) الشوكانى : فتح القدير ج ١ ص ٥٧ .

يقول الشوكانى : قد أطال المتكلمون الخصام فى تفسير الضلال ، وفى نسبته الى اللـه سبحانه ، فصاحب الكشاف اعتمد على عصاه التى يتوكأ عليها فى تفسيره ، فجعل اسناد الاضلال الى اللـه ، من الاسناد المجازى (١) ، وذلك لأن الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق اليها قبيح عنده يتعالى اللـه عنه فى اعتقاده ، ولو فهم قوله تعالى : " فلما زاغوا أزاغ اللـه قلوبهم " (٢) وقوله : " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة " (٣) وما أشبه ذلك من الايات الدالة على أنه تعالى ، انما ختم على قلوبهم وحال بينهم ، وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم فى الباطل وتركهم الحق ، وهذا منه سبحانه حسن وليس بقبيح (٤) .

كما وضح الشوكانى المراد بالختم والغشاوة فى قوله تعالى : " ختم اللـه على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب أليم " (٥) فقال : هما المعنويان لا الحسيان : أى لما كانت قلوبهم غير واعية لما وصل اليها ، والأسماع غير مؤدية لما يطرقها من الآيات البينات الى العقل على وجه غير مفهوم ، والابصار غير مهدية للنظر فى مخلوقاته ، وعجائب مصنوعاته ، جعلت بمنزلة المختوم عليها ختما حسيا ، والمستوثق منها استيثاقا حقيقيا ، واسناد الختم قد احتج به أهل السنة على المعتزلة ، وحاولوا دفع هذه الحجة بمثل ماذكره الزمخشرى فى الكشاف (٦) .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٥٧ .

(٢) سورة الصف: آية : ٥ .

(٣) سورة الانعام آية : ١١٠ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٣٢ .

(٥) سورة البقرة آية : ٧ .

(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٩ .

يقول الشنقيطي رحمه الله في كتابه " دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب " : هذه الآية تدل بظاهرها على أنهم مجبورون ، لأن من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الايمان ، وقد جاء في آيات أخر مايدل على أن كفرهم واقع بمشيئتهم وارادتهم ، كقوله تعالى : " فاستحبوا العمى على الهدى (١) " ، وكقوله : " أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة (٢) " ، وغير ذلك من الآيات .

والجواب : أن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم بالكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم ، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاءً وفاقا ، كما بينه الله تعالى بقوله : " بل طبع الله عليها بكفرهم (٣) " وقوله : ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم (٤) " وقوله : " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (٥) " وقوله : "بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون " الى غير ذلك من الآيات . (٦)

قال الشوكاني عن قتادة في هذه الآية قال : أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يسمعون ، ولا يفقهون ، ولا يعقلون . (٧)

---

(١) سورة فصلت : آية : ١٧ .

(٢) سورة البقرة : آية : ١٦ .

(٣) سورة النساء : آية : ١٥٥ .

(٤) سورة المنافقون آية : ٣ .

(٥) سورة الصف : آية : ٥ .

(٦) الشنقيطي : دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٠ .

(٧) الشوكاني : فتح القدير جـ ١ ص ٤٠ .

قال ابن جرير فى معنى الختم : والحق عندى فى ذلك ما صح نظيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كان نكتة سوداء فى قلبه ز ، فان تاب ونزع واستعتب صقل قلبه ، وان زاد زادت حتى تغلق قلبه (١) " فذلك الران الذى قال الله ـ كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون (٢) " (٣)

قال الشوكانى : قال الفراء : هو أنها كثرت منهم المعاصى والذنوب ، فأحاطت بقلوبهم ، قال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ، قال أبو معاذ النحوى : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين ، والاقفال أشد من الطبع (٤) .

ومن هذه الاخبار نعلم أن الذنوب اذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، واذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من الله سبحانه والطبع ، فلا يكون اليها سلك ولا للكفر منها مخلص ، فذلك هو الختم الذى ذكره الله فى قوله : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم " (٥) ذكره ابن جرير .

---

(١) الحديث رواه الترمذى وقال حديث صحيح ، ولفظ النسائى " أن العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء ، فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فهو الران الذى قال الله تعالى : " كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون " .
الترمذى : جـ ٥ ص ٤٣٤ رقم ٣٣٣٤ . (٢) سورة المطففين : آية : ٤٤ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٤٠ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٤٠٠ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٣٢ وأنظر المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠ .

فيتضح من ذلك أن سبب الاضلال هو الزيغ والخروج عن تعاليم الله ، والكبر والجبروت ، والتعالى على الناس بغير الحق ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، والفساد فى الأرض ، والكفر واقتراف الآثام (١) ٠

وبذلك يتضح أمامنا منهج الشوكانى ومذهبه فى أفعال العباد ، فلم يكن جبريا ، ولا معتزلا ولا مع أحد من الزيدية فى مذهبهم ، بل كان معتدلا مستقيما على طريق السلف الصالح ، معتصما بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، مثبتا للقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى ، ذكر أن للعبد حرية واختيار فى أفعاله ، لكنه لايشاء شيئا حتى يشاؤه الله تعالى ، سائر على مذهب السلف فى مسائلة ودلائله التى سنتكلم عليه بعد قليل ٠

مذهب السلف فى أفعال العباد :

وضحت السلفية مذهبها فى القدر وأفعال العباد ، وهو مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله تعالى هو الخالق لكل شىء من الاعيان والأوصاف والأفعال وغيرها ٠

وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات ، فلا يقع منها الابتلك المشيئة ، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته انما يكون لما علمه منها بعلمه القديم ، ولما كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ ٠

كما توء من السلفية أن للعباد قدرة وارادة تقع بها أفعالهم ، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم ، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء والمدح والمثوبة أو الذم والعقوبة ٠

كما تعتقد السلفية أن نسبة هذه الأفعال الى العباد لا ينافى نسبتها

---

(١) سيد سابق : العقيدة الاسلامية ص ١٠٨ ٠

الى اللـه ايجادا وخلقا ، لانه هو الخالق لجميع الأسباب التى وقعت بها .(١)

فكانت السلفية الذين يمثلون مذهب أهل السنة والجماعة ، واعتصموا وتمسكوا بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، حاكمة ومضللة لكل من خرج على هذا المنهج كالجبرية الذين يقولون بالغاء الحرية الانسانية ، فهؤلاء أثبتوا القدر وقصروا فى الأمر والنهى ، واحتجوا بالقدر على المعاصى والشرور، واتهموا ربهم بالظلم ، وتكاليف العباد بما لاقدرة لهم عليه .

كما ضللت السلفية الذين زاغوا وحادوا عن الصواب كالمعتزلة والزيدية الذين تسموا بأهل العدل والتوحيد ، فأثبتوا الحرية الانسانية المطلقة ، فانكروا بذلك القضاء الازلى ، وأنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .(٢)

كما ناقشت السلفية ما احتج به أهل الجبر والاعتزال فيما ذهبوا اليه ، وبينت ما ينبغى أن يفهم من الآيات التى تسند الفعل الى اللـه مثل قوله تعالى : " فعّال لما يريد "(٣) وقوله : " يضل من يشاء ويهدى من يشاء "(٤) وقوله تعالى : " اللـه خالق كل شىء "(٥) وقوله : " وما رميت اذ رميت ولكن ولكن اللـه رمى "(٦)

وقالوا : نفى اللـه عن نبيه الرمى ، وأثبته بنفسه سبحانه ، فدل على أنه لاصنع للعبد ، وقالوا : والجزاء غير مرتب على الأعمال لقوله صلى اللـه عليه وسلم : " لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول اللـه ،

---

(١) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٦ ، ١٣٧ وأنظر ابن تيمية الارادة والأمر مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص٦ ٣٥ ، ٣٥٧

(٢) محمد السيد الجلنيد : ابن تيمية وقضية التأويل ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
وانظر ابن تيمية : الارادة والامر مجموعة الرسائل الكبرى جـ ١ ص ٣٥٧ .

(٣) سورة البروج : آية : ١٦ .

(٤) سورة النحل : آية : ٩٣ .

(٥) سورة الزمر : آية : ٦٢ .

(٦) سورة الأنفال : آية : ١٧ .

قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل .(١)

كما وضحت السلفية المطلوب من الآيات التى تسند عمل العبد الى نفسه ،واستدل بها المعتزلة والزيدية على الحرية المطلقة للانسان كقوله تعالى : "من يعمل سوء ايجزيه"(٢) وقوله : " اعملوا ماشئتم "(٣) وقوله تعالى : " تبارك اللـه أحسن الخالقين "(٤)

فقالوا : الجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض كماقال تعالى "جزاء بماكانوا يعملون"(٥) وقوله : " وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون "(٦) .

رأت السلفية أن كلا الطائفتين من الجبرية والمعتزلة والزيدية لم تصب الحق الذى كان عليه السلف الصالح ،فأدلة الحق لا تتعارض،لأن الحق يصدق بعضه بعضا ،لذلك فهى ترى أن كل دليل صحيح تقيمه الجبرية ،فانما يدل على أن اللـه خالق كل شىء ، وأنه على كل شىء قدير،وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ،وأنه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار.(٧)

كما أن كل دليل يقيمه القدرى أو المعتزلة والزيدية فانما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مريد له حقيقة ، وأن اضافته ونسبته الى اللـه اضافة حق،ولا يدل على أنه غير مقدور للـه تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته .

فاذا ضم مامع كل منهما من الحق الى حق الأخرى ،فانما يدل ذلك على أن مادل عليه القرآن ،وسائر كتب اللـه المنزلة من عموم مشيئة الله وقدرته لجميع مافى الكون من الأعيان والأفعال ،وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة ،وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم ، وهذا واقع فى نفس الأمر .(٨)

---

(١) الحديث رواه البخارى فى الرقائق ١٨ ،ومسلم فى المنافقين ٧١ ،٧٣ ،٧٥ ، ورواه ابن ماجه فى الزهد ٢٠ ،والدارمى فى الرقائق ٢٤٠ ،وأحمد بن حنبل ٢ / ٢٣٥ ٢٥٦ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٢٣ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ١٤ .

(٤) سورة الاعراف : آية : ٤٢ .

(٥) سورة السجدة : آية : ١٧ .

(٦) سورة الاعراف : آية : ٤٢ .

(٧) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٨) المصدر السابق : ص ٢١٦ .

وبذلك قررت ما دل عليه القرآن والسنة من تعميم ارادة الله سبحانه، واثبات القدرة الانسانية، فان عموم الارادة الالهية والقدرة الكونية وشمولها لكل شئ ثابتة بالنصوص تضافرت عليها، كما أن القدرة الانسانية ثابتة بالنصوص وبالحس والشعور، ولا سبيل لانكار ما ثبت بالنص وما يحس ويشعر به، ولا حجة لمن يحتج بالقدر.

يقول ابن تيمية : ليس لأحد أن يحتج فى الذنوب بقدر الله تعالى، بل عليه ألا يفعلها، واذا فعلها فعليه أن يتوب منها كما فعل آدم، ولهذا قال بعض الشيوخ اثنان أذنبا ذنبا، ابليس وآدم، فآدم تاب فتاب عليه الله، واختاره وهداه، وابليس أصر واحتج بالقدر، فمن تاب من ذنبه أشبه أباه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس (١).

كما يتقرر فيما ذهبت اليه السلفية أن العبد فاعل لكذبه وظلمه وعدله يقول ابن تيمية : من المستقر فى نظر الناس أن من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله، بل الله فاعل ذلك، لزم أن يكون الله المتصف بالكذب والظلم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (٢).

كما وفقت السلفية بين سلطان الله الكامل على كل شئ وعموم ارادته، وبين كون الانسان فاعلا مختارا كما وفقت بين ارادة الله للمعاصى مع النهى عنها، وكذلك وفقت بين عدل الله الكريم وجزائه للمحسن الذى وفق له السبيل الى الخير وعقابه للمسئ الذى حرمه ذلك التوفيق.

يقول ابن تيمية : ان الله خالق الأشياء كلها بالأسباب التى خلقها، والله خلق العبد بارادة وقدرة يكون بها فعله، فالعبد فاعل لفعله حقيقة،

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ١ ص ٢٦٩.

(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل جـ ٥ ص ٣١٦ تحقيق مجموعة من العلماء.

فقول أهل السنة فى خلق الفعل بارادة وقدرة من اللـه كقولهم فى خلق سائر الحوادث بأسبابها .(١)

فان الأشياء التى تعلقت بها ارادة العبد تكون مخلوقة للـه من حيث نسبة كل شىء اليه بالفعل أو بالسبب ، ومن ينكر ذلك فقد أنكر الأسباب ، وان أراد ذات التعلق فذلك باطل لأنه صفة للعبد . يقول ابن تيمية : ان القائل اذا قال : هذه التصرفات فعل اللـه وفعل العبد ، ان اراد فعل اللـه بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين ، وان لراد بها أنها مفعولة مخلوقة للـه كسائر المخلوقات فحق .(٢)

ومن هنا لايوصف اللـه بأنه فاعل للمعاصى ، بل الذى يوصف بها من تعلقت به مريدا مختارا بما خلقه اللـه فيه .

يقول ابن تيمية : اذا كان اللـه قد خلق لون الانسان لم يكن هو المتلون به ، واذا خلق رائحة منتنة أوطعما مرا أوصورة قبيحة ، ونحو ذلك ، لم يكن هو متصفا بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة (٣) ويوضح ذلك ويبينه ابن القيم الجوزية بقوله : تقع الحركة بقدرة العبد وارادته التى جعلها اللـه فيه ، فاللـه سبحانه وتعالى اذا أراد فعل العبد خلق اللـه القدرة والداعى الى فعله ، ويضاف الفعل الى قدرة العبد اضافة المسبب الى سببه ، ويضاف الى قدرة الرب اضافة المخلوق الى الخالق .

فالمقدور واقع الحادثة وقوع المسبب بسببه والسبب والمسبب والفاعل والآلة كله أثر القدرة القديمة ولا تعطل قدرة الرب سبحانه وتعالى عن شمولها

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل جـ ٥ ص ٣١٨ تحقيق مجموعة من العلماء .

(٣) المصدر السابق جـ ٥ ص ٣١٩ .

وكمالها وتناولها لكل شيء ، وليس الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته ، وكل ما سواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته ، ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله سبحانه وتعالى بموجود مخلوق لا خالق له (١) .

كما وفقت السلفية بين ارادة الله المعصية والنهى عنها وعدم تلازم الأمر مع النهى ، فالله تعالى قد يأمر بالشيء ويقع ويكون بارادته ، والذى لا يتلاقى مع المعصية هو المحبة ، فهو سبحانه لا يحب المعاصى ولا يرضاها ، لكن المحبة والرضى يلازمان الأمر ، أما الارادة فهى لا تلازم الأمر ، فالمحبة وصف له سبحانه ، وهى شيء غير الارادة الكونية ، والمحبة هى الارادة الدينية .

يقول ابن تيمية : جمهور أهل السنة من جميع الطوائف يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا ، فيقولون : أنه وان كان يريد المعاصى سبحانه لا يحبها ولا يرضاها ، بل يبغضها ويسخطها ، وينهى عنها ، وهؤلاء يفرقون بين مشيئة الله وبين محبته ، وهذا قول السلف قاطبة (٢) .

كما وفقت السلفية بين عدل الله عز وجل وبين هداية الله للمهتدى ان سار فى طريق الهداية ، وتركه للجاحد من غير هداية ، فانه ليس من الظلم أن يخص الله أحد عبيده بتوفيقه لطريق الخير واعانته عليه اذا اختار سلوكه ، وتركه للجاحد المعاند فى غيه يعمه ، مادام كل منهما مختارا مريدا لما يفعل ، وهو حر شاعر بالحرية .

يقول ابن تيمية : الله تعالى غنى عن العباد انما أمرهم بما ينفعهم ، ونهاهم عما يضرهم ، فهو محسن الى عباده بالأمر لهم ، محسن باعانتهم

---

(١) ابن قيم الجوزية : شفاء العليل ص ، وأنظر تاريخ الجدل ص ١٩٦ لابى زهرة .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢٦٦ ، ومجموعة الرسائل والمسائل جـ ٥ ص ١٥٢ .

على الطاعة ... فان أعان اللـه على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور ، وهو مشكور على هذا ،وان لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى . (١)

كما بينت السلفية في تعليل أفعال اللـه تعالى : أنه تعالى لا يفعل الا الصالح لانه متصف بكل كمال ، والكامل لا يعمل الا الصالح وعلى ذلك لاتنفى السلفية الحكمة في الافعال الالهية والأوامر والنواهي الدينية ، فهي لحكمة يعلمها اللـه الذي خلق كل شيء فأتقن خلقه ، ولا يلزم أن يعلمها كل الناس أو بعضهم ، وانما يعلم كل الناس أو بعضهم من حكمته ما يطلعهم عليه ، وربما يعلمون ذلك ، ويجب الايمان بأن الامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة ، كارسال الرسل عامة ، وارسال محمد صلى اللـه عليه وسلم خاصة كما قال تعالى : " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٢)

فكل ما خلق اللـه سبحانه ، وكل أوامره ونواهيه ، وبعثه الرسل اوشرائعه المنزلة ، كل هذا لنفع الناس ، ودفع الضر عنهم ، وان حصل ضرر بالبعض ، فانه لجلب النفع للمجموع ، أو لدفع ضرر أعظم وأكبر ، يقول ابن تيمية : وان ما حصل من الضرر لهم ، أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع ، كالمطر الذي عم نفعه ، اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين ونحوهم ، وما كان نفعه عاما كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة ، وان تضرر به بعض الناس. (٣)

وكذا القصاص واقامة الحدود وقتل الكفار فانه شر بالنسبة اليهم لا من وجه بل من وجه دون وجه ، وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٦٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية : ١٠٧ .

(٣) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل تحقيق مجموعة من العلماء جـ ٥ ص ٢٩٥ .

الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض ، وكذلك الآلام والأمراض وان كانت شرورا من وجه فهى خيرات من وجوه عديدة ، فالخير والشر من جنس اللذة والألم ، والنفع والضر وذلك فى المقضى المقدر لافى نفس صفة الرب وفعله القائم به ، فان قطع يد السارق شر موء لم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه عدل خير وحكمة ومصلحة (١) .

أفعال العباد عند الزيدية :

تجعل الزيدية كالمعتزلة العدل أصل من أصولها الخمسة ، وتعنى به : أن الله عدل فى جميع أفعاله ، لايظلم ولا يجور ، ولا يكلف الناس فوق ما يستطيعون ، ولم يخلق الظلم ولا الجور ، ولم يرد الظلم والفساد ، ولا يقضى بظلم ولا جور ، ولا فساد ولا معصية ، بل يترك للانسان حرية الاختيار ، وحرية خلق أفعاله ليكون مسئولا عنها ، محاسبا عليها ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وتناقض بذلك الزيدية أقوال المجبرة التى تجعل الانسان ريشة فى مهب الرياح ، لا ارادة لها ولا اختيار ، خاضعة للقضاء والقدر فى كل ما تفعل ، لا حول لها ولا طول ، كل أعمالها استسلام لما تقضى به الاقدار .

يقول الامام الهادى : أنه عدل فى جميع أفعاله ، ناظر لخلقه ، رحيم بعباده ، لايكلفهم مالا يطيقون ، ولا يسألهم مالا يجدون ، وأنه لم يخلق الكفر ، ولا الجور ، ولا الظلم ، ولا يأمر بهما ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يظلم العباد ، ولا يأمر بالفحشاء ، وذلك أنه من فعل شيئا من ذلك أو أراده ، أو رضى به فليس بحكيم ، ولا رحيم (٢) .

---

(١) ابن القيم الجوزية : شفاء العليل ص ٢٦٩ .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٧٢ .

كما تقول الزيدية : أنه عدل حكم لايفعل القبيح كالظلم والعبث والكذب ، ولا يخل بالواجب وأفعاله كلها حسنة (١) ... والله برئ من أفعال العباد (٢) .

وتسير الزيدية فى اثبات هذا الأصل على وفق وهدى منهجها الذى يدعم مسائلها الكلامية بآيات من القرآن الكريم .

كما ذكر الحاكم الجشمى أن قومه ـ الزيدية ـ أجمعوا فى باب العدل على أن الله تعالى منزه عن كل قبيح ، فهو من فعل غيره من العباد ، وأنه لايريد القبيح ولا يرضاه وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأنه أزاح عللهم باعطاء الآلة والقدرة قبل الفعل ، وأنه لايكلف العباد مالايطيقون ، ولا يعذب من غير ذنب (٣) .

وتستدل الزيدية على هذه المسائل بالأدلة النقلية والعقلية :

أما النقلية : فمثل قوله تعالى : " ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى * وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى " (٤) وقوله : " واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى " (٥) وقوله : " قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون * قل أمر ربى بالقسط " (٦)

---

(١) شرح الثلاثين مسألة المخطوط بالمكتبة المركزية ، وأنظر يحى الهادى المنزلة بين المنزلتين ورقة ٧٥ ، وأنظر تاريخ الفرقة الزيدية د . فضيلة عبد الأمير ص ٣٢١ .

(٢) رسائل العدل والتوحيد : جـ ٢ ص ٧١ ، ٧٢ تحقيق د . محمد عمارة .

(٣) د . عدنان زرزور : الحاكم الجشمى منهجه فى التفسير ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) سورة النحل : آية : ٩٠ .

(٥) سورة المائدة : آية : ١٠٦ .

(٦) سورة الأعراف : آية : ٢٨ .

فيقول الزيدية : لايأمر بالعدل ، وهو غير متصف به ، فالعدل والاحسان من اللـه تعالى ، والظلم والعدوان ضمن عمل الشيطان وفعل الانسان ، واللـه من ذلك برىء (١) .

ومن أدلتهم العقلية : قولهم : والدليل على أن اللـه عدل حكم : أن اللـه تعالى عالم بقبح القبيح وغنى عن فعلها وعالم باستغنائه وعن الاخلال بالواجب، وكل من علم قبح القبائح واستغنى عن فعلها وعن الاخلال بالواجب ، فانه لايفعل القبيح ولا يخل بالواجب ، وهذا معلوم بالشاهد عند كل عاقل (٢) .

كما تتفق الزيدية مع المعتزلة فى أن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأن الانسان هو محدث أفعاله ، وفاعلها ، ولا محدث له ولا فاعل سواه ، وذلك أن الفعل يقع من العبد بحسب قصده ودواعيه .

كما تردد الزيدية حجج المعتزلة فى حرية الارادة من كون اللـه ليس خالقا لافعالنا ،والا كان مقدورا بين قدرتين ، ولكان اللـه قادرا بقدرة محدثة ، وفى أن الاستطاعة قبل الفعل وأنها تصلح للضدين (٣) .

كما تفسر الزيدية معنى " القضاء " فى آيات القرآن بمصطلحها الذى ينتهى الى أنه يأتى على ثلاثة وجوه ، بمعنى العلم بما سيكون كما جاء فى قوله تعالى : " وقضينا الى بنى اسرائيل لتفسدن فى الأرض مرتين " الآية (٤) ، وبمعنى الأمر كما فى قوله : "وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه " (٥) ، وبمعنى

---

(١) يحى الهادى : المنزلة بين المنزلتين نقلا عن تاريخ الفرقة الزيدية ص ٣٢٠

(٢) شرح الثلاثين مسألة : المخطوط بالمكتبة المركزية وأنظر القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة تحقيق عبد الكريم عثمان ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٣) د . أحمد محمود صبحى : الزيدية ص ٢٧٩ .

(٤) سورة الاسراء : آية : ٤ .

(٥) سورة الاسراء : آية : ٢٣ .

الخلق والاحداث كما في قوله تعالى : " فقضاهن سبع سموات في يومين " (١)

وقد ذهبت الى هذه المعانى ، لكي لاتقول : أن الله يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها (٢) ، فهذا محال ، باطل من المقال .

كما تستقصى الزيدية معنى " القدر " فى القرآن كما فى قوله تعالى : " وكان أمر الله قدرا مقدورا " (٣) وقوله : " قدرنا بينكم الموت " (٤) وقوله تعالى : " وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه " (٥) .

فنقول : ان قدر الله أمره بالطاعة ، وليس أمره بالمعصية ، والمعصية منسوبة الى العصاة ، لأنهم ارتكبوها بعدما نهاهم عنها (٦) .

وبذلك يصير الانسان وفقا لمفهوم الزيدية خالق لأفعاله ، اختارها بارادته ، لم يخلقها الله ، ولم يفعلها ، اذ لايمكن لله أن يدخل عباده فى سبب من الاسباب أراده ، ثم يعذبهم ويعاقبهم فيه ، ان هذا الا جور الجور من الفعل . (٧)

كما ترى الزيدية أن قبح الاشياء يدرك بواسطة العقل لا بواسطة الشرع ، ويبنون على هذه القاعدة أن الله لايكلف أحدا من عباده مالا يطيقه . (٨)

وتستدل على ذلك بقوله تعالى : " لايكلف الله نفسا الا وسعها " (٩)

فالوسع دون الطاقة ، كما تستدل على ذلك بالعقل : وذلك أن تكليف مالا يطاق قبيح عند كل عاقل ، وكذلك كما يعلم قبح تكليف الضرير نقط

---

(١) سورة فصلت : آية : ١٢ .

(٢) رسائل العدل والتوحيد : تحقيق د . محمد عمارة جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٣) سورة الاحزاب : آية : ٣٨ .

(٤) سورة الواقعة : آية : ٦٠ .

(٥) سورة الفجر : آية : ١٦ .

(٦) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٧٤ .

(٧) المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٨) البحر الزخار : ١/ ٥٩ ، وأنظر رسائل العدل والتوحيد ص ٧٨ .

(٩) سورة البقرة : آية : ٢٨٦ .

المصحف ... ونحو ذلك فهذا معلوم قبحه ، وقد ثبت أن الله لايفعل القبيح (١) .

كما تفرق الزيدية بين أفعال الله وأفعال الانسان . فما كان من فعل الله فليس من أفعال الانسان ، وما كان من أفعال الانسان فليس من أفعال الله ، لأن أفعال العباد تحدث بالحركات والانتقال ، وبذل الجهد ، وتأليف شئ الى شئ أو فعل شئ عن شئ ، سواء بالايدى أو باستخدام أدوات الانتاج ووسائله ، وأفعال الله كائنة عندما يريدها بلا تخيل ولا حركات ولا تأليف شئ الى شئ بالأكف والعمالات (٢) .

وتجهد الزيدية نفسها كى تثبت : أن كل ما يحدثه الانسان فى اطار شروط الحياة التى يعيشها ، انما هو من صنعه وفعله ، وخلقه وابداعه .

وبذلك حددت الزيدية أن كل ما يراه الناس من ثمرات لفعل الانسان فى الحياة ، انما هو من خلقه .

أما المواد الأولية التى استخدمها الانسان ، فى الصنع والخلق ، وكذلك مادة هذا العالم ، وأجرام هذا الكون هى من صنع القوة الالهية (٣) .

وبهذا وضح جليا أن الزيدية آمنت بحرية العباد حرية مطلقة ، ويرون أنهم هم الذين يخلقون أفعالهم ، وأن أفعالهم حسنها وقبحها منهم (٤) . ويستدلون على ذلك بأدلة عقلية ونقلية :

<u>أما النقلية :</u> قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون " (٥)

---

(١) البحر الزخار : جـ ١ ص ٦٣ وأنظر شرح الثلاثين مسألة المخطوط .

(٢) الهادى يحى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة جـ ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٣) المصدر السابق : جـ ٢ ص ٦ — ٩ .

(٤) البحر الزخار : جـ ١ ص ٦٣ وأنظر مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١٤٨ .

(٥) سورة الصف : آية : ٢ .

وقوله : " وتخلقون افكا ... "(١) وذلك يدل على أنها منهم لا من اللـه .

أما العقلية : فيقولون : لو أن هذه الأفعال كانت من اللـه تعالى لم يحسن منه أمرهم بالطاعات ولا نهيهم عن المعاصى ، كما لو أن الوانهم وصورهم لمّا كانت خلقا للـه تعالى فيهم ، لم يحسن أمرهم بشىء منها ولا نهيهم عن شىء منها ، فلما علمنا أن اللـه أمرهم بالطاعات ونهاهم عن المعاصى ، دل ذلك على أن أفعال العباد منهم لا من اللـه تعالى .(٢)

وفى اطار الحرية الانسانية نجد الزيدية قد ناقشت الكثير من القضايا الحيوية ، كقضايا الضلال والهدى ، وما يتبع ذلك من مسائل ، كالطبع والختم، والوقر والأكنة ، والاغراء والاغواء ، وقضايا الاقتصاد والرزق ، وكذلك قضايا الأجال والموت و القتل .

كما ناقشت المقدر والمكتوب ، والمقصود باللوح المحفوظ والكتاب المسطور ، وموضوع القسمة والنصيب وغير ذلك .

كما اعتبرت الزيدية الآيات التى يفيد ظاهرها الجبر ، آيات متشابهة ، ومشت على مذهبها تؤول الآيات تأويلات مختلفة حتى يتسنى لها اثبات مبدأ العدل وحرية الانسان ، وفى كل ذلك تفند آراء الجبرية وتبين ضلالها ، وتنصر مذهب العدل والتوحيد عليها .

فالهداية عند الزيدية :

تنقسم الى قسمين : هدى مبتدأ ، وهدى مكافأة .

أما الهدى المبتدأ : فقد هدى اللـه به البار والفاجر ، وهو العقل ، والرسول ، والكتاب لقوله تعالى : " وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى "(٣)

---

(١) سورة العنكبوت : آية : ١٧ .

(٢) شريف الشيخ صالح : زيد بن على وآراؤه الاعتقادية رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ص ٢٧٨ .

(٣) سورة فصلت : آية : ١٧ .

وأما هدى المكافأة : فيكون بمعنى زيادة البصيرة وتنوير القلب بزيادة العقل ، مصداقا لقوله تعالى : " والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم "(١) .

فهذا جزاء على العمل ومكافأة على الفعل.(٢)

ونفسر الزيدية الضلالة فى قوله تعالى : " يضل من يشاء ويهدى من يشاء "(٣) وفى قوله : " ويضل الله الظالمين "(٤) وأمثالهما بمعنى : أن الله يوقع عليهم اسم الضلالة ويدعوهم به بعد العصيان والطغيان ، لا أنه يغويهم عن الصراط المستقيم كما أغوى وأضل فرعون قومه بدليل تكملة الآية : " كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون "(٥) .

والفتنة تقع عندهم بمعنى المحنة كما فى قوله تعالى : " ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء . . . "(٦) أى ان هى الا محنتك توقع اسم الضلال على من ضل بعد هذه المحنة ، كما تقع الفتنة بمعنى الاختبار ، وتقع بمعنى الاضلال ، وبمعنى العذاب فى قوله تعالى : " يوم هم على النار يفتنون "(٧)

وفى قضية الأرزاق : رأت الزيدية : أن الحلال الذى يحل للانسان تناوله والتمتع به هو رزق الله لهذا الانسان ، وقدره له وقضى له به ، أما الحرام

---

(١) سورة محمد : آية : ١٧ .

(٢) يحى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة جـ ١ ص ٩٦ .

(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

(٤) سورة ابراهيم : آية : ٢٧ .

(٥) سورة الأنعام : آية : ١٢٥ .

(٦) سورة الرعد : آية : ٦ .

(٧) سورة الذاريات آية : ١٣ .

الذى ليس من حقه فهو اغتصاب ، وسرقة حدثت من الانسان دون قضاء من الله بها أو تقدير .(١)

وفى قضية الآجال : اعتقدت الزيدية أن موت الانسان موتا طبيعيا يأتى لأجل حدده الله وقضاه ، أما موته بالقتل أو الانتحار فهو اقترفه الانسان ضدّ أخيه الانسان أو ضدّ نفسه ، لم يقض الله به ، وانما نهى عنه وحذر مرتكبه العقاب الشديد ، وفى ذلك تقول الزيدية : ان الله حين نهى عن قتل الانسان لأخيه الانسان ، وعن قتل نفسه ، كان يعلم أن الانسان قادر على القيام بهذا العمل ، والا لما كان النهى عن أعمال لا يستطيع الانسان عملها أو اثباتها أىّ معنى ، وقد فرق الله فى القرآن بين القتل والموت ، فكان القتل من عباده ، والموت من الله عز وجل حتما .(٢)

وهكذا تبنى الزيدية على رأيها فى قوله تعالى : "وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون "(٣) أن الله خلق العباد للعبادة ، ولم يخلقهم للمعصية ، ويبنون على ذلك أن الله عز وجل لم يقض بالمعاصى ولم يقدرها لأنها جور باطل ، والله لم يقض جورا وباطلا ، مستدلين بقوله تعالى : "ان الحكم الا لله يقص الحق "(٤) فهم يقولون : أن الأنبياء يكرهون المعاصى من العباد ، والشياطين يريدونها ، فلو كان الله تعالى يريدها من العباد لكان الأنبياء قد خالفوا مراد الله .(٥)

وغاية ما انتهى اليه الزيدية فى عدل الله تعالى ، أن الله لا يفعل القبيح ولا يختاره ، وأنه لا يخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله

---

(١) المصدر السابق : جـ ٢ ص ١٤ - ١٦ .
(٢) الهادى : رسائل العدل والتوحيد جـ ٢ ص ١٦١ - ١٦٨ .
(٣) سورة الذاريات : آية : ٥٦ .
(٤) سورة الأنعام : آية : ١٥٧ .
(٥) شرح الثلاثين مسألة ،وكتاب العدل والتوحيد ونفى الشبه عن الواحد المجيد .

كلها حسنة ، ويرتبون على ذلك القول : أن العبد هو الخالق لأفعاله لا الله عز وجل .

وقد أطلت فى بيان آراء الزيدية فى مسألة أفعال العباد ، وأطنبت فى سرد أقوالهم وأدلتهم النقلية والعقلية ليعرف من لم يعرف عنهم هذا المعتقد الفاسد الذى خالفوا به ماكان عليه سلف الأمة الصالح ، والآن نناقش هؤلاء الزيدية بين يدى الشوكانى والسلفية .

مناقشة الشوكانى للزيدية :

سبق أن بينت أن الزيدية مشت وراء المعتزلة ، فأثبتوا الحرية الانسانية المطلقة ، وقالوا : لا يجوز أن يكون الظلم والشرور والآثام مراد لله ، ولا مخلوقة له لأن ذلك قبيح ، والله منزه عن القبيح ، فأنكروا بذلك القضاء الأزلى ، وأنه ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وفرقت بين أفعال الله وأفعال الانسان ، فما كان من فعل الانسان فليس من أفعال الله ، فرأت أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم حسنها وقبيحها ، ورأت أن قبح الأشياء وحسنها يدرك بواسطة العقل ، فبنت على هذه القاعدة أن الله لا يكلف أحدا من عباده مالا يطيقه ، لأن هذا معلوم قبحه ، والله لا يفعل القبيح .

وتكلمت فى قضايا الضلال والهدى ، والآجال والأرزاق ، واعتبرت الآيات التى يفيد ظاهرها الجبر آيات متشابهات ، فأولت الآيات التى تتعارض فى نظرهم مع الحرية الانسانية ، وذهبت بها كل مذهب حتى تتفق وتتسق مع منهجها الكلامى وأصولها الخمسة .

واجه الشوكانى جميع أقوال الزيدية المعتزلة فى مبدأ العدل وحرية الانسانية مواجهة السلف لأهل الكلام والجهمية والجبرية والمعتزلة ، وناقش أقوالهم ، ونقد مسالكهم على ضوء منهج القرآن والسنة ، مبينا أن أدلة الحق لا تتعارض لأنه يصدق بعضه بعضا .

مناقشة الشوكانى للزيدية :

وستكون المناقشة بين الشوكانى والزيدية فى عدة مقاصد :

أولا : فى أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى :

وقالت الزيدية والمعتزلة : أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة العبد وحدها فيقولون : " ان الله عدل حكم لا يفعل القبيح كالظلم والعبث والكذب ، ولا يخل بالواجب ، وأفعاله كلها حسنة (١) . . . والله برىء من أفعال العباد (٢) " وذلك لأن الله منزه عن كل قبيح فهو من فعل غيره من العباد وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم ، وأنه أزاح عللهم باعطاء الآلة والقدرة (٣) ، كما بينت ذلك بالتفصيل فيما سبق أنظر ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢ .

ويرى الشوكانى كما ترى السلفية أن هؤلاء الزيدية والمعتزلة ماأصابوا ماكان عليه سلف الأمة فى الايمان بالقدر ، الذى يتضمن الايمان بعموم مشيئة الله تعالى ، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصى واقعة بتلك المشيئة العامة ، كما يتضمن الايمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها مخلوقة له لا خالق لها سواه كما قال تعالى : " والله خلقكم وما تعملون (٤) " (٥)

يقول الشوكانى : " ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له تعالى ، يخرجها من العدم الى الوجود بمقدار كيف يشاء (٦) " كما أن كل شىء

---

(١) شرح الثلاثين مسألة : المخطوط بالمكتبة المركزية ، وأنظر يحى الهادى المنزلة بين المنزلتين ورقة ٧٥ .

(٢) رسائل العدل والتوحيد : جـ ٢ ص ٧١ ، ٧٢ تحقيق د . محمد عمارة .

(٣) د . عدنان زرزور ـ الحاكم الجشمي ومنهجه فى التفسير جـ ص ١٨٠-١٨١

(٤) سورة الصافات : آية : ٩٦ .

(٥) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ١٢٦ .

من الأشياء خلقه الله متلبسا بقدر قدره ، وقضاء قضاه ، سبق فى علمه ، مكتوب فى اللوح المحفوظ (١) ، ومعنى ذلك أن مشيئته تعالى متناولة لكل موجود ، فلا خروج لكائن عن مشيئته ، كما لا خروج له عن علمه ، وكل موجود خلقه ، وايجاده وتكوينه بقدرة الله ، فانه لا خالق الا الله ،والله خالق لكل شيء .

كما أن نفى القدر واخراج أفعال العباد عن قدرة البارى ، وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن فى ربوبية المعبود وملكوته ، ونسبته الى العجز ، ووصفه بما لا يستحق الالهية ولا يتصف بها مما لا يبدىء ولا يعيد ولا يغنى عنك شيئا ، تعالى ربنا وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون . (٢)

فأفعال العباد التى صاروا بها مطيعين وعصاه ، هى مخلوقة لله تعالى ، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه . (٣)

وعلى ذلك يكون المذهب الحق الذى كان عليه السلف واعتنقه الشوكانى ودافع عنه ضد المبتدعين هو الايمان بالقدر خيره وشره من الله . وشمول قدرة الله وارادته ، وأن الله خلق سبحانه العبد ، وكل ما فيه من قوى ، وأن العبد يفعل ما يشاء بقدرته ومشيئته . يقول ابن تيمية فى ذلك : ومما ينبغى أن يعلم أن مذهب سلف الأمة مع قولهم : الله خالق كل شيء ، وأنه خلق العبد هلوعا اذا مسّه الشر جزوعا واذا مسّه الخير منوعا ونحو ذلك - أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة ، قال تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم وماتتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين " (٤) وقال : " ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ،

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ١٢٩ .

(٢) الحكمى : معارج القبول جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية شرح د . محمد خليل هراس ص ١٠٩

(٤) سورة التكوير : آية : ٣٠ .

وما تشاءون الا أن يشاء الله[1]"[2]

وبهذا تعمم ارادة الله ، وتثبت القدرة للانسان، وعموم الارادة الالهية والقدرة الكونية وشمولها لكل شيء ثابت بالنصوص التى تضافرت على اثباتها . كما أن القدرة الانسانية ثابتة بالحس والشعور ، ولا سبيل لانكار ذلك ، وليس لأحد أن يحتج فى الذنوب بقدر الله تعالى بل عليه أن لا يفعلها واذا فعلها فعليه أن يتوب منها ، كما فعل آدم ، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس[3]" .

ثانيا : أنه تعالى مريد لجميع الكائنات غير مريد لما لا يكون :

أما أنه مريد للكائنات ، فلأنه خالق الأشياء كلها . قال تعالى : " الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين[4]" وكل ما فى الوجود من حركة وسكون بقضائه ، وقدره ، وارادته وخلقه ، وهو سبحانه أمر بالعدل والاحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وهو يكره ما نهى عنه[5] ، والمراد بالمكروه عند الله ، هو الذى يبغضه ، لا أنه غير مراد مطلقا ، لقيام الأدلة القاطعة ، على أن الأشياء واقعة بارادته سبحانه[6] ، وهذه مقالات أهل الحق .

وقالت الزيدية بالاجماع فى باب العدل : على أن الله تعالى منزه عن كل قبيح ، فهو من فعل غيره من العباد ، وأنه لا يريد القبيح

---

(١) سورة الانسان : آية : ٣٠ .
(٢) ابن تيمية : الرسائل والمسائل ص ١٤٢ .
(٣) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ١ ص ٢٦٩ .
(٤) سورة الاعراف : آية : ٥٤ .
(٥) الشوكانى : ولاية الله ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ٣ ص ٢٢٨ .

ولا يرضاه ، وقد ذهبت الى هذه المعانى ، لكى لا تقول : أن الله يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، فهذا محال باطل من المقال .[1] ولذلك تقول الزيدية : ان قدر الله أمره بالطاعة ، وليس أمره بالمعصية ، والمعصية منسوبة الى العصاه ، لأنهم ارتكبوها بعد ما نهاهم عنها .[2]

وعلى ذلك لا يمكن لله أن يدخل عباده فى سبب من الأسباب أراده ، ثم يعذبهم ويعاقبهم فيه ، ان هذا الا جور الجور من الفعل .[3]

فهم على ذلك كالمعتزلة تماما ، الذين قالوا ليس الكفر مرادا لله ، فلو كان مرادا لله ، لكان فعله موافقة لمراد الله تعالى ، فيكون طاعة ، مثابا به ، وأنه باطل ضرورة[4] ، كما تقول : ولو كان الكفر مرادا لله تعالى ، لكان واقعا بقضائه ، والرضا بالقضاء واجب ، فكان الرضا بالكفر واجب .[5]

ويرد على هؤلاء الزيدية بمقالات أهل الحق :

يقول الشوكانى : ماخلقه الله وقدره وقضاه فهو يريده ، وان كان لا يأمر به ولا يحبه ولا يرضاه ولا يثيب عليه ، ويكون ما أمر به وأحبه وشرعه ورضيه ، وأحب فاعله وأثابهم عليه ، فهو يحبه ويرضاه .[6]

---

(١) رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة جـ ٢ ص ١٠٨ .

(٢) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٧٤ .

(٣) المصدر السابق

(٤) المواقف للايجى : ص ٣٢١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٢٢ .

(٦) الشوكانى : ولاية الله ص ٢٦٩ (بتصرف) .

فالارادة الكونية ، والأمر الكونى : هى مشيئته لما خلقه من جميع مخلوقاته انسهم وجنهم ، مسلمهم وكافرهم ، حيوانهم وجمادهم ، ضارهم ونافعهم ، أما الارادة الدينية والأمر الدينى : فهى محبته المتناولة لجميع ما أمر به وجعله شرعا ودينا .(١)

والعصاة الذين قالوا : لو لم يرض مانحن عليه - من المعاصى والشرك لحال بيننا وبينها ، لا حجة لهم لأنهم تعلقوا بالمشيئة ، وتركوا الأمر ، ومشيئة الله تعم جميع الكائنات ، وأمره لا يعم مراداته ، فعلى العبد اتباع الأمر ، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر .(٢)

فيعلم من ذلك أن مشيئة الله عامة نافذة ، وأنه ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وهو الذى وفق أهل الطاعة لطاعته ، فأطاعوه ، ولو شاء لخذلهم فعصوه ، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم ، فانه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به ، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه .(٣)

وعلى ذلك يكون لا منافاة بين ماثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء ، وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهى ، فان تلك المشيئة لا تنافى حرية العبد واختياره للفعل ، ولهذا جمع الله تعالى بين المشيئتين بقوله تعالى : " لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين ".(٤)

---

(١) المصدر السابق

(٢) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ١٤٥ .

(٣) الحكمــــى : معارج القبول جـ ٢ ص ٢٩٣ .

(٤) سورة التكوير : آية : ٢٩ .

ثالثا : وفى اطار الحرية الانسانية نناقش الزيدية فى عدة قضايا :

مثل : الضلال والهدى ، وما يتبع ذلك من مسائل ، كالطبع والختم ، والرزق ، والآجال والموت والقتل ، وغير ذلك ، وما ورد فى ذلك من آيات تؤولها تأويلا يتسنى لها به اثبات مبدأ العدل وحرية الانسان واستقلاله بأفعاله .

فتقسم الهدى : الى هدى مبتدأ ، متمثلا فى العقل والرسول والكتاب ،

وهدى مكافأة : بمعنى زيادة البصيرة وتنوير القلب بزيادة العقل ، مصداقا لقوله تعالى : " والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم " (١) فهذا جزاء على العمل ومكافاة على الفعل (٢)

كما تفسر الضلالة فى قوله : " يضل من يشاء ويهدى من يشاء " (٣) وأمثالها بمعنى : أن الله يوقع عليهم اسم الضلالة ، لا أنه يغويهم عن الصراط المستقيم ، وتقع الفتنة بمعنى الاختيار ، وبمعنى المحنة ، وبمعنى الاضلال ، وبمعنى العذاب . (٤)

وفى قضايا الرزق : ترى أن الحلال هو رزق الله ، والحرام اغتصاب وسرقة من الانسان دون قضاء من الله بها أو تقدير . (٥)

وهكذا تبنى الزيدية على ذلك أن الله عز وجل لم يقض بالمعاصى ،

---

(١) سورة محمد : آية : ١٧ .

(٢) يحي بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٩٦ .

(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

(٤) رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ٣٧ .

(٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤ — ١٦ .

ولم يقدرها لأنها جور باطل والله لم يقض جورا وباطلا .(١)

ويرد على هؤلاء الزيدية بمقالات أهل الحق :

وضح الشوكانى مقالته فى الرد فبين : أن الهداية والاضلال نتائج لمقدمات ، ومسببات لأسباب ، فلا يتنافى هذا مع كون العبد مختارا ، وله ارادة ، وأن اسناد الهداية والاضلال الى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه جبر الانسان على الضلالة أو الهداية .

يقول الشوكانى : قد أطال المتكلمون الخصام فى تفسير الضلال ، وفى نسبته الى الله سبحانه ، فجعلوا اسناد الاضلال الى الله ، من الاسناد المجازى ،(٢) وذلك لأن الختم على القلوب ومنعها من وصول الحق اليها قبيح عندهم ، يتعالى الله عنه فى اعتقادهم .

ولو فهموا قوله تعالى : " **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** "(٣) وقوله : " **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** "(٤) وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى ، انما ختم على قلوبهم وحال بينهم ، وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم فى الباطل وتركهم الحق ، وهذا منه سبحانه حسن وليس قبيح .(٥)

---

(١) شرح الثلاثين مسألة ، وكتاب العدل والتوحيد ونفى الشبه عن الواحد المجيد .

(٢) ذكر ذلك الزمخشرى فى الكشاف وبينته فى أول هذا الفصل ، أنظر فتح القدير جـ ١ ص ٥٧ .

(٣) سورة الصف : آية : ٥ .

(٤) سورة الانعام آية : ١١٠ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٣٢ .

فاسناد الختم الى اللـه قد احتج به أهل السنة على المعتزلـة ، وحاولوا دفع هذه الحجـة بمثل ما ذكره الزمخشرى فى الكشاف (١) .

وما ذهبت اليه الزيدية كالمعتزلة فى اسناد الهدى والضلال وما يتبع ذلك من الختم والطبع والغشاوة الى اللـه قبح عندهم ليس بصحيح ، وذلك لأن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على أسماعهم وأبصارهم وقلوبهـم ، عقاب من اللـه لهم على مبادرتهم للكفر ، وتكذيبهم الرسل باختيارهـم ومشيئتهم ، فعاقبهم اللـه لعدم التوفيق كما بينه اللـه تعالى بقولـه : " **بل طبع اللـه عليهـا بكفرهم** " (٢) وقوله تعالى : " **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم** " (٣) وقوله تعالى : " **بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون** " (٤) الى غير ذلك من الآيات (٥) .

يقول الشوكانى عن قتادة قال : أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهـم فختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، فهم لا يبصرون هدى ، ولا يسمعون ولا يفقهون ، ولا يعقلون (٦) .

وهؤلاء قد سدت عليهم أبواب الهدى الذى يدخل على العبد من ثلاثة أبواب : مما يسمعه بأذنه ، ويراه بعينه ، ويعقله بقلبه (٧) .

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٣٩ .
(٢) سورة النساء : آية : ١٥٥ .
(٣) سورة المنافقون آية : ٣ .
(٤) سورة المطففين آية : ١٤ .
(٥) الشنقيطى : دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٠ .
(٦) الشوكانى : فتح القدير جـ ١ ص ٤٠ .
(٧) ابن قيم الجوزية : التفسير القيم ص ١١٥ .

فما تقوله الزيدية والمعتزلة : من أن الله عز وجل عدل بمعنى لايظلم ، وأن أفعاله كلها حسنة فهذا صحيح ، وليس معنى هذا أن العبد هو الذى يستقل بخلق أفعال نفسه بل الله هو خالق أفعال العباد لقوله تعالى : " الله خالق كل شئ " (١) ، " والله خلقكم وما تعملون " (٢) ، وأن العبد فاعل لفعله ومريد له ومختار ، لقوله تعالى : " جزاء بما كانوا يعملون " (٣) وهذا هو مذهب السلف. (٤)

وبناء على ذلك لايلزم من اعطاء العبد قدرة على مباشرة الفعل ليقوم به حقيقة أن يكون الله تعالى ظالما للعبد أو فاعلا للقبيح .

يقول ابن تيمية : والقدرية يقولون : لو كان الله خالقا لافعال العباد كان ظالما فاعلا لما هو قبيح ، أما كون الفعل قبيحا من فاعله ، فلا يقتضى أن يكون قبيحا من خالقه ، كما أن أكلا وشربا لفاعله لايقتضى أن يكون كذلك لخالقه ، لأن الخالق خلقه فى غيره كما أنه اذا خلق لغيره لونا وريحا وقدرة وعلما كان ذلك الغير هو المتصف بذلك اللون والريح والحركة والقدرة والعلم . (٥)

ومن ذلك يعلم أن ما يعتمد عليه الزيدية من أن الهداية والضلال والاغواء والفتنة والسرقة وقتل النفس أو غيره ، وما الى ذلك من المعاصى هى من العبد لا من الله تعالى فهى ليست حجة لهم ، لكن نقول : أن كل دليل صحيح يقيمه الزيدية والمعتزلة فى ذلك انما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مريد له ومختار وأن اضافته ونسبته

---

(١) سورة الزمر : آية : ٥ .

(٢) سورة الصافات آية : ١٠٦ .

(٣) سورة الواقعة آية : ٢٤ .

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة جـ ١ ص ٢١٤ وأنظر ابن أبى العز شرح الطحاوية ٤٩٤ .

(٥) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢١٣ .

اليه اضافة حق ، ولايدل على أنه غير مقدور لله ، وأنه وقع بغير مشيئته وقدرته ، وقد دل على ذلك القرآن من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع مافى الكون من الأعيان والأفعال ، وأن العباد فاعلون لافعالهم حقيقة ، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم (١) ، فانه لامنافاة بين كون العبد محدثا لفعله ، وكون هذا الاحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى : " **ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها** " (٢) فقوله : " **فألهمها فجورها وتقواها** اثبات للقدر لقوله : " **فألهمها** " واثبات لفعل العبد باضافة الفجور والتقوى الى نفسه ، ليعلم أنها هى الفاجرة والمتقية ، وقوله بعد ذلك : " قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها " (٣) اثبات أيضا لفعل العبد ، ونظائر ذلك كثيرة (٤) .

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د ٠ عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص٢١٦
(٢) سورة الشمس : آية : ٧ ـ ٨ ٠
(٣) سورة الشمس : آية : ٩ ـ ١٠ ٠
(٤) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د ٠ عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٣٠

الفصل السابـــــــع

روءية اللــــــــه تعـالى

موقف الشوكاني من روءية اللـه تعالى :

* **أولا** : اثبات الروءية بقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الــى ربهـا ناظرة " أقوال الشوكانى وجمهور العلماء فيهـا •

* **ثانيا** : اثبات الروءية بقوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنـى وزيادة " وما ورد فيها من الروايات •

* **ثالثا** : موقف الشوكانى من نفاة الروءية فى احتجاجهم ببعـــض الآيـــات :

ـ احتجاجهم بقوله تعالى : " لا تدركه الأبصار " والرد عليهم•

ـ احتجاجهم " " لموسى عليه السلام : " لن ترانـى " والرد عليهــم •

موقف السلفية من الروءية :

* **أولا** : سياق مافسر من الآيات فى الروءية بالرواية •

* **ثانيا** : سياق ماروى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين رضى اللـه عنهم •

* **ثالثا** : ما روى عن الصحابة رضى اللـه عنهم فى " الروءية " •

موقف الزيدية من الروءية :

مناقشة الشوكاني والسلفية " للزيدية " والرد على شبه المنكرين :•

* **أولا** : الشبه السمعية والجواب عنها •

* **ثانيا** : الشبه العقلية والرد عليهـا •

موقف الشوكانى من رؤية الله تعالى :

لقد وضع الشوكانى أمام عينيه الكتاب والسنة ، وجعلهما مقياسا لكل ما يقبل أو يرفض من الأقوال ، فما وافق الكتاب والسنة قال به ، وما خالفهما شدد القول فى الانكار عليه .

ولقد عاش الشوكانى فى قطر ازدحمت فيه عقول الزيدية بمبادئ الاعتزال ، وأفكار المبتدعين فنادى بمحاربة كل رأى يراه خارجا عن أصول الكتاب والسنة .

وجد الزيدية تابعت المعتزلة ، وفعلت فعلتها بنصوص الكتاب والسنة فى اثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة ، فنفتها بناء على نفيهم الجهة وصفة العلو عن الله تعالى ، لأن المرئى يجب أن يكون فى جهة من الرائى ، وما دامت الجهة مستحيلة ، وهى شرط فى الرؤية ، فالرؤية كذلك مستحيلة (١) ، محتجين بقوله تعالى : " **لا تدركه الأبصار** " (٢) وقوله لموسى عليه السلام حين سأله الرؤية : " **لن ترانى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى** " (٣) . كما سيأتى لذلك زيادة بيان عند الكلام على أقوال الزيدية فى الرؤية .

وبغير احاطة ولا كيفية ، كما نطق القرآن الكريم أثبت الشوكانى بالنصوص الصريحة والأدلة القاطعة رؤية الله تبارك وتعالى بقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٤) وبقوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٥) وبقوله : " لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد " (٦) .

---

(١) على محمد زيد : معتزلة اليمن ص ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٢) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .
(٣) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .
(٤) سورة القيامة : آية : ٢٢ - ٢٣ .
(٥) سورة يونس : آية : ٢٦ .
(٦) سورة ق : آية : ٣٥ .

وبقوله تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "(١) وغير ذلك من الآيات الدالة على الروءية ، كما سيتضح لنا من تفسير الشوكانى وجمهور العلماء المثبتين للروءية بهذه الآيات :

أولا : قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " التى هى من أظهر الدلائل : قال الشوكانى : " وجوه يومئذ ناضرة " أى مضيئة مشرقة " الى ربها ناظرة " هذا من النظر الى خالقها ، ومالك أمرها " ناظرة " : أى تنظر اليه ، هكذا قال جمهور أهل العلم (٢) ·

وهذه الروءية التى يختص بها أولياء الله يوم القيامة ، ويحجب عنها جميع أعدائه كما أعلم فى قوله : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " قال الشافعى : لما حجب هوءلاء فى حال السخط دل على أن هوءلاء يعنى الموءمنين يرونه فى حال الرضى (٣) ·

فهذه الروءية حق لا شك فيها ، والأحاديث فيها صحاح (٤) قال الشوكانى : والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة : من أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر (٥) ، قال ابن كثير : " الى ربها ناظرة " أى تراه عيانا ، كما رواه البخارى فى صحيحه : " أنكم سترون ربكم عيانا " (٦) وقد ثبتت روءية الموءمنين لله عز وجل

---

(١) سورة المطففين : آية : ١٥ ·

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٨ ·

(٣) ابن خزيمة : التوحيد ص ١٨٠ ·

(٤) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٨ ص ٤٢٢ ·

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٨ ·

(٦) الحديث من رواية جرير بن عبد الله " أنكم سترون ربكم عيانا ـ الحديث فى البخارى ٩/١٢٧ (كتاب التوحيد) وفى مسلم ١/١٦٤ كتاب

===

فى الدار الآخرة ، فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لايمكن دفعها ولا منعها (١) ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين ، وسلف الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام وهداة الانام . (٢)

وقد رد الشوكانى على من فسر النظر بمعنى الانتظار الى مالهم عند الله من الثواب ، الذى قالت به زيدية ومعتزلة وغيرهم من النفاة ، فقمعهم . يقول الأزهرى : ان هذا القول خطأ ، لأنه لايقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار ، وأن قول القائل : نظرت الى فلان فليس الا رؤية عين كما قال الشاعر :

نظرت اليها والنجوم كأنها ٥٥ مصابيح رهبان تشب لقفال

واشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة . (٣)

فاضافة النظر الى الوجه ، الذى هو محله فى الآية ، وتعديته ، كما قال الشوكانى وذكره عن الأزهرى بأداة " الى " الصريحة ، فى نظر العين ، واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ، حقيقة موضوعة صريحة ، فى أن الله اراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله . (٤)

يقول ابن أبى العز فى شرح الطحاوية : ان النظر له عدة اعتبارات ، بحسب صلاته وتعديه بنفسه : فان عدى بنفسه ، فمعناه التوقف والانتظار كقوله : أنظرونا نقتبس من نوركم " (٥) وان عدى بـ "فى" فمعناه : التفكير

=== الايمان) وفى سنن أبى داود ٤ / ٢٣٣ _ ٢٣٤ (كتاب السنة) وفى سنن ابن ماجه ١ / ٦٣ .

(١) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٣ ص ٥٧٦ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٨ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٩

(٤) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٩٥

(٥) سورة الحديد : آية : ١٣ .

والاعتبار ، كقوله : "أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" (١) وان عدى بـ" الى " فمعناه : المعاينة بالأبصار ، كقوله تعالى : " أنظروا الى ثمره اذا أثمر " (٢) ، فكيف اذا أضيف الى الوجه الذى هو محل البصر ؟ (٣)

قال الرازى : ان النظر الوارد بمعنى الانتظار كثير فى القرآن ، ولكنه لم يقرن البتة بحرف الى ، والذى ندعيه أن النظر المقرون بحرف الى المعدى الى الوجوه ليس الا بمعنى الرؤية ، فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار . (٤)

فالنظر بمعنى الانتظار كما يقوله النفاه من الزيدية والمعتزلة كما بينه الشوكانى وجمهور العلماء مردود لانه لايتعدى بالى بل بنفسه ، وبأنه لايسند الى الوجه ، فلا يقال وجه زيد منتظر ، والمتبادر من الاسناد ، اسناد النظر الى الوجوه الحقيقية . (٥)

وكما أثبت الشوكانى عن طريق الدراية ما يثبت ويحقق اثبات رؤية الله تعالى ، بين كذلك عن طريق الرواية عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بما لايدع مجالا للنفاة فى اثبات هذه الرؤية .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : " الى ربها ناظرة " قال نظرت الى الخالق (٦) ، وعن الضحاك : " الى ربها ناظرة " قال : ناظرة

---

(١) سورة الأعراف : آية : ١٨٤ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٩٩ .

(٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٩٦

(٤) الرازى : تفسير مفاتيح الغيب جـ ١٥ ص ٢٢٨ .

(٥) الالوسى : روح المعانى جـ ٢٩ ص ١٤٧ .

(٦) أخرجه ابن المنذر والاجرى فى الشريعة والالكائى فى السنة ، والبيهقى فى الرؤية عن ابن عباس أنظر الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ ، وأنظر السيوطى فى الدر المنثور جـ ٨ ص ٣٤٩ .

الى وجـه اللـه (١) ، وعن عكرمة قال : تنظر الى اللـه نظرا (٢) ، وعن أنس ابن مالك : قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " وجوه يومئـذ ناضرة الى ربهـا ناظرة " قال : ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حـد محدود ، ولا صفـة معلومة (٣) .

كما أثبت الشوكانى روءية اللـه تعالى بما تواتر من الأحاديث الصحاح التى يدفع بها فى وجوه المنكرين والنفاةالمعطلين قال الشوكانى : انأحاديث الروءية متواترة ، ولم يتمسك من نفاها واستبعدها بشئ يصلح للتمسك بـه لا من كتاب اللـه ولا من سنة رسوله صلى اللـه عليه وسلم (٤) .

ومن هذه الأحاديث ماذكره الشوكانى عن أبى هريرة رضى اللـه عنـه قال : " قال الناس : يارسول اللـه هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : " هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول اللـه ، قـال : فهل تضارون فى القمر ليلة البدر ، ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يارسـول اللـه ، قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك " (٥)

ومنها ماذكره أيضا عن ابن عمر رضى اللـه عنهما قال : قال رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظـر الـى

---

(١) أخرجه ابن المنذر عن الضحاك أنظر المصادر السابقة .

(٢) أخرجه ابن المنذر والآجرى واللالكائى والبيهقى عن عكرمة . انظرالدر المنثور جـ ٨ ص ٣٤٩ ، وأنظر

(٣) أخرجه ابن مردوية عن أنس بن مالك أنظر فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ والدر المنثور جـ ٨ ص ٣٤٩ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ .

(٥) الحديث أخرجه عبد الرزاق وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخارى ومسلم، والنسائى ، والدارقطنى فى الروءية ، والبيهقى فى الاسماء والصفات

===

جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة ، وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " ، وأخرج أحمد فى المسند من حديثه بلفظ : " ان أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين " (١) .

وفى الصحيحين " عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال : " انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا " (٢)

كما ذكر الشوكانى ما أخرجه النسائى والدارقطنى وصححه أبو نعيم عن أبى هريرة قال : " قلنا يارسول الله : هل نرى ربنا ، قال : هل ترون

== عن أبى هريرة أنظر الدر المنثور جـ ٨ ص ٣٥٠ ، وأنظر فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ ، وأنظر البيهقى : الاعتقاد ص ٢٨١ وأنظر البخارى فى التوحيد باب "وجوه يومئذ ناضرة" ومسلم فى الايمان : باب معرفة طريق الرؤية ، والنسائى فى الايمان باب زيادة الايمان .

(١) سنده (ضعيف) فيه ثوير ابى فاخته " وهو ضعيف والحديث أورده اللالكائى عن ثوير مرفوعا ٣ : ٢١٧ ، وذكره الترمذى فى السنن ٤ : ٦٨٨ و ٥ : ٤٣١ ، وورد موقوفا ، رواه الطبرى فى التفسير ٢٩ : ١٩٣ ، ورواه أحمد ٢ : ١٣ والآجرى فى الشريعة ٢٦٩ ، والدارقطنى فى الرؤية ١١٨ ـ ب وأنظر الشوكانى فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٨ ص ٤٢٣ والحديث أخرجه البخارى : ٧٤٣٥ ، وسنده ثقات ، والحديث رواه ابن منده من طريق آخر فى الايمان ٧٢ ـ أ ، وشيخ الاسلام الهروى فى كتابه الفاروق كما ذكره ابن حجر فى الفتح ١٣ / ٤٢٧ وفى رواية عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انكم ستعاينون ربكم " ، وأنظر اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعيد حمدان جـ ٣ ص ٤٧٥ .

الشمس فى يوم لا غيم فيه ، وترون القمر فى ليلة لا غيم فيها ؟ ، قلنا : نعم ، قال : فانكم سترون ربكم عز وجل ، حتى ان أحدكم ليحاضر ربه محاضرة ، فيقول : عبدى هل تعرف ذنب كذا وكذا ؟ فيقول : ألم تغفر لى ؟ ، فيقول : بمغفرتى صرت الى هذا " (١)

ثانيا : أقوال الشوكانى وعلماء التفسير فى قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٢) التى هى دليل واضح فى اثبات الرؤية :

يخبر تعالى : أن لمن أحسن العمل فى الدنيا بالايمان والعمل الصالح ، وهم الذين أحسنوا بما أوجبه الله عليهم من الأعمال ، والكف عما نهاهم عنه من المعاصى (٣) ، لهؤلاء " الحسنى " فى الدار الآخرة ، "وزيادة " وهى تضعيف ثواب الاعمال ، ويشمل ما يعطيهم الله فى الجنة من القصور والحور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه ، النظر الى وجه الله الكريم (٤) .

قال الشوكانى : قد روى عن التابعين ومن بعدهم روايات فى تفسير الزيادة غالبها أنها النظر الى وجه الله سبحانه ، وقد ثبت التفسير بذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق حينئذ لقائل مقال ، ولا التفات الى المجادلات الواقعة بين المتمذهبة الذين لا يعرفون من السنة المطهرة ما ينتفعون به فانهم لو عرفوا ذلك لكفوا عن كثير من هذيانهم (٥) .

---

(١) الحديث : أخرجه النسائى والدارقطنى وصححه أنظر الشوكانى فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ .

(٢) سورة يونس : آية ٢٦ .

(٣) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٤٣٨ .

(٤) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ١٩١ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٤٤٢ .

قال ابن كثير : قد روى تفسير الزيادة بالنظر الى وجهه الكريم الجمهور من السلف والخلف (١) ، قال ابن الجوزى : روى مسلم فى " صحيحه " من حديث صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الزيادة " النظر الى وجه الله عز وجل (٢) .

فيتبين مما سبق أن الرسول صلى الله عليه وسلم فسر الحسنى بالجنة ، والزيادة : هى النظر الى وجه الله الكريم ، وفسرها كذلك الصحابة من بعده والتابعين (٣) ، كما روى مسلم فى صحيحة عن صهيب ، قال : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " قال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ،

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ١٩١ .

(٢) الحديث : فى مسلم ١/١٦٣ ، ورواه أحمد ٤/٣٣٣ ، ٦/١٦ ، وخرجه السيوطى فى " الدر " ٣/٣٠٥ ، وزاد نسبته للطيالسى ، وهناد ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والدارقطنى فى الرؤية ، وابن مردويه ، والبيهقى فى " الاسماء والصفات " واللفظ الذى ساقه المؤلف " الزيادة " : النظر الى وجه الله عز وجل ، ذكره السيوطى من رواية الدارقطنى .

(٣) روى ابن جرير ذلك عن جماعة ، منهم : أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه :ـ وحذيفة ، وأبو موسى الأشعرى ، وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أنظر ابن أبى العز شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٩٧ .

كما روى ذلك عن عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن أبى يعلى والسدى ، ومقاتل ، أنظر ابن الجوزى زاد المسير جـ ٤ ص ٢٤ .

ان لكم عند اللـه موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقـل موازيننا ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، وهى الزيادة (١) .

يقول الألوسى : " وزيادة " هى النظر الى وجـه ربهم الكريم جل جلالـه ، وهو التفسير المأثور عن أبى بكر ، وعلى كرم اللـه وجهـه ، وابن عبـاس ، وحذيفـة ، وابن مسعود ، وأبى موسى الأشعرى ، وخلق آخرين ، وروى مرفوعا الى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم من طرق شتى ، والذى حمل الزمخشرى على عدم الاعتماد على الروايات الناطقـة بحمل الزيادة على رؤية اللـه تعالى ، زعمه الفاسد كأصحابه أن اللـه تعالى لايرى ، وقد علم منشأ ذلك الزعم وقد رده أهل السنة بوجوه متعددة (٢) كما سأبينه عند مناقشة الزيديـة بين يدى الشوكانى والسلفية .

وحاصل الكلام واختلاف الناس فى لفظ " الزيادة " يرجع الى قولين :

__الأول__ : أن المراد منها : رؤية اللـه سبحانه وتعالى ، وهذا هو الراجح ، لتضافر الأدلة عليه نقلا كما سبق ، وعقلا : بأن الحسنى لفظة مفردة دخـل عليهـا حرف التعريف ، فانصرف الى المعهود السابق ، وهو دار السـلام ، والمعروف من المسلمين والمتقرر بين أهل الاسلام من هذه اللفظة هو الجنة ، وما فيهـا من المنافع والتعظيم واذا ثبت هذا ، وجب أن يكون المراد مـن

---

(١) الحديث رواه الترمذى فى الجنة ١٦ وتفسير سورة ١٠ ، ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده ١ ـ ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ورواه ابن ماجـه فى المقـدمة باب فيما أنكرت الجهمية رقم ١٨٧ وليس فيه " الزيادة " .

(٢) الألوسى : روح المعانى جـ ١١ ص ١٠٣ .

الزيادة أمرا مغايرا لكل مافى الجنة من المنافع والتعظيم ، والا لزم التكرر، وكل من قال بذلك قال : انما هى رؤية الله تعالى ، فدل ذلك على أن المراد من هذه الزيادة : الرؤية (١) .

الثانى : وهو قول النفاة من الجهمية والمعتزلة والزيدية الذين قالوا : لايجوز حمل الزيادة على الرؤية ، وذلك لأن الدلائل العقلية دلت على أن رؤية الله تعالى ممتنعة ، ولأن الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ، ورؤية الله تعالى ليست من جنس نعيم الجنة ، ولأن الخبر يوجب التشبيه ، لأن النظر عبارة عن تقليب الحدقة الى جهة المرئى ، وذلك يقتضى كون المرئى فى الجهة ، وذلك يوجب التشبيه ، فوجب حمل اللفظ على شيء آخر ، كما قال الجبائى : الحسنى عبارة عن الثواب المستحق، والزيادة هى ما يزيده الله تعالى ، على هذا الثواب من التفضل (٢) .

وقد أجاب أهل الحق عن هذه الوجوه ، فقالوا :

أما قولكم : ان الدلائل العقلية دلت على امتناع رؤية الله تعالى فهذا ممنوع ، وما ورد من دلائل عقلية لهم، عليها النقض الكثير فظهرت فى غاية الضعف ، ونهاية السخافة ، فاذا لم يوجد فى العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى ، وجاءت الأخبار الصحيحة باثبات الرؤية ، وجب اجراؤها على ظواهرها (٣) ، كما سيأتى لذلك زيادة بيان فى الرد عليهم .

---

(١) الرازى : مفاتيح الغيب جـ ٩ ص ٨١ .
(٢) المصدر السابق : جـ ٩ ص ٨١ — ٨٢ .
(٣) المصدر السابق :

ثالثا : موقف الشوكانى من نفاة الروءية فى احتجاجهم ببعض الآيات :

أحدهما : احتج نفاة الروءية من المعتزلة والزيدية وغيرهم فى نفى الروءية بقوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " (١) .

قال ابن كثير : قالت المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآيـــة ، أنه لايرى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فخالفوا أهل السنة والجماعة فى ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب اللــه وسنة رسوله (٢) .

كما قالت الزيدية : " تعجز الحواس والعقول عن درك المعبود ، فـلا يدرك بهن ولا تدرك ذاته بشىء " (٣)

فهوءلاء استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لايرى ، وتقرير ذلك : أن الادراك المضاف الى الأبصار انما هو الروءية ، ولا فرق بين أدركته ببصرى ورأيتـــه الا فى اللفظ أو هما متلازمان ، فلا يجوز رأيته وما أدركته ببصرى ، فالآيـــة نفت أن تراه الأبصار وذلك يتناول جميع الأبصار ، فى جميع الأوقات ، ولأنه تعالى تمدح بكونه لايرى ، وما كان من الصفات عدمه مدحا كان وجوده نقصا يجب تنزيه اللــه عنه ، فظهر أنه يمتنع روءيته سبحانه (٤) .

وقد رد عليهم الشوكانى بقوله : الأبصار : جمع بصر ، وهو الحاســة ، وادراك الشىء عبارة عن الاحاطة به ، قال الزجاج : أى لاتبلغ كنة حقيقته ، فالمنفى هو هذا الادراك لا مجرد الروءية (٥) .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) ابن كثيـــر : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٦٠٤ .

(٣) الامام الهادى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة جـ ٢ ص ٧٠

(٤) الألوســى : روح المعانى جـ ٧ ص ٢٤٥ .

(٥) الشوكـانـى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .

قال ابن الجوزى : فى معنى الآية ثلاثة أقوال :

أحدها : لاتحيط به الأبصار ، رواه العوفى عن ابن عباس ، وبه قال سعيد ابن المسيب ، وعطاء ، وقال الزجاج : معنى الآية : الاحاطة بحقيقته ، وليس فيها دفع الروءية لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروءية ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث .

والثانى : لاتدركه الأبصار اذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

الثالث : لاتدركه الابصار فى الدنيا ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، ومقاتل (١) .

وقال آخرون : " **لاتدركه الأبصار** " أى جميعها وهذا مخصص بما ثبت من روءية الموءمنين له فى الدار الآخرة . وقد بين الشوكانى ذلك بما تقرر فى علم البيان والميزان : أن رفع الايجاب الكلى سلب جزئى ، فالمعنى لاتدركه بعض الأبصار ، وهى أبصار الكفار ، هذا على تسليم أن نفى الادراك يستلزم نفى الروءية ، فالمراد به هذه الروءية الخاصة ، والتقدير : لاتدركه كل الأبصار بل بعضها ، وهى إبصار الموءمنين (٢) ، قال الرازى : "الابصار" صيغة جمع دخل عليها الالف واللام ، فهى تفيد الاستغراق ، فقوله : " لاتدركه الأبصار " يفيد أنه لايراه جميع الأبصار ، فهذا يفيد سلب العموم ، ولا يفيد عموم السلب ، وتخصيص هذا السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم فى بعض أفراد المجموع (٣) .

---

(١) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ٩٨ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .
(٣) الرازى : مفاتيح الغيب جـ ١٣ ص ١٣٢ .

قال الشوكانى : والمصير الى الوجهين السابقين متعين لما عرفناك من تواتر الروءية فى الآخرة (١) .

وبذلك قد رد الشوكانى فرية نفاة الروءية من المعتزلة والزيدية بما بينه من ثبوتها بالتواتر الذى تعضده الآيات الصريحة فى اثباتها كقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة " الآية ، وقوله تعالى عن الكافرين : "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٢) قال الشافعى : فدل هذا على أن الموءمنين لايحجبون عنه تبارك وتعالى (٣) .

كما وضح الشوكانى فى رده على هوءلاء بما ذكره عن المفسرين وما ورد عن السلف في ذلك : بأنه لامنافاة بين اثبات الروءية ونفى الادراك ، فان الادراك أخص من الروءية ، ولا يلزم من نفى الأخص انتفاء الأعم ، فالادراك المنفى معرفة الحقيقة ، وأن هذا لايعلمه الا هو ، وان رآه الموءمنون ، كما أن من رأى القمر ، فانه لايدرك حقيقته وكنهه وماهيته ، فالعظيم أولى بذلك وله المثل الأعلى ، قال ابن عباس : لايحيط بصر أحد بالملك ، قال ابن جرير عن عطية العوفى : فى قوله : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال : هم ينظرون الى الله لاتحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم ، فذلك قوله : " لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار " (٤) .

فاحتجاج النفاة على نفى الروءية بهذه الآية غير صحيح بل الآية حجة

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .

(٢) سورة المطففين : آية :

(٣) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٦٠٤ .

(٤) المصدر السابق : جـ ١ ص ٦٠٥ .

عليهم لا لهم ، لأن الادراك : اما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالاحاطة ، والأول باطل ، لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال أنه أدركه ، كما لايقال أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن ذلك فقال : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أكلها ترى ؟ قال : لا .(١)

ثانيها : تعلق نفاة الرؤية أيضا فى نفيها :

بقوله تعالى لما سأله موسى عليه السلام أن ينظر اليه :

" قال رب أرنى أنظر اليك " ، " قال لن ترانى "(٢)

قالوا : لن لنفى الأبد ، قال ابن كثير : استدل به المعتزلة على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة .(٣)

وبيان ذلك : أنهم قالوا : لن للتأبيد واذا لم يره موسى ، لم يره غيره اجماعا .(٤)

ويرد الشوكانى احتجاج النفاة وتعلقهم بهذه الآية فيقول : سؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة ، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها(٥) ، والجواب بقوله : " لن ترانى " يفيد أنه لايراه هذا الوقت الذى طلب رؤيته فيه أو أنه لايرى مادام الرائى حيا فى دار الدنيا ، وأما رؤيته فى الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة ، تواترا لايخفى على من يعرف السنة المطهرة ،

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير د . محمد الجلنيد جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٢) سورة الاعراف : آية : ١٤٣ .

(٣) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ٤٨ .

(٤) الايجى : المواقف ص ٣٠ .

(٥) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٣ وانظر ابن الجوزى زاد المسير جـ ٣ ص ٢٥٦ .

والجدال والمراوغة فى مثل هذا لا تأتى بفائدة ، ومنهج الحق واضح ، ولكن الاعتقاد لمذهب نشأ الانسان عليه ، مع عدم التنبه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشريعة المطهرة يوقع فى التعصب ، والمتعصب بصيرته عمياء وأذنه عن الحق صماء .

يأبى الفتى الا اتباع الهوى ٥٥ ومنهج الحق له واضح (١)

وبذلك بين الشوكانى أن ما تعلق به المعتزلة والزيدية من قوله تعالى : " لن ترانى " وأن " لن " لنفى الأبد غلط ، لأنها وردت وليس المراد بها الأبد فى قوله تعالى : " **ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم** " (٢) ثم أخبر عنهم بتمنيه فى النار بقوله : " **يامالك ليقض علينا ربك** " (٣) (٤) قال ابن كثير : ما استدل به المعتزلة والنفاة على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة أضعف الأقوال ، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المؤمنين يرون الله فى الدار الآخرة . (٥)

فالحاصل : أن رؤيته تعالى جائزة عقلا فى الدنيا والآخرة ، لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلا ، ويدل لجوازها عقلا : قول موسى عليه السلام : " **رب أرنى أنظر اليك** " لأنه لا يجهل الجائز فى حق الله تعالى عقلا (٦) ، كما يدل على ذلك قوله : " **لن ترانى** " ولم يقل لا أرى فلما قال ذلك علمنا أن هذا يدل على أنه تعالى فى ذاته جائز الرؤية . (٧)

---

(١) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف : آية : ٧٧ .

(٤) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ٢٥٦ .

(٥) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ٢ ص ٤٨ .

(٦) الشنقيطى : دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٢٢ .

(٧) الرازى : مفاتيح الغيب جـ ١٤ ص ٢٤٠ .

وبذلك أصبحت أدلة نفاة الرؤية داحضة فى دفع هذا الحق الواضح كما بينه ووضحه الشوكانى وكبار العلماء والمفسرين فى اثبات رؤية الله تعالى بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة من الكتاب وتواتر السنة .

ومن هذا يتقرر أن منهج الشوكانى وطريقته فى اثبات الرؤية منهج سلفى مستقيم ، وذلك لأنه يعتصم بنصوص الكتاب والسنة ، ولا يحيد عنها لافى قليل ولا فى كثير ، مع غزارة العلم وحسن التحقيق والتدقيق ، واظهار الحق ، وجدال المراوغين المبطلين بطريقة القرآن التى هى أحسن ، والآن مع البحث فيما تذكره السلفية عن موقفها من اثبات الرؤية .

موقف السلفية من الرؤية :

رأينا فيما سبق أن الشوكانى جعل الكتاب والسنة معيارا وميزانا لكل ما يقبل أو يرفض من الأقوال فى مسألة الرؤية ، كما وجدناه يحارب كل ما يراه من الآراء خارجا عن هذه الأصول .

والسلفية ترى : أن رؤية الله تعالى حق بغير احاطة ولا كيفية ، كما نطق بها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . يقول ابن تيمية : ان الجهمية والمعتزلة والخوارج تنكر الرؤية ، وأما الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام المعروفون بالامامة فى الدين ، كمالك والثورى والأوزاعى والليث بن سعد والشافعى وأحمد واسحاق وأبى حنيفة وأبى يوسف وأمثال هؤلاء ، وسائر أهل السنة والحديث ، فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات الرؤية (١)

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جمع وتحقيق د . محمد السيد الجلنيد ج ٣ ص ٢٠٨ ، وأنظر ابن أبى العز شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٩٥ .

كما أن أحاديث الروءية متواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثة ، وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ، يقول ابن تيمية : قد ذكر الامام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم باحسان متفقون على أن الله يرى فى الآخرة بالأبصار ومتفقون على أنه لايراه أحد فى الدنيا بعينه (١) ، وقد آمن وأقر بذلك الامام أحمد الذى يقول فى أحاديث الروءية : " أحاديث صحاح نوءمن بها ونقر ، وكلما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نوءمن به ونقره (٢) .

وقال ابن عيينه : أحاديث الروءية حق نرويها على ما سمعناها ممن نثق به ونرضى به (٣) .

كما بينت السلفية اتفاق الشرع والعقل على امكان الروءية ووقوعها ، فان الروءية أمر وجودى لايتعلق الا بموجود ، وما كان أكمل وجودا كان أحق أن يرى ، فالبارى سبحانه أحق أن يرى من كل ما سواه ، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه (٤) .

يقول ابن القيم الجوزية : ان تعذر الروءية أما لخفاء المرئى ، واما لآفة وضعف فى الرائى ، والرب سبحانه أظهر من كل موجود ، وانما تعذرت روءيته فى الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر اليه ، فاذا كان الرائى فى دار البقاء كانت قوة الباصرة فى غاية القوة لأنها دائمة ، فقويت

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير تحقيق الجلنيد جـ ٣ ص ٢٠٨ .

(٢) اللالكائى : أصول الاعتقاد تحقيق د . أحمد سعد جـ ١ ـ ٢ ص ٥٠٤

(٣) رواه عبد الله بن أحمد فى السنة ٤٠ ، وأنظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٢١٦ .

على رؤيته تعالى (١) .

وقدمت السلفية أدلة النقل والعقل التى تثبت رؤية الله تعالى مما لايدع مجالا لمنكر أمام هذه الحجج والبراهين القاطعة بقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى فتاويه : وما دل من الكتاب على الرؤية قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " (٢) وكذلك قوله : " فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون " (٣) قد فسر بالرؤية ، وقوله : " ان الأبرار لفى نعيم على الارائك ينظرون " (٤) ، وقوله : " لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " (٥) وقوله : " انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٦) وقوله : " وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام " (٧) . قال ابن تيمية : أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون الا معاينة ونظرة بالأبصار (٨) .

كما قدمت السلفية كثيرا من الأحاديث ، والبحوث فى اثبات الرؤية ، فعن أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول : أدركت الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئا وكانوا يحدثون بها على الجملة ، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين (٩) .

---

(١) ابن القيم الجوزية : الصواعق المرسلة نختصر الموصلى جـ ١ ص ٢١٠ .

(٢) سورة القيامة : آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة السجدة : آية : ١٧ .

(٤) سورة المطففين : آية : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) سورة ق : آية : ٣٥ .

(٦) سورة المطففين : آية : ١٥ .

(٧) سورة الأحزاب : آية : ٤٤ .

(٨) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى جـ ٦ ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٨٩ .

(٩) ابن تيمية : الفتاوى الكبرى جـ ٦ ص ٤٩٩ .

كما ردت السلفية على شبهات النفاة من الجهمية والمعتزلة والزيدية وغيرهم التى سنبينها فى نهاية هذا الفصل بعد ايراد آراء الزيدية فى نفى روءية اللـه وجحودها فى الدنيا والآخرة ، وأدلتهم على ذلك .

وتسوق السلفية مافسُر من الآيات فى كتاب اللـه عز وجل على أن الموءمنين يرون اللـه سبحانه وتعالى بأبصارهم يوم القيامة ، وما روى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين فى روءية الموءمنين لربهم وخالقهم جل وعلا .

أولا : سياق ما فسر من الآيات فى الروءية يوم القيامة :

قال اللـه عز وجل : " **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** " (١) . روى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم فيما صح عنه من تفسيره أنه : النظر الى اللـه عز وجل ، فروى ذلك عن الصحابة : عن أبى بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان ، وأبى موسى الأشعرى ، وابن مسعود ، وابن عباس (٢) ، كما روى عن التابعين : عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وسعيد بن المسيب ، والحسن ، وعكرمة ، وعامر بن سعد البجلى ، وأبى اسحاق السبيعى ، ومجاهد ، وعبد الرحمن بن سابط ، وقتادة ، والضحاك ، وأبو سنان (٣) .

ومن ذلك ماروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى : عن صهيب قال : " قرأ رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : " **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** " فقال : " اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل

(١) سورة يونس : آية : ٢٦ .

(٢) أبى القاسم اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعد حمدان جـ ٣ ص ٤٥٥ .

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .

الجنة ان لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟! فيكشف الحجاب فينظرون الى الله فما شيء أعطوه أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة) أخرجه مسلم في الصحيح (١) .

وعن أبى بن كعب لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن " الزيادة " قال : " الحسنى " : الجنة ، والزيادة " : النظر الى الله عز وجل " (٢) .

وعن اسرائيل عن أبى اسحاق عن مسلم بن نذير : عن حذيفة أنهما قالا : " للذين أحسنوا الحسنى " : الجنة "وزيادة " : قالا : النظر الى وجه الله (٣) .

وعن أبى موسى الأشعرى يقول : "وزيادة" : النظر الى وجه الله عز وجل (٤) ، وبذلك ثبتت الرؤية بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من تفسيره لهذه الآية أنه : النظر الى الله عز وجل .

---

(١) مسلم / ح : ١٨١ / ، ورواه الترمذى / ح : ٢٥٥٢ ، وابن ماجه / ح : ١٨٧ / وأحمد / ٤ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٦ : ١٥ ، وكذلك ابن خزيمة فى التوحيد / ١١٨ / وعبد الله بن أحمد / فى / السنة / ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ /

(٢) الحديث : رواه الطبرانى فى التفسير ١١ : ١٠٧ بسند عن زهير .

(٣) رواه عبد الله بن أحمد فى السنة ٥١ ، ٥٢ ، وروى الدارمى فى الرد على الجهمية عن سفيان عن أبى اسحاق ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ، ورواه الطبرى ١١ : ١٠٤ ـ ١٠٥ ، والآجرى فى الشريعة ٢٥٧ ، والدارقطنى فى الرؤية ١٢٠ ـ أ ـ ١٢٣ ، ورواه ابن أبى عاصم / السنة / ح : ٤٧٣ ، ورجاله ثقات ـ رجال التهذيب .

(٤) رواه ابن خزيمة فى التوحيد ١٢١ ، ورواه الدارمى فى الرد على الجهمية ٣٠٤ ، والطبرى فى التفسير ١١ : ١٠٥ ، والدارقطنى فى الرؤية ٤٩ ـ أ ، ب .

(٢) * * قال اللـه عز وجل : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة" (١)

فروى فى تفسير هذه الآية : عن ابن عباس أنه : النظر الى اللـه عز وجل ، وبه قال من التابعين :

الحسن وعكرمة ، ومجاهد ، ومحمد بن على بن الحسين ، وزيد بن على بن حسين ، وقتادة ، والضحاك بن مزاحم ، ومن الفقهاء :

مالك والشافعى أنهما استدلا على جواز الروءية بهذه الآية . (٢)

فعن ابن عباس فى قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " : قال : مسرورة"الى ربها ناظرة " قال : تنظر الى ربها (٣)
وعن الحسن : قال : النضرة : الحسن ، نظرت الى ربها عز وجل (٤) ، ونضرت بنوره عز وجل ، وعن عكرمة فى قوله : " الى ربها ناظرة" تنظر الى ربها نظرا . (٥)

(٣) قال اللـه تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٦) .

---

(١) سورة القيامة : آية : ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) الالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د .أحمد سعد حمدان : جـ ٣ ص ٤٦٣ ، ٤٤٤ .
(٣) روى عن عبد اللـه بن أحمد بمعناه بسند آخر / السنة / ٥٣ ،
(٤) رواه عبد اللـه بن أحمد بسندين آخرين الى مبارك . . . به /السنة ٥٣ ، ١٤٣ ، ورواه الطبرى فى التفسير ٢٩ ، ١٩٢ بسند آخر الى "مبارك " وكذلك الدارقطنى فى الروءية ١٢٦ ، وابن خزيمة فى التوحيد ١٢١
(٥) رواه عبد اللـه بن أحمد عن أبى معمر عن ابن شقيق . . . السنة ٥٣ ، والدارمى فى الرد على الجهمية ٣٠٥ ، والطبرى فى التفسير ٢٩ : ١٥٢ ، والآجرى فى الشريعة ١ : ٢٥٧ ، وصحح ابن حجر طريق الطبرى الفتح ١٣ : ٤٢٤ - ٤٢٥ .
(٦) سورة المطففين : آية : ١٥ .

وقد روى في تفسير هذه الآية : عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي ، وابراهيم الصائغ ، : أنه النظر الى اللـه عز وجل ، كما روى ذلك عن الفقهاء : مالك ، والشافعي ، ووكيع ، ومحمد بن عبد اللـه بن عبد الحكم.(١)

فعن الحسن في هذه الآية : قال : اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه ، وهو قوله : " **كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** "(٢) ، وسئل محمد بن عبد اللـه بن عبد الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة ؟ : المؤمنون والكفار ؟ فقال : ليس يراه الا المؤمنون ، وسئل الشافعي عن الرؤية ، فقال : يقول اللـه عز وجل : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن اللـه عز وجل .(٣)

(٤) * * قال تعالى : " **ولدينا مزيد** "(٤)

روى عن علي وأنس بن مالك أنه : النظر الى وجه اللـه عز وجل ، كما روى عن التابعين ، عن زيد بن وهب قال : يتجلى لهم كل جمعة .(٥)

فعن أنس بن مالك قال : يظهر لهم الرب عز وجل يوم القيامة .(٦)

وبذلك يتقرر ثبوت رؤية المؤمنين لربهم عز وجل بما روى عن النبي صلى اللـه عليه وسلم فيما صح عنه من تفسير هذه الآيات .

---

(١) اللالكائي : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ ٣ ص ٤٦٦ .

(٢) رواه الدارقطني في الرؤية ١٢٦ ـ ب ، وأشار اليه الطبري بلفظ مقارب في التفسير ٣٠ : ١٠٠ .

(٣) اللالكائي : اعتقاد أهل السنة والجماعة : جـ ٣ ص ٤٦٩ .

(٤) سورة ق : آية : ٣٥ .

(٥) أنظر المصدر السابق : جـ ٣ ص ٤٦٩ في تفسير هذه الآية .

(٦) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ٣٠٤ .

ثانيا : سياق ماروى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين

في روءية المؤمنين لربهم عز وجل :

فروى ذلك عن الصحابة : عن أبى بكر وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى موسى ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبى أمامة ، ومعاوية ، وأبى هريرة ، وجابر ، وحذيفة ، وأنس بن مالك ، وعمار ابن ياسر ، وزيد بن ثابت ، وفضالة بن عبيد ، ورجل من أصحاب النبى صلى اللـه عليه وسلم .(١)

كما روى ذلك من التابعين : سعد بن المسيب ، وطاووس ، وأبو العالية ، والحسن ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن سايط ، وأبى اسحاق السبيعى ، والربيع بن أنس ، وابراهيم الصايغ ، ويزيد بن أبى مالك ، وعبد الواحد بن يزيد النصرى ، والصحاك بن مزاحم ، وعبد العزيز بن عمر الزاهد ، وابن الربيع السائح ، وأبى سنان .(٢)

كما روى ذلك من الفقهاء : مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، والأوزاعى ، وعبد العزيز بن أبى سلمة ، وسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينة ، وحماد بن زيد ، وخارجة بن مصعب ، وجرير بن عبد الحميد ، وعبد اللـه ابن المبارك ، ووكيع ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن ادريس الشافعى ، وأبى نعيم ، الفصل بن زكين ، وسليمان بن حرب ، وأبو النضر هاشم بن القاسم ، وعبد اللـه بن وهب المصرى ، وعلى بن الحسن بن شقيق ،

---

(١) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د . أحمد سعد حمدان جـ ٣ ص ٤٧٠ .

(٢) المصدر السابق .

وهشام بن عبيد الله الرازي ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وأبو عبيدة ، وأبو ثور ، وأحمد بن صالح المصري ، ونعيم بن حماد المروزي ، وأبو ابراهيم المزني ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، ومحمد بن جرير الطبري ، وابن خزيمة ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم (١) .

كما حكى اجماع أهل السنة عليها غير واحد من الأئمة العالمين بأقوال السلف مثل عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري ، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري (٢) ، ومثل أبي بكر الاسماعيلي (٣) ، وأبي نعيم الأصبهاني ، وأبي عمر (٤)

---

(١) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٧١ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري ، قال ابن عساكر في ترجمته (تبين كذب القبري ١٩٥ ـ ١٩٦) : " صحب أبا الحسن رحمه الله بالبصرة مدة وأخذ عنه وتخرج به ، واقتبس منه وصنف تصاعيف عدة تدل على علم واسع ، وهو الذي ألف المشهور في تأويل الأحاديث والمشكلات الواردة في الصفات . أنظر " ابن تيمية درء تعارض النقل والعقل تحقيق د . محمد رشاد سالم جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٣) هو أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل (أبو بكر الاسماعيلي) الجرجاني فقيه ومحدث ولد سنة ٢٩٧ هـ ، وتوفى بجرجان سنة ٣٧١ هـ ، أنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٩ ـ ٢٢١ ، الوافي بالوفيات ٦١٢/٥ ، والمنتظم لابن الجوزي ١٠٨/٧ ، طبقات الفقهاء للشيرازي ٩٥ ـ ٩٦ ، والبداية والنهاية ٢٩٨/١١ ، وتذكرة الحفاظ ٩٤٧/٣ ، طبقات الشافعية ٧٩/٢ ـ ٨٥ ، شذرات الذهب ٧٥/٣ ، ومعجم المؤلفين ١/ ، والاعلام ٨٣/١ .

(٤) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (أبو عمر) من كبار حفاظ الحديث ، ولد بقرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، وتوفى بشاطبة
===

ابن عبد البر (١) .

ومن هذه الروايات :

(١) رواية أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم :

أن أبا هريرة أخبر سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثى : أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا عزوجل يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تمارون فى القمر ليس دونه سحاب ؟ " قالوا : لا يارسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك " أخرجه البخارى عن أبى اليمان ومسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى عن أبى اليمان .

(٢) رواية جرير بن عبد الله البجلى :

عن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : " انكم سترون ربكم عيانا ، كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها " (٢) ، وعن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انكم ستعاينون ربكم " (٣)

(٣) رواية أنس بن مالك :

عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم : (يجمع المؤمنون

= سنة ٤٦٣ هـ أنظر وفيات الأعيان ٦٤/٦ ، وتذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ ، الديباج المذهب ٣٥٧ .

(١) ابن تيمية : درء تعارض النقل والعقل تحقيق محمد رشاد سالم : جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٢) الحديث: أخرجه البخارى / ح : ٦٥٧٣ ، ومسلم فى الايمان ٣٠٠ ورواه أحمد / ٢ : ٢٧٥ ، ٥٣٣ .

(٣) أخرجه البخارى / ح : ٧٤٣٥ .

يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون : لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا ، فيأتون آدم ـ فذكر الحديث الى أن قالوا : ائتوا محمدا عبدا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى حتى أستأذن على ربى ، فيؤذن لى ، فاذا رأيت ربى ، وقعت أو خررت ساجدا لربى فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال : أرفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه الثانية فاذا رأيت ربى وقعت أو خررت ساجدا لربى ،..........

..... الى أن قال : ثم أعود اليه الرابعة ، فأقول : يارب ما بقى الا من حبسه القرآن " الحديث أخرجه البخارى ومسلم (١) .

(٤) رواية أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى :

عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين أن ينظروا الى ربهم تبارك وتعالى الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن " أخرجه البخارى ومسلم (٢) .

(٥) رواية عدى بن حاتم :

عن عدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مامنكم من أحد الا سيكلمه الله عز وجل ليس بينه وبينه ترجمان " (٣)

---

(١) أخرجه البخارى / ح : ٤٤٧٦ ، ومسلم / ح : ٣٢٣ ـ كتاب الايمان ، ورواه ابن ماجه / ح : ٤٣١٢ ، وأحمد ٣ : ١١٦ .

(٢) أخرجه البخارى / ح : ٤٨٧٨ ، ومسلم / ح : ٢٩٦ ـ كتاب الايمان ، ورواه الترمذى / ح : ٢٥٢٨ ، وابن ماجه / ح : ١٨٦ ، وأحمد / ٤ : ٤١١ ، ٤١٦ ، والدارمى فى السنن / ح : ٢٨٢٥ .

(٣) أخرجه البخارى / ح : ٧٥١٢ ، ومسلم / ح : ٦٧ ـ كتاب الزكاة ، والترمذى / ح : ٢٤١٥ ، وابن ماجه / ح : ١٨٥ ، وأحمد / ٤ : ٢٥٦ ، ٣٧٧ .

(٦) رواية جابر بن عبد اللـه :

عن جابر بن عبد اللـه ـ سئل عن الورود حتى ـ قال : فينجلى لهم ربهم " (١) أخرجه مسلم عن أبى قدامة واسحاق بن منصور عن روح .

ثالثا : ماروى عن الصحابة رضى اللـه عنهم فى الروءية :

١ ـ ماروى عن على رضى اللـه عنه :

عن عمارة بن عبد يقول : سمعت عليا يقول : (من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى وجه اللـه تبارك وتعالى فى جنته) (٢)

٢ ـ قول ابن مسعود :

عن عبد اللـه بن حكيم قال : سمعت عبد اللـه بن مسعود يقول : واللـه ان منكم من انسان الا أن ربه سيخلوا به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، قال : فيقول : ما غرك ياابن آدم ـ ثلاث مرات ـ ؟ ماذا أجبت المرسلين ثلاثا ؟ كيف عملت فيما علمت ؟ (٣)

٣ ـ قول ابن عباس :

عن قتادة عن عكرمة : عن ابن عباس : هل تنكرون أن تكون الخلة لابراهيم؟ ، والكلام لموسى ؟ والروءية لمحمد صلى اللـه عليه وسلم ؟ (٤)

---

(١) أخرجه مسلم / ح : ٣١٦ ـ كتاب الايمان ، ورواه أحمد / ٣ : ٣٨٣ .

(٢) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة تحقيق د . أحمد سعد حمدان ج ٣ ص ٤٩٦ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ص ٤٩٧ .

(٤) رواه عبد اللـه بن أحمد فى السنة ١٤٥ ، والحاكم وصححه / ١ : ٦٥ ، وذكر ابن حجر أنه أخرجه النسائى بسند صحيح الفتح / ٨ : ٦٠٨ ، ورواه ابن خزيمة فى التوحيد ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ورواه ابن منده فى كتاب الايمان / ٧٠ ـ أ ، والحديث رواه الدارقطنى من أكثر هذه الطرق ومن غيرها فى الروءية / ١٢٦ ـ أ ، ب .

٤ ـ أبو موسى الأشعرى :

عن أبى " مرايه " قال : جعل أبو موسى يعلم الناس سنتهم ودينهم قال : فشخصت أبصارهم ـ أو قال : وحرفوها عنه ، قال : فما أشخص أبصاركم عنى ؟ ، قالوا : الهلال أيها الأمير ، قال : فذلك أشخص أبصاركم عنى ؟ ، قالوا : نعم ، قال : فكيف بكم اذا رأيتم اللـه جهرة (١) .

٥ ـ أبو هريرة :

عن أبى النضر ـ يعنى سالم مولى عمر بن عبيد اللـه بن معمر القرشى :ـ أن أبا هريرة كان يذكر : أنكم لن تروا ربكم ، حتى تذوقوا الموت (٢) .

ومما سبق من بيان السلفية لما فسر من الآيات على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة ، وما ساقته مما روى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم فى رؤية المؤمنين لربهم تبارك وتعالى ، وما روى عن الصحابة رضوان اللـه عليهم ، والتابعين لهم باحسان ، والأئمة والفقهاء يتبين أن : رؤية المؤمنين لربهم عز وجل يوم القيامة عقيدة ثابتة بالكتاب والسنة ، وتلقتها الأمة بالقبول وظلت عليها ، حتى نبغت بعض الطوائف التى أنكرتها برد أحاديثها ، أو تأويلها ، وتأويل الآيات الواردة فيها وقالوا : ان الرؤية توجب كون المرئى محدثا ، وحالا فى مكان ، وجميع هذه الأدلة مردودة ولا تقوى على مقابلة النصوص الصحيحة الصريحة كما سنبينه من أقوال الزيدية وحججهم وأدلتهم الواهية فى انكار رؤية اللـه عز وجل فى الدنيا والآخرة .

---

(١) رواه عبد اللـه بن أحمد فى السنة ١٥٣ ، ورواه ابن خزيمة وذكره بسند آخر عن أسلم موقوفا فى التوحيد / ١١٨ .

(٢) اللالكائى : اعتقاد أهل السنة جـ ٣ ص ٤٩٩ .

موقف الزيدية من الروءية :

سلكت الزيدية مسلك المعتزلة والنفاة في جحد روءية المؤمنين لربهم في الدنيا والآخرة ، وأنكرت واستبعدت امكانها وذلك " لأنها توجب التحديد ، ومتى وقع التحديد وقع التبعيض ، ومتى وقع التبعيض وقع التشبيه ، واذا وقع التشبيه زالت الربوبية عن ذلك الشيء المبعض المجزأ ، لأن الخالق على خلاف المخلوقين (١) .

فروءية الله تعالى عند الزيدية والمعتزلة غير جائزة دنيا وآخرة ، يقول ابن المرتضى في كتابه : " القلائد في تصحيح العقائد " : لايجوز الروءية عليه ، والا لرأيناه الآن لارتفاع الموانع الثمانية القرب ، والبعد المفرطان ، والرقة ، واللطافة ، والحجاب الكثيف ، وكون المرئي في خلاف جهة المرئي ، وكون محله في بعض هذه الأوصاف ، وعدم الضياء المناسب المبين " (٢)

واذا نظرنا في تفسير الزيدية للآيات التي يظهر منها اثبات الروءية ، نجدها تتخذ طريقة تتفق وتتسق مع أصولها الخمسة ، والتي منها أصل التوحيد الذي يقوم على انكار صفات توهم التجسيد والتشبيه في نظرهم ، فاذا ما اصطدمت بآيات كقوله تعالى : " **وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة** " (٣) التي تصرح باثبات الروءية ، والنظر الى وجه الله تعالى ، اعتبرت هذه الآيات من المتشابه اعتمادا على المحكم مستعينة بما يعطيه المجاز من احتمالات للمعنى .

---

(١) الهادي : كتاب المسترشد جـ ١ ق ٦٥ ، وأنظر علي محمد زيد . معتزلة اليمن ص ١٦٤ .

(٢) القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٥٧٦ ، وأنظر الايجي المواقف ص ٣٠٧ وأنظر أحمد محمود صبحي الزيدية ص ٤٤٠٠ .

(٣) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

يقول القاسم الرسى فى قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " : ان الوجوه تكون نضرة ، مشرقة ، ناعمة ، الى ثواب ربها منتظرة ، " ولا ينظر اليهم يوم القيامة ⁽١⁾ ، معناه : لايبشرهم برحمته ، ولا ينيلهم ما أنال أهل الجنة من الثواب ⁽٢⁾ ... (أما اللـه) فلا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة وذلك : أن ما وقع عليه البصر فليس بخالق ولا قادر ⁽٣⁾ .

وتعضد الزيدية قولها فى نفى الرؤية باللغة فتقول : اذا جاء الخصب بعد الجدب ـ فالعرب تقول : قد نظر اللـه جل ثناؤه الى خلقه ، ونظر لعباده ، يريدون أتاهم بالفرج والرجاء ، ليس يعنون أنه كان لايراهم ثم صار يراهم .

كما أوجبت الزيدية : أن لاتدركه الأبصار فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ذلك أن ماوقع عليه البصر محدود ضعيف محوى محاط به ، له كل وبعض ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال ، وامام وخلف ، ولا يوصف اللـه بشىء من ذلك ⁽٤⁾ .

يقول الامام الهادى : " لاتدرك ذاته ، عجزت الحواس والعقول عن درك المعبود جل جلاله ، لأن الحواس والعقل أدوات مجعولات مركبات لدرك مخلوقات مثلهن ، فأما مالم يكن لهن مشابها ، ولا لمعانيهن مشاكلا ، وكان عن ذلك متعاليا ، ولم يكن له حد ينال ، ولا شبه يضرب له به الامثال ، فلا يدرك بهن ، ولا تدرك ذاته بشىء ، لأن الحواس المخلوقة ، والألباب المجعولة لا تقع

---

(١) سورة آل عمران : آية : ٧٧ .

(٢) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة جـ ٢ ص ١٠٨

(٣) المصدر السابق : جـ ٢ نفس الصفحة .

(٤) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد جـ ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

الا على مثلهـــا ، ولا تلحق الا بشكلها ، ولا تحـــد الا بنظيرها ، وضح أنه تعالى مخالف لها فى كل معانيهـــا (١) .

كما تستدل الزيدية بالنقل على صحـــة استدلالها بالعقل فى أن اللـــه تعالى لايرى ولا تدرك ذاته بقوله تعالى : " لاتدركه الأبصار ، وهو يـــدرك الأبصار " (٢) .

يقول الهادى فى كتابه " أصول الدين " : كل مايرى لابد أن يحيط به مكان ، وأن تحدث الروءية فى زمان ، واللـــه لايحتاج الى المكان ، وأنه لكل مكـــان مدبر ، وأنه كان قبل كل مكان وحين وأوان ، وأنه كان ولا سماء ولا أرض ، ولا عرش ولاكرسى ، ولا كلام (٣) .

كما تعتبر الزيدية اثبات روءية اللـــه فى الآخـــرة كما جاءت به نصـــوص الكتاب والسنة : تجسيم وتكييف ، وأن هذا من نزعات الشيطان : يقول الزيـــدى للسلفىـ اعتراضا ونقدا لتفسير السيوطى " الدر المنثور فى التفسير بالمأثـــور " : هوءلاء الأجلة من الصحابة والتابعين قد روى عنهم من هو امام فى حزبك وسلفك " السيوطى " روى التجسيم عن سيد المرسلين صلى اللـــه عليه وسلم ، وقد اشتهر استشهار الشمس فى قومك وسلفك حديث : " سترون ربكم كالقمر ليلة البـــدر " فهل بعد هذا التكييف من بلاء وعمى .... الخ (٤) .

فالزيدية تعتبر اثبات الروءية ، تكييف وتشبيه يخالف قاعدة التنزيه على مذهبهـــا ، فى الأصول الخمسة التى تقول : أن اللـــه لايرى ولا يدرك لا فى الدنيا ولا فى الآخـــرة ، والتى يكذبون بهـــا الصريح من الآيات ، والصحيـــح

---

(١) الامام يحى بن الحسين : رسائل العدل والتوحيد جـ ٢ ص ٧٠ .
(٢) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .
(٣) على محمد زيـــــد : معتزلة اليمن ص ١٦٥ .
(٤) عبد اللـــه محمد عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض كـــلام الشيعة والزيدية ص ١١٢ .

من متواتر السنة أو يوءولونهـــا ويحملونها على غير محملها وظاهرها ٠

فكانت الزيدية في نفيهـــا لروءية البارى تعالى كالمعتزلة سواء بسواء ، كما تتشابه حججهم في نفيهـــا بالأدلة النقلية والعقلية ، وتأويل النصوص ٠ يقول أبو الحسن الأشعرى فى المقالات : وقالت المعتزلة والخوارج وطوائف مـن المرجئة وطوائف من الزيدية : أن اللـــه لايرى بالأبصار فى الدنيا والآخـــرة ، ولا يجوز ذلك عليه " (١)

ومن أدلة المعتزلة العقلية على نفى الروءية قولهـــم : الموانع المعقولة من الروءية ستة : الحجـــاب ، والرقـــة ، واللطافـــة ، والبصر المفـــرط ، وكون الرائى فى غير جهـــة محـــازاة الرائى ، وكون محله بنقض هـــذه الأوصاف وشيء منهـــا لايجوز على اللـــه تعالى بحال من الأحـــوال ٠ (٢)

فموانع المعتزلة العقلية من الروءية هى التى قال بهـــا امام الزيديـــة " الهادى " (٣) وزاد عليهـــا فجعلهـــا ثمانية " كعدم الضياء المناسب "

وتفصيل هذا الدليل فى قولهم : أنه لو جازت روءيته تعالى لرأيناه الآن ، والتالى باطل ، فبيان الشرطية : لو جازت روءيته تعالى لجازت فى الحـــالات كلهـــا ، لأنه حكم ثابت له أما لذاته أو لصفـــة لازمة لذاته ، فجازت روءيتـــه

---

(١) الأشعرى : مقالات الاسلاميين تصحيح : هليموت ريتر ص٢١٦ ط دار التراث العربى ببيروت وأنظر شرح رسالة الحور العين ١٤٨ ، وكتـــاب العدل والتوحيد ونفى السببية عن الواحـــد المجيد المخطوط ، وشـــرح الثلاثين مسألة المخطوط ، ورسائل العدل والتوحيد ٧٠ ٠

(٢) القاضى عبد الجبار شرح الأصول الخمسة ، تحقيق د ٠ عبد الكريم عثمان ص٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وأنظر عضد الدين الايجى المواقف ص٣٠٧ ٠

(٣) د ٠ أحمد محمـــود صبحى : الزيدية ص٤٢٠ ٠

الآن ، ولو جازت روءيته لجاز أن نراه ، لأنه اذا اجتمعت شرائط الروءية ، وجب حصول الروءية ، والا لجاز أن يكون بحضرتنا جبال شاهقة ، ونحن لانراه ، وأنه سفسطة ، ثم لايعقل من هذه الشرائط فى حق روءية الله الا سلامة الحاسة وصحة الروءية ، لكون البواقى مختصة بالاجسام وهما حاصلان الآن (١) ، هذا الدليل العقلى .

أما الأدلة السمعية فهى :

أولا : قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " والادراك المضاف للأبصار انما هو الروءية ، أو هما متلازمان لايصح نفى أحداهما مع اثبات الآخر ، فالآية نفت أن تراه الأبصار ، وذلك يتناول جميع الأبصار فى جميع الأوقات ، ولأنه تعالى تمدح بكونه لايرى ، وما كان عدمه مدحا كان وجوده نقصا يجب تنزيه الله عنه (٢) .

ثانيا : أنه تعالى ما ذكر الروءية الا وقد استعظمه ، وذلك فى ثلاث آيات :

الأولى : " وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا " (٣) ولو كانت الروءية ممكنة لما كان طالبها عاتيا مستكبرا بل كان ذلك نازلا منزل طلب سائر المعجزات .

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص٢٥٣ ، وأنظر المواقف لعضد الدين الايجى ص٣٠٧ ، وأنظر الرازى أصول الدين ص ٧١ .

(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص٢٣٦ ، وأنظر الرازى أصول الدين ص٧١ ، والايجى ص٣٠٧ .

(٣) سورة الفرقان : آية : ٢١ .

الثانية : "واذ قلتم ياموسى لن نوء من لك حتى نرى اللـه جهرة فأخذتكم الصاعقـة وأنتم تنظرون " (١)

الثالثة : **" يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقـد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا : أرنا اللـه جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم "** (٢) فسمى ذلك ظلما ، وجازاهم به فى الحال ، ولو جاز لكـان سوء الهم سوء الا لمعجزة زائدة " (٣)

ثالثا : قوله تعالى لموسى : **" لن ترانى "** (٤) ولن للتأبيد ، واذا لم يرء موسى ، لم يره غيره اجماعا " (٥)

رابعا : قوله تعالى : **" وما كان لبشر أن يكلمه اللـه الا وحيا أو من وراء حجاب"** (٦) واذا لم يره من يكلمه فى وقت الكلام لم يره غيره اجماعا . (٧)

كما استدل الجهمية فى انكار الرؤية بقولهم : لاينبغى لأحـد أن ينظر الى ربه ، لأن المنظور اليه معمول موصوف ، فقلنا لهم : أليس اللـه يقول : الـى ربها ناظرة " ؟ وانما ينظرون الى فعله وقدرته (٨) ، فقلنا لهم : انهـا مـع

---

(١) سورة البقرة : آية : ٥٥ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٥٣ .

(٣) عضد الادين الابجى : المواقف ص ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٤) سورة الأعراف: آية : ١٤٣ .

(٥) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٦٤

(٦) سورة الشورى: آية : ٥١ .

(٧) عضد الدين الابجى : المواقف ص ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٨) الامام أحمد : الرد على الجهمية والزنادقة تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ص ١٢٧ ، وأنظر جواب أهل السنة النبوية ص ١١٥ .

ماتنظر من الثواب هى ترى ربهـا فقالوا : ان اللـه لايرى فى الدنيا ولا فـى الآخـرة ، وتلوا آية من المتشابه من قوله جل ثناؤه " لاتدركه الأبصار " (١)

ومما سبق تبين لنا : كيف جحدت الزيدية والمعتزلة والجهمية رؤيـة اللـه تعالى ؟ ، وكيف أنكرت واستبعدت حصولهـا وعدم جوازها فى الدنيـا والآخـرة ؟ ، وكيف اتهمت من أثبتها بالتجسيم والتكييف والتجهيل ؟ والتمست لذلك الأدلة العقلية ، والنقلية لنفيها واستبعادها .

فعطلت بذلك ماورد من النصوص الثابتة بالكتاب والسنة ، وادارت ظهرهـا فى رد ماثبت بالتواتر من الاحاديث النبوية الصحيحـة وتلقتهـا الأمـة بالقبول ، وتأولت الآيات الواردة منهـا تأويلا لم ينزل به من سلطان ولا برهان .

وقد حرر مثبتوا الرؤية فى الرد على شبه المنكرين الجوابات المفحمـة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، فأظهروا تهافت هؤلاء ، وخروجهـم عما أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا ، فقدم الشوكانى مابين ضلالهم وجهلهـم للسنة الغراء ، كما ذكرت السلفية العديد من البحوث والردود ، وأجابت عن كل ماتعلق به النفاة عقلا ونقلا ، فظهر الحق ، وزهق الباطل ، وسلم للمعتصميـن بالكتاب والسنة معتقدهم فى رؤية اللـه تعالى والنظر الى وجهه الكريم فـى الآخـرة ، واللـه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

مناقشة الشوكانى والسلفية " للزيدية " والرد على شبه المنكرين :

تنقسم شبه النفاة والمنكرين الى شبه عقلية وأخـرى نقليـة ، يلزمنا ردها والاجابة على كل منها .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

أولا : الشبه السمعية :

احتج المنكرون لرؤية اللـه تعالى ببعض الآيات منها :

الأولى : قوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " (١) **فقالوا :**

الادراك المضاف الى الأبصار انما هو الرؤية أو هما متلازمان لايصح نفى احداهما مع اثبات الآخر ، فالآية نفت أن تراه فى جميع الأوقات (٢) ، ولأنه تمدح بكونه لايرى ، وما كان عدمه مدحا كان وجوده نقصا (٣) يجب تنزيه اللـه عنه .

الجواب على ذلك :

نقول لهؤلاء النفاة من الزيدية والمعتزلة : نقل اجماع السلف على اثبات الرؤية بالعين فى الآخرة ونفيها فى الدنيا قال الشوكانى : ثبتت الرؤية بالأحاديث المتواترة ، تواترا لاشك فيه ، ولا شبهة ، ولا يجهله الا من يجهل السنة المطهرة جهلا عظيما (٤) .

فالصحابة والتابعون وأئمة الاسلام كلهم متفقون على اثبات الرؤية للـه تعالى ، والأحاديث بها متواترة ، وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين (٥) كما بينت من قبل .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) عضد الدين الايجى : المواقف ص ٣٠٨ .

(٣) فخر الدين الرازى : أصول الدين ص ٧١ ، وأنظر القاضى عبد الجبار شرح الاصول الخمسة تحقيق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٤٢ .

(٤) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .

(٥) ابن تيمية : دقائق التفسير جمع وتحقيق د . محمد السيد الجلنيد جـ ٣٠ ص ٢٠٨ .

أما الاحتجاج بالآية : فالآية حجة عليهم لا لهم :

يقول ابن تيمية : ان الادراك ، اما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة ، والأول باطل ، لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال انه أدركه ، كما لا يقال أحاط به ... فبين لفظ الرؤية والادراك عموم وخصوص ، فقد تقع رؤية بلا ادراك (١) ، وقد يقع ادراك بلا رؤية ، فالمنفى هو مجرد الادراك لا مجرد الرؤيـة (٢) .

يقول الايجى فى المواقف : الادراك هو الرؤية على نعت الاحاطة بجوانب المرئى ، اذ حقيقته النيل والوصول ، والرؤية المكيفة أخص من المطلقة ، فلا يلزم من نفيها نفيها ، ويصح أن يقال : رأيته وما أدركه بصرى ، أى لم يحط به (٣) ، فيكون معنى الآية : لا تحيط به الأبصار ، كما ورد عن ابن عباس ، وقال سعيد بن المسيب ، وعطاء .

فالمنفى : الاحاطة بالحقيقة والكنه ، وليس فى ذلك دفع الرؤية ، لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرؤية . وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث (٤) .

وأما قولهم : بأن الآية نفت أن تراه الابصار ، وذلك يتناول جميع الابصار ، فى جميع الاوقات (٥) .

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير ، جمع وتحقيق د . محمد السيد الجلنيد جـ ٣ ص ٢١٠ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣) عضد الدين الايجى : المواقف ص ٣٠٩ .

(٤) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ٩٨ .

(٥) الايجى : المواقف ص ٣٠٨ وانظر الالوسى روح المعانى جـ ٧ ص ٢٤٥ .

فيقال لهم : على فرض أنه يتناول جميع الابصار ، فان هذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له فى الدار الآخرة . كما نقول لهم: لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفى الادراك ، ولا يلزم من نفى الأخص انتفاء الأعم (١) ، فعلى تسليم أن نفى الادراك يستلزم نفى الرؤية ، فالمراد الرؤية الخاصة فقد تقرر فى علم البيان والميزان : أن رفع الايجاب الكلى سلب جزئى ، فالمعنى : لاتدركه بعض الأبصار ، وهى ابصار الكفار ، والتقدير : لاتدركه كل الأبصار بل بعضها ، وهى أبصار المؤمنين (٢) فهذا يفيد سلب العموم ، ولا يفيد عموم السلب ، وتخصيص هذا السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم فى بعض أفراد المجموع (٣) .

وأما قولهم : بأنه تمدح بأنه لايرى .

فقد أجيب عنه : بأن الآية على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فان الله تعالى ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح انما يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض ، فليس بكمال ، ولا يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم .

فلو كان المراد بقوله : "لاتدركه الأبصار" أنه لايرى بحال ، لم يكن فى ذلك مدح ولا كمال ، لمشاركة المعدوم له فى ذلك (٥) ، فمعلوم أن كون الشىء لايرى ليس صفة مدح ، لأن النفى المحض لايكون مدحا ان لم يتضمن أمرا ثبوتيا ، ولأن المعدوم لايرى ، فعلم أن مجرد الرؤية لا مدح فيه (٦) .

---

(١) ابن كثير : مختصر الصابونى جـ ١ ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٢ ص ١٤٨ .

(٣) الرازى : مفاتيح الغيب جـ ١٣ ص ١٣٢ .

(٤) ابن القيم الجوزية : حادى الأرواح ص ٢٨٥ .

(٥) المصدر السابق :

(٦) ابن تيمية : دقائق التفسير ص ٢١٠ .

وعلى ذلك يكون المعنى : أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، فقوله : " لاتدركه الأبصار " يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شيء ، وأنه لكمال عظمته لايدرك بحيث يحاط به ، فان " الادراك " هو الاحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية (١) .

الثانية : قوله تعالى لموسى عليه السلام لما سأله الرؤية : " لن تراني " (٢) تعلق نفاة الرؤية من المعتزلة والزيدية بهذه الآية وقالوا : لن تفيد التأبيد فاذا لم يره موسى ، لم يره غيره اجماعا (٣) ،وبناء على قولهم أن لن تفيد التأبيد ، وجب أن يقال : ان موسى عليه السلام لايرى الله تعالى البتة ، وكل من قال ان موسى لايرى الله البتة ، قال : ان غيره لايراها أيضا (٤) ، وذلك لعجز الحواس والعقول عن درك المعبود فلا يدرك بهن ، ولا تدرك ذاته بشيء (٥) .

الجواب على ذلك :

نقول للنفاة : ان جواب موسى عليه السلام بقوله تعالى : " لن تراني " يفيد أنه لايراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه وأنه لايرى مادام الرائي في دار الدنيا حيا ، كما أن سؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده ، فلو كانت مستحيلة لما سألها (٦) ، وهذا يدل على أنه تعالى يرى ، ولكن

---

(١) ابن أبي العز : شرح الطحاوية ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ٢٠١

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .

(٣) عضد الدين الايجي : المواقف ص ٣٠٠ .

(٤) فخر الدين الرازي : أصول الدين ص ٧١ .

(٥) الامام الهادي : رسائل العدل والتوحيد تحقيق د . محمد عمارة جـ ٢ ص ٧٠ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٣ .

موسى لا تتحمل قواه رؤيته فى هذا الدار لضعف قوة البشر فيهـا عن رؤيتـه تعـالى .(١)

وأما قول النفاة بأن " لن ترانى " لنفى الأبد فهذا غلط ، لأنهـا وردت ، وليس المراد بهـا الأبد فى قوله تعالى : " ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم"(٢) ثم أخبر عنهم بتمنيه فى النار فى قوله تعالى : " يامالك ليقض علينا ربك"(٣) (٤)

فاتضح من ذلك أن ما استدل به الزيدية والمعتزلة وغيرهم ، أضعف مايكون ، ولا ينهض أن يكون حجة ، وخصوصا لدليل التواتر الذى ثبت به رؤية المؤمنين لربهـم فى الدار الآخـرة .(٥)

وعلى ذلك تكون رؤيته تعالى جائزة عقلا ، لأن كل موجود يجوز أن يرى عقلا ، ويدل لجوازها عقلا قول موسى عليه السلام : " رب أرنى أنظر اليـك " لأنه لايجهل الجائز فى حقـه عقلا(٦) ، كما يدل على ذلك قوله : " لـن ترانى " ولم يقل لا أرى ، فلما قال ذلك ، علم أن هذا يدل على أنه تعالى فـى ذاته جائز الرؤية .(٧)

فتبين من ذلك : أن " لن " لاتقتضى النفى المؤبد ، قال جمال الدين ابن مالك :

---

(١) ابن القيم الجوزية : حادى الأروى الارواح ص ٢٧٨ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٩٥ .

(٣) سورة الزخرف: آية : ٧٧ .

(٤) ابن الجوزى : زاد المسير جـ ٣ ص ٢٥٦ .

(٥) ابن كثيـر : مختصر تفسير ابن كثير للصابونى جـ ٢ ص ٤٨ .

(٦) الشنقيطـى : دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ١٢٢ .

(٧) الـرازى : مفاتيح الغيب جـ ١٤ ص ٢٤٠ .

ومن رأى النفى بلن مؤبدا ٥٥ فقوله اردد وسواه فاعضد (١)

كما ذكر علماء السلفية أن الآية تدل على الرؤية من وجوه متعددة :

قال ابن القيم الجوزية :

أحدها : أنه لايظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالا يجوز عليه .

الوجه الثانى : أن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالا لأنكره عليه ... ولهذا لما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله ، وقال : " انى أعظك أن تكون من الجاهلين " (٢)

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله : " لن ترانى " ولم يقل لاترانى ، ولا أنى لست بمرئى ، ولا تجوز رؤيتى ، والفرق ظاهر بين الجوابين لمن تأمله .

الوجه الرابع : أن الله تعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه ، وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن ، وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته .

الوجه الخامس : قوله سبحانه وتعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا " وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فانه اذا أجاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لاثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ، ورسله وأوليائه فى دار كرامته ، ويريهم نفسه . (٣)

الوجه السادس : ان ربه سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية جـ ١ ص ٢٠٠ .

(٢) سورة هود : آية : ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) ابن القيم الجوزية : حادى الارواح ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩ ، وانظر ابن أبى العز شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص ١٩٩ .

أولى بالجواز (١) .

فقولهم : أن " ولن " تقتضى النفى المؤبد ليس بصحيح وانما تقتضى النفى فى المستقبل ، ولا تدل على دوام النفى ، ولو قيدت بالتأبيد ، فكيف اذا أطلقت ؟ (٢) .

الثالثة : تأول النفاة من المعتزلة والزيدية الآيات الواردة فى النظر نحو قوله تعالى : " الى ربهـا ناظرة " (٣) بأنها منتظرة ، فقالوا : ان النظر المذكور بمعنى الانتظار ، فكأنه تعالى قال : وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربهـا منتظرة ، والنظر بمعنى الانتظار (٤) ، فالوجوه يومئذ تكون نضرة ، مشرقة ناعمة ، الى ثواب ربهـا منتظرة (٥) .

الجواب على ذلك :

أجاب الشوكانى بما يقمع النفاة فقال : ان هذا القول خطأ ، لأنه لايقال نظر الى كذا بمعنى الانتظار ، وأن قول القائل : نظرت الى فـلان فليس الا روءية العين ، كما قال الشاعر :

نظرت اليها والنجوم كأنهـا ٥ ٥ مصابيح رهبان تشب لقعال (٦)

فاضافـة النظر الى الوجـه ، الذى هو محله فى الآية ، وتعديه بأداة " الى " الصريحـة فى نظر العين ، واخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافـه ، حقيقـة

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية جـ ١ ص ٢٠٠ .

(٢) ابن قيم الجوزية : حادى الارواح ص ٢٧٩ .

(٣) سورة القيامـة : آية : ٢٣ .

(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة تحقيـق د . عبد الكريم عثمان ص ٢٤٥

(٥) القاسم الرسى : رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة جـ ٢ ص ١٠٨

(٦) الشوكـانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٩ .

موضوعة صريحة ، فى أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل جلاله (١) ، وهذا قول جمهور أهل العلم .

وعلى ذلك لايكون المراد بذلك ، الا ما تواترت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون الى ربهم يوم القيامة كما ينظرون الى القمر ليلة البدر (٢) .

فنحن اذا أجرنا هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدناها تنادى نداء صريحا ، أن الله سبحانه يرى عيانا بالأبصار يوم القيامة (٣) .

وبناء على ما بينه العلماء فى معنى الآية : من أن النظر المقرون بحرف الى المعدى الى الوجوه ليس الا بمعنى الرؤية ، فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار (٤) .

فقول النفاة من المعتزلة والزيدية : من أن النظر بمعنى الانتظار مردود فاسد ، لأنه لايتعدى بالى بل بنفسه ، وبأنه لايسند الى الوجه ، فلا يقال وجه زيد منتظر ، والمتبادر من الاسناد ، اسناد النظر الى الوجوه الحقيقية (٥) .

ثانيا : الشبه العقلية :

احتج المنكرون ببعض الأدلة العقلية منها :

١ ـ قولهم : ان لازم اثبات النصوص على ظاهرها اثبات التجسيم والتكييف ،

---

(١) ابن أبى العز : شرح الطحاوية تحقيق د . عبد الرحمن عميرة جـ ١ ص١٩٥ .
(٢) الشوكانى : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٣٨ .
(٣) ابن القيم الجوزية : حادى الأرواح ص ٢٨٨ .
(٤) الرازى : تفسير مفاتيح الغيب جـ ١٥ ص ٢٢٨ .
(٥) الالوسى : روح المعانى جـ ٢٩ ص ١٤٧ .

فقد اشتهر عندكم حديث : " سترون ربكم كالقمر ليلة البدر " فهل بعد هذا التكييف من بلاء ؟ " (١) .

الجواب على ذلك :

وقد أجيب عن هذه الشبهة : فقوله : قد اشتهر عندكم حديث : " سترون ربكم ... الخ ، يقال : هذا حق وصدق ، تواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودل على ذلك آيات كثيرة من القرآن (٢) . والعجيب أن قول الزيدية أن حديث الرؤية وما شابهه تكييف وعماء وضلال ، فاذا كان موسى عليه السلام قال لربه : " أرني أنظر اليك " أفيسأل موسى عليه السلام ماهو تكييف وتجسيم وعماء وضلال ؟ ، ويكون موسى عليه السلام لا يعرف ما يجوز على الله ، وما يمتنع عليه ، ويعرف ذلك جهم وشيعته من المعتزلة والزيدية ؟ فلا اله الا الله ما أقبح هذا الجهل وأبعده عن الصواب والسداد عند أولى الألباب (٣) .

كما ينبغي أن يعرف أن هذه الرؤية والنظر الى وجه الله الكريم ، بلا كيفية ، ولا حد محدود ، ولا صفة معلومة ، كما جاء ذلك فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم .

يقول الشوكانى : أخرج ابن مردوية عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " قال : ينظرون الى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ، ولا صفة معلومة ... " (٤)

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : جواب أهل السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والزيدية ص ١١١ ، ١١٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١١ — ١١٤ .

(٣) المصدر السابق : نفس الصفحات .

(٤) الحديث أخرجه ابن مردونه عن أنس بن مالك أنظر الدر المنثور جـ ١ ص ٣٥٠ وأنظر الشوكانى جـ ٥ ص ٣٤٠ .

وعلى ذلك لا يكون لمن نفا الرؤية واستبعدها شيء يصلح للتمسك بـه لا من كتاب ، ولا من سنة .(١)

٢ ـ وعمدة نفاة الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، ومن وافقهم في بعض بدعتهم : قولهـم :

لو كان اللـه يرى في الآخرة لكان في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، وذلك على اللـه محال(٢) كما أن لهم شرط عقلي وضعوه : من أن الرؤية توجب كون المرئي محدثا .(٣)

الجواب على ذلك :

يقال لهؤلاء النفاة : أنتم لم تنفوا ما نفيتموه بكتاب ولا سنـة ولا اجماع ، فان هذه الألفاظ ليس لها وجود في النصوص ، بل قولكم : " لو رؤي لكان في جهة ، وما كان في جهة فهو جسم ، وما كان جسما فهو محدث ، كلام تدّعون أنكم علمتم صحته بالعقل ، وحينئذ تطالبون بالدلالة العقلية على هـذا النفي ، وينظر فيها بنفس العقل .(٤)

فان كان مرادهم : أن المرئي لابد أن يكون معاينا تجاه الرائي ، وماكان كذلك فهو جسم ، ونحو هذا الكلام ، قلنا لهم : الصادق المصدوق صلى اللـه عليه وسلم قال : انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " وقال : هل تضامون في رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضامـون

---

(١) الشوكاني : فتح القدير جـ ٥ ص ٣٤٠ .
(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم جـ١ ص٢٤٧
(٣) اللالكائي : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق د . أحمد سعـد حمدان جـ ٣ ص ٤٥٤ .
(٤) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل جـ ١ ص ٢٤٧ - ٢٥٢

فى رؤية القمر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا قال : فانكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر " وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئى بالمرئى ، وفى لفظ فى الصحيح : " انكم ترون ربكم عيانا " (١) فاذا قد أخبرنا أنا نراه عيانا . (٢)

وأما الشرط العقلى الذى وضعوه من أن الرؤية توجب كون المرئى محدثا : فهذا من قصور التفكير البشرى الذى يقيس الأمور الغيبية بما ألفه فى دنياه ، ويقيس الهه ومعبوده بالمخلوق الضعيف . (٣)

ثم أن ما تصوروه من لوازم الرؤية غير وارد . قال ابن بطال :

" وما تمسكوا به فاسد لقيام الأدلة على أن اللـه تعالى موجود والرؤية فى تعلقها بالمرئى بمنزلة العلم فى تعلقه بالمعلوم ، فاذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه ، فكذلك المرئى . (٤)

---

(١) ورد حديث الرؤية بروايات مختلفة ومن طرق عدة فى البخارى ٩ / ١٢٧ (كتاب التوحيد) باب ما ذكر فى الذات والنعوت وأسامى اللـه) ، وفى مسلم ١ / ١٦٤ (كتاب الايمان) ، والحديث أيضا فى سنن أبى داود ٤ / ٢٣٣ — ٢٣٤ (كتاب السنة) باب الرؤية) ، سنن ابن ماجه ١ / ٦٣ (المقدمة) باب فيما أنكرت الجهمية) ، والترمذى ١٠ / ١٨ — ١٩ بشرح ابن العربى ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣) اللالكائى : أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د . أحمد سعد حمدان جـ ٣ ص ٤٥٤ .

(٤) الفتح : ١٣ ص ٤٢٦ .

وما ورد من الأدلة السمعية ومذاهب علماء الأمـة من اثبات الرؤيـة من غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا الذى أوردوه مقنع لمن أراد الحق (١) .

---

(١) يراجع تفسير الطبرى : ٧ : ٢٩٧ ـ ٣٠٤ ، والفتح ١٣ : ٤٢٦ ، والملل والنحـل ١ : ٨٨ ، وتلبيس الجهمية ٢ : ٣٥٢ ، وشـرح الطحاوية ١٤٣ ـ ١٥٧ ، ومختصر الصواعق ١ : ٢٨٤ ، وحـادى الأرواح ٢٠٢ .

الخاتمــــــــــــــــــــــــة

الخاتمـــــــــة

لعلنا نستطيع الآن بعـد ما تقـدم من دراسة آراء الشوكانى ومنهجه فى بحـث المسائل الاعتقادية ، وما كان من أثر هـذا المنهج ، وتلك الطريقة فى معالجته لأمهـات المشاكل الكلامية التى وقـع فيهـا الزيدية والمعتزلـة مثل تقديم العقل على النقل ، وتأويل النصوص واخراجهـا عن ظاهرهـا ، واثبات وجـود اللـه على طريقـة الاعتزال الزيدى ووحدانيـة اللـه تعالى وصفاته ، وعموم مشيئته وقدرته واثبات رؤية اللـه تعالى فى الآخـرة ، الى غير ذلك من المسائل التى عالجهـا الشوكانى فى جرأة وقوة منطـق تجديدا لعقيدة السلف وأئمة الحديث .

وقد توصلت فى هذه الرسالة الى النتائج التالية :

أولا :

ان الشوكانى مما لا شك فيه قـد عالج المسائل العقدية ودافـع عنهـا كما أنه استطاع أن يدافع عن المذهب السلفى على طريقـة السلف بحرارة وقوة لم يسبق اليهـا فى قطره اليمنى بنفس الهمة والأسلوب والبيان ، فوقف من خصوم المذهب السلفى موقف المعارض القوى الذى يحتكم الـى العقل والنقل معـا .

فاذا كانت مذاهب العقليين من الفلاسفـة والزيدية والمعتزلة قد فشلت فى حل المسائل الاعتقادية بتطرفهـا فى ناحية العقل ، واستخفافهـا بالنصوص ، وكانت الزيدية قد جاوزت هؤلاء العقليين فى القول بضـرورة تأويل النصوص التى يظهر مصادمتها للعقل فى نظرهم ، فان الشوكانى قد نجح

فى رد اعتبار النصوص اليهـا وجعلهـا هى المرجع الأول والأخير فى جميع مسائل الدين .

ثانيا :

اذا كان المذهب الزيدى المعتزلى قد نجح فى بسط سلطانه على معظم القطر اليمنى لمدة طويلة بفضل ما انتسب اليه وناصره من الأمراء أمثال القاسم الرسى وحفيده الامام الهادى ومن بعده من أئمة ، وبفضل من تزعمه ودعا اليه من علماء الزيدية ، فان المذهب السلفى بعد الشوكانى ومن سبقه من العلماء الذين كانوا على عقيدة أهل البيت والسلف الصالح أمثال ابن الوزير اليمنى ، ومحمد بن اسماعيل الأمير ، والمقبلى ، أصبح المذهب السلفى بعد هؤلاء والشوكانى يزاحم اليوم الزيدية كل المزاحمة ، وينازعونهم هذا النفوذ والسلطان .

ثالثا :

اننا لانستطيع أن نقدر المذهب السلفى الذى دعا اليه الشوكانى وما قدمه الى المجتمع الاسلامى من خير الا اذا صورنا لأنفسنا ما كان يعانيه المسلمون فى عصر الشوكانى الذى ظهر فيه من فوضى بالغة فى العقيدة فقد كثرت فيه الفرق والمقالات كثرة لاحد لها كما بينت ذلك من قبل ، وكانت هذه الفرق تتناحر وتتقاتل فيما بينها وكل فرقة تدعى أنها على الحق ، وتتلاعب بالنصوص فتؤولها بما يتفق مع مذهبها ، وان خالف ذلك أبسط قواعد اللغة وأسلوب أهلها فى التخاطب ، وكان الناس لايرجعون فى شىء من أمر العقيدة ، لا الى كتاب ولا سنة ، بل كانوا يأخذون عقائدهم من كتب هؤلاء المتكلمين ، المحشوة بالجدليات والمتناقضات ، ومسائل الخلافات ، ليس فيها ما يروى غليلا

ولا يشفى عليلا ، ولا يكسب القلب ايمانا وطمأنينة ، فضعفت بذلك قدسيتها من النفوس ، واجترأ الناس على الكلام فى اللـه وصفاته بما لم يأذن بـه ، فخبا نور الايمان ، وطمست معالم الحقيقة ، والتبس على الناس طريق الايمان ونور الاسلام الصحيح . فجاء الشوكانى فهاله هذا الأمر ، وما وصلت اليه حال المسلمين من سوء فوقف حياته كلها على معالجة هذه الأمراض بشتى الطرق والوسائل ، فأعلن حربا لا هوادة فيها على هذه الطوائف كلها ، وأخذ يظهر زيغها وبطلانها وبعدها عن منهج الكتاب والسنة ، ويدعوها الى الرجوع الى طريقة السلف الأول من الصحابة والتابعين ، معتقدا أنه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها .

رابعا :

اصبح واضحا من خلال هذه الرسالة أن الشوكانى كان يرمى من وراء دعوة الناس للرجوع الى الكتاب والسنة الى الأمور الآتية :

١ — تطهير العقيدة الاسلامية مما داخلها من الزيغ والانحراف وعبادة غير اللـه تعالى .

٢ — تخليص العقيدة مما لحق بها من أوضار الفلسفة الدخيلة وألوان الجدل العقيمة التى لاتسمن ولا تغنى من جوع .

٣ — كان يرمى كذلك الى القضاء على تلك العصبية المذهبية التى كانت قد تمكنت من نفوس علماء الزيدية فى اليمن وسائر العلماء فى الأقطار الاسلامية الأخرى ، حتى حملتهم على معاداة بعضهم بعضا ، وتكفير بعضهم بعضا ، والتى كانت سببا فيما ابتلى به المسلمون ، من الضعف والخذلان ، وتسلط الأعداء من الفرنجة والانجليز ، والفرنسيس وغيرهم .

جزاء وفاقا ، لما تركوا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان الشوكانى أدرك تمام الادراك : أن الناس اذا تركوا بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، اذ لم يبق حق جامع يشتركون فيه ، بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون

٤ — تبين من البحث أن دعوة الشوكانى ، كانت اصلاح واحياء وتجديد ، فهو بحق أبو النهضة الاسلامية الحديثة فى اليمن خاصة وأحد زعماء النهضة الاسلامية الحديثة فى العالم الاسلامى بعد ابن تيمية وابن القيم الجوزية ، ومحمد بن عبد الوهاب وأضرابهم ، فهو الذى وضع أساس هذه النهضة فى اليمن وجميع دعاة الاصلاح من بعده انما بهديه اقتدوا ، وعلى كتبه تخرجوا •

خامسا :

هذا البحث كشف عن قوة شخصية الشوكانى ، ومرونته فى الدعوة واظهار الحق ، واماطة اللثام عن الباطل الذى كان ينتهجه الناس، فاستطاع هو أن يؤسس وسط مجتمعه الملىء بالمتناقضات مدرسة لدراسة الحديث النبوى والعقيدة السلفية رغم فشل المحاولات الكثيرة التى سبقته من قبل أئمة أعلام كابن الأمير والمقبلى والجلال وابن الوزير وغيرهم ، وهذا ان دل على شىء انما يدل على شجاعة ومرونة وقوة فى الشخصية •

سادسا :

تبين من خلال التعرض لنصوص صفات الله تعالى وأسمائه ، أن تفسيره لها تفسيرا سلفيا الا القليل النزر كصفة الوجه الذى أقر به وأثبته بالنصوص الحديثية ، وأنه يعتمد فى اثبات الصفات وتفسيره للنصوص فى

سائر فصول هذه الرسالة على الأحاديث الصحيحة ويقدمها على ماورد فى غيرها من دواوين السنة وكذا المرفوعة ، والآثار والقراءات الصحيحة ، ولغة العرب لكى يتوصل الى معنى النص والآية .

سابعا :

احتكم الشوكانى فى مهاجمته للزيدية والمعتزلة وسائر النفاة والمعطلين الى اللغة والنحو ومذاهب القراء وأغراضهم واستشهد بالشعر ، واستعمل فى اخراج المعانى الصحيحة أصول التفسير وأصول الفقه ، فوضح فى مباحثه الاشتقاق والاشتراك والاطلاق والتقييد والخاص والعام ، وتمكن من علم الميزان والبيان فى توضيح معانى الآى كما ظهر ذلك عند قوله تعالى : " **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** " (١) ، وعند قوله : " **لن ترانى** " (٢) وعند قوله تعالى : " **الرحمن على العرش استوى** " (٣) فى اثبات الاستواء وصفة العلو " وغيرها من الآيات التى احتجت بها الزيدية والمعتزلة فى النفى والتعطيل .

ثامنا :

توصلت فى جميع الفصول التى تكونت منها هذه الرسالة الى مدى ماوصلت اليه الزيدية من اتفاق فى المسائل الكلامية والأصول الاعتقادية مع المعتزلة اذا ما استثنينا مسألة الامامة حتى يمكن القول : أن الزيدية والمعتزلة من خلال علم الكلام والاتفاق فى مسائل الأصول ، يعدان فرقة واحدة ، أما الذين خرجوا كلية من ربقة المعتزلة كامثال ابن الوزير صاحب " الروض الباسم " ، والشوكانى ، وبعض تلاميذه ، لم يصبهم من الاعتزال شيئا .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٤٣ .

(٣) سورة طه : آية : ٥ .

تاسعا :

توصلت الى أن الزيديين لم يسيروا على طريقة زيد ، وأن انتسابهم اليه كان باطلا ،لأنه كان على العقيدة السلفية التى كان يدين بها ويعتقدها أهل البيت الأطهار . أما المتأخرون فكانوا معتزلة فى عقائدهم فى كل الموارد كما بينه صاحب العلم الشامخ ، وذكره الأشعرى فى المقالات" وبينته فى سائر فصول البحث .

عاشرا :

ظهر بالدليل العقلى والنقلى خروج الزيدية على ما أجمعت عليه الأمة سلفا وأئمة العلم والحديث خلفا فى صرف النصوص عن ظاهرها وتأويل الآيات بما يخرجها عن مدلولاتها الصريحة ، واعتناقها أصول المعتزلة الخمسة التى أنكرت بها صفات الله عز وجل الثابتة له بالكتاب والسنة ، كما سلكت فى الاستدلال على وجود الله الأدلة المعتاصة واستخدمت الجواهر والاعراض التى لزم عنها لوازم فاسدة ، فأنكرت عموم القدر والمشيئة وجعلت مع الله خالقين لاستقلالهم بالافعال عن عموم ارادته وقدره الكونى لجميع خلقه كما أنها أنكرت ما أجمعت عليها الأمة سلفا وخلفا وما تواترت به الأحاديث من النظر الى وجه الله عز وجل وروءيته فى الدار الآخرة .

حادي عشر :

توصلت فى هذه الرسالة فى جميع فصولها الى قوة الحجة السلفية فى الرد على الزائغين من المعتزلة والزيدية والجهمية وأهل الكلام واستخدامهم فى الدفاع عن العقيدة السلفية وما كان عليه السلف الصالح وتابعيهم باحسان طريقة المناظرة والجدال بالتى هى أحسن

مع استعمال صحيح المنقول وصريح المعقول فى الرد على المخالفين والمبطلين ، فانه لا تناقض بين سمع صحيح وعقل صريح كما أجاد بيان ذلك شيخ الاسـلام ابن تيمية رحمه اللـه .

هذا وباللـه تعالى التوفيق ، وهو الهادى الى صراطه المستقيم .

تمت الرسالة بحمد اللـه تعالى وعونه . وآخر دعوانا أن الحمد للـه رب العالمين ، وصلى اللـه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * * * * * *

أهم المصادر والمراجع

أهم المصادر والمراجع

أولا : المراجع المخطوطة :

* ابن الوزير (الهادى بن ابراهيم) :

١ ـ الارشاد الهادى فى عقيدة الزيديـــة .

مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٧ ـ عقائد تيمور .

* الحسنى (محمد بن ابراهيم بن القاسم) :

٢ ـ طبقات الزيدية .

مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٨٤٨ خ .

* ابن الوزير (محمد بن ابراهيم) :

٣ ـ العواصم والقواصم فى الذب عن سنة أبى القاسم .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٥ ـ علم الكلام ـ

ثلاث مجلدات .

* أبو طالب (عبد الكريم بن عبد اللـــه) :

٤ ـ الارشاد الهادى الى كشف مستور منظومة الهادى .

مكتبة محمد بن محمد المنصور ـ صنعاء .

* ابن مثوبه (الحسن بن أحمد) :

٥ ـ التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض .

دار الكتب المصرية (ب) ٢٧٩٨٤ .

* الامام يحى بن حمزة :

٦ ـ التمهيد لأدلة التوحيد

دار الكتب المصرية (ب) ٢٨٦٧٧ ٠

٧ ـ الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول الدينية ٠

دار الكتب المصرية (ب) ٢٩٠٥٣ ٠

* حميد أحمد المحلى :

٨ ـ الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية ٠

دار الكتب المصرية تاريخ ١٥٦٣٢ ٠

* الرصـــــاص : (أحمد بن الحسن بن أبى بكر) :

٩ ـ الواسطة فى أصول الدين ٠

دار الكتب المصرية (ب) ٢٨٧٩٢ ٠

* عبد اللـه بن محمد :

١٠ ـ شرح القلائد فى تصحيح العقائد (المقدمـــــة) ٠

مكتبة محمد بن محمد المنصور ـ صنعاء

* الامام عبد اللـه بن حمزة :

١١ ـ الشافـــــى ٠

دار الكتب المصرية (ب) ٢٩٠٢٥ ٠

* أحمد عبد اللـه عـــارف :

١٢ ـ أصول الاتفاق فى القضايا الكلامية بين الزيدية والمعتزلة ٠

رسالة ماجستير بدار العلوم القاهرة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

* حسن عبد اللطيف الرافعى :

١٣ ـ الآمدى وكتابه غاية المـــــرام ٠

(رسالة ماجستير بدار العـــــلوم ٠

* أبو القاسم (الحسن بن الرصاص) :

١٤ ـ شرح الثلاثين مسألة ٠

المخطوط بالمكتبة الخاصة لعبد الوهـــاب الديلمى ٠

ثانيا : أهم المصادر والمراجع المطبوعة

القرآن الكريم .

(أ)

* الأشعرى : (أبو الحسن الأشعرى) :

١٥ ـ الابانة عن أصول الديانـــة .

نشره قصى محب الدين الخطيـــب .

١٦ ـ اللمع فى الرد على أهل البـدع والزيغ .

تحقيق د . حمودة غرابـــة .

١٧ ـ مقالات الاسلاميين .

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميـــد .

مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعـة الثانية القاهرة ١٩٦٩م

* ابن تيمية (شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام بن

تيمية الحرانى الدمشقى .

١٨ ـ الرد على النطقيين .

طبعـة بومباى ١٩٦٨م .

١٩ ـ نقض المنطق ـ تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى وآخران .

ط أولى .

٢٠ ـ درء تعارض العقل والنقل تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

دار الكتب المصرية ١٩٧١م بالقاهـــرة .

٢١ ـ منهاج السنة النبوية (جزءان) .

المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٢١هـ بالقاهرة .

٢٢ ـ الاكليل فى المتشابه والتأويل .

ط صبيح ١٩٦٦ .

٢٣ ـ الارادة والأمر .

طبعة صبيح ١٩٦٦م ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١٩٦٦م

٢٤ ـ شرح العقيدة الأصفهانية . تقديم حسنين محمد مخلوف .

دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفى .

٢٥ ـ نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان (مختصر السيوطى) .

طبعة دار السعادة بالقاهرة .

٢٦ ـ النبوات .

المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٦هـ .

٢٧ ـ تفسير سورة الاخلاص .

ط المحمدية بالقاهرة .

٢٨ ـ المناظرة فى العقيدة الواسطية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى .

جـ ١ الجزء الأول ١٩٦٦م صبيح .

٢٩ ـ العقيدة الواسطية .

شرح الدكتور محمد خليل هراس .

الطبعة الرابعة ـ توزيع المكتب التعليمى السعودى بالمغرب .

٣٠ ـ معارج الوصول الى أصول الدين وفروعه .

نشره قصى الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ١٣٨٧هـ

٣١ ـ لغة المرتاد فى الرد على القرامطة أهل الالحـــاد ٠

ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى ٠ الجـزء الخامس ٠

١٣٢٨هـ ط كردستان ٠

٣٢ ـ الرسالة السبعينية ٠

ضمن مجموعة الفتاوى الكبرى ـ الجزء الخامس ١٣٨١هـ ٠

٣٣ ـ رسالة فى الحقيقـــة والمجـــاز ٠

المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥١هـ ٠

٣٤ ـ مجموعة الرسائل والمسائل ٠

ط المنار تحقيق محمد رشيد رضا ١٣٤١ هـ ٠

٣٥ ـ مقدمة فى أصول التفسـير ٠

ط السلفية ١٣٨٥ هـ ٠

٣٦ ـ كتاب الايمـــان ٠

تحقيق الدكتور محمد خليل هراس الطبعة الأولى ٠

٣٧ ـ الرسالة التدمريـــة ٠

المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ٠

٣٨ ـ الرد على الجهميـــة ٠

تحقيق محمد حامد الفقى ١٩٥٩ هـ ٠

٣٩ ـ العقيدة الحموية الكبرى ٠

ط صبيح ١٩٦٦ م ضمن الرسائل الكبرى الجزء الأول

٤٠ ـ كتاب التوحيـــــد ٠

تحقيق د ٠ محمد السيد الجلنيد ـ دار الفكر الحديـث

للطباعـة ١٩٧٣م ٠

٤١ ـ الرد على فلسفة ابن رشـــد .

ضمن مجموعة المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة .

٤٢ ـ عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحـاديث .

تحقيق السيد محمد رشيد رضا .

٤٣ ـ مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .

جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي .

تصوير الطبعـة الأولى ١٣٩٨ هـ .

★ ابن القيم الجوزية (الامام شمس الدين أبو عبيدة محمد بن أبي بكر الدمشقي).

٤٤ ـ اغاثة اللهفـان من مصايد الشيطان .

تحقيق محمد حامد الفقي .

ط دار المعرفـــة بيروت .

٤٥ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . (مختصر الموصلي) .

تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي وعبد الرازق حمـــزة .

مكـــة ١٣٤٨ هـ .

٤٦ ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين .

الطبعـة الثانية ١٩٥٥م . تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .

٤٧ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية .

ط الامام بدون تاريخ .

٤٨ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر .

المطبعة الحسنية ١٣٢٢ هـ القاهرة .

٤٩ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ٠

ط السعادة ١٣٢٣ هـ القاهرة٠

٥٠ ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ٠

تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى ـ السنة المحمدية ١٩٥٥م٠

٥١ ـ حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ٠

تحقيق محمود حسن الربيع ٠

مطبعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٩٣٨م ٠

* الآمدى :

٥٢ ـ غاية المرام ٠

تحقيق الأستاذ حسن عبد اللطيف ٠

ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٧١م ٠

* ابن أبى الحديد : (عبد الحميد) :

٥٣ ـ شرح نهج البلاغة ٠

تحقيق محمد أبو الفضل ٠

ط دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٢م ٠

* أحمد بن شرف الدين :

٥٤ ـ تاريخ الفكر الاسلامى فى اليمن ٠

مطبعة الكيلانى القاهرة ١٩٦٨م ٠

* اسماعيل باشا محمد :

٥٥ ـ الذيل على كشف الظنون ٠

ط استانبول ١٩٤٥م ٠

* الامام أحمد بن حنبل :

٥٦ ـ الرد على الجهمية والزنادقـــة .

تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة . دار اللواء بالرياض .

٥٧ ـ كتاب السنـــة .

تصحيح الشيخ اسماعيل الانصارى . نشر وتوزيع لادارة

البحوث العلمية والدعوة والارشاد السعودية .

* ابراهيم مدكور :

٥٨ ـ فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه .

دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦م .

* أحمد بن يحى المرتضى :

٥٩ ـ القلائد فى تصحيح العقائد فى مقدمة البحر الزخار .

مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٤ هـ .

٦٠ ـ المنية والأمل فى الملل والنحـــل .

تحقيق محمد جواد مشهور .

دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .

* دكتور أحمد شلبى :

٦١ ـ موسوعة التاريخ والحضارة الاسلامية .

مكتبة النهضة الحديثة الطبعة الخامسة مصر .

* ابن الأثير : (عز الدين بن محمد الشيبانى :

٦٢ ـ الكامل فى التاريـــــــخ .

ط بولاق .

٦٣ ـ النهاية فى غريب الحديث ٠

طبعة المطبعة الخيرية بمصر ٠

* **أحمد أمين :**

٦٤ ـ ضحى الاسلام ٠

(الطبعة الأولى) مطبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٧٥م٠

٦٥ ـ فجر الاسلام ٠

مكتبة النهضة ـ القاهرة ـ ١٩٦٢م ٠

* **أحمد شرف الدين :**

٦٦ ـ اليمن عبر التاريخ ٠ (طبعة أولى) ٠

مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م ٠

* **أحمد محمود صبحى :**

٦٧ ـ الزيدية ٠

منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٨٠م ٠

* **الأصفهانى : (الراغب) :**

٦٨ ـ مفردات الراغب الاصفهانى فى غريب القرآن ٠

* **الايجى : (عضد الدين) :**

٦٩ ـ المواقف ٠

(مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٢٥ هـ) ٠

(ب)

* البغدادى : (أبو منصور عبد القاهر التميمى البغدادى) :

٧٠ ـ أصول الدين .

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

٧١ ـ الفرق بين الفرق .

نشر محمد محى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ دون تاريخ .

* البخارى : (الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برذبة البخارى) :

٧٢ ـ صحيح البخارى .

ط الشعب القاهرة ١٣٧٩ هـ .

٧٣ ـ خلق أفعال العباد والرد على الجهمية .

تحقيق الدكتور سامى النشار وعمار طالبى .

منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .

* البيهقى : (الامام الحافظ أبو بكر بن الحسين بن على البيهقى) :

٧٤ ـ الأسماء والصفات .

احياء التراث العربى ـ بيروت .

٧٥ ـ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة .

تحقيق الشيخ أحمد محمد موسى ١٩٦١ م .

* ابن أبى العز الحنفى : (على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى :

٧٦ ـ شرح الطحاوية .

تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ـ مكتبة المعارف بالرياض

١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

(ت)

* **الترمذى** : (الامام

٧٧ ـ سنن الترمذى .

مطبعة الفجالة ١٩٦٤ م .

(ث)

* **ابن الأثير** : (مجد الدين أبى السعادات ابن الأثير الجزرى) :

٧٨ ـ جامع الأصول فى أحاديث الرسول .

تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

نشر وتوزيع مكتبة الحلوانى والملاح ودار البيان ١٣٩٢ هـ

(ج)

* **الجوينى** : (أبو المعالى الجوينى) :

٧٩ ـ كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد .

تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى .

مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٥٠م .

٨٠ ـ الشامل فى أصول الدين .

جـ ١ تحقيق هلموت كلو مطبعة دار العرب ١٩٥٩م .

* **الجرجانى** : (على بن محمد بن على السيد الزين أبو الحسن الحسينى المعروف بالسيد الشريف الجرجانى) :

٨١ ـ شرح المواقف فى علم الكلام .

الموقف الخامس / تعليق الدكتور أحمد المهدى ، مكتبة الأزهر .

* ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى الحنبلى) :

٨٢ ـ زاد المسير فى علم التفسير .

تحقيق زهير الشويش ط المكتب الاسلامى .

٨٣ ـ تلبيس ابليس .

الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

(ح)

* ابن حزم :

٨٤ ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل .

المطبعة الأدبية ١٩١٧م .

* الحسينى : (حمد بن زبارة) :

٨٥ ـ ملحق البدر الطالع للشوكانى .

* أبو حنيفة : (الامام الأعظم النعمان بن ثابت الكوفى) :

٨٦ ـ الفقه الاكبر .

ط الخانجى القاهرة الطبعة الثانية ١٣٢٤ هـ .

* ابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ .

٨٧ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة ، ومعه الاستيعاب لابن عبد البر ٤٦٣ هـ .

مكتبة المثنى بغداد ، مطبعة السعادة بمصر .

٨٨ ـ بلوغ المرام فى أحاديث الأحكام .

المكتبة التجارية ١٣٥٢ هـ

٨٩ ـ فتح البارى شرح صحيح البخـارى .
تحقيق محمد فوءاد عبد الباقى ـ مراجعة محب الديـن
الخطيب ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة .

* الدكتور حسن ابراهيم حسن :

٩٠ ـ تاريخ الاسلام السياسى والاقتصادى .
مكتبة النهضة المصرية الطبعـة الخامسة ١٩٦٠م .

* حسنى زينة :

٩١ ـ العقل عند الزيديـة .
دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٨م .

* حاجى خليفة : (مصطفى بن عبد اللـه الشهير بحاجى خليفة) :

٩٢ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .
ط استانبول ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١م .

* حافظ بن أحمد حكمى :

٩٣ ـ العقيدة الاسلامية سوءال وجواب .
٩٤ ـ معارج القبول .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

* حسنين مخلوف :

٩٥ ـ صفوة البيان لمعانى القرآن .
دار الفكـر .

(خ)

* **ابن خزيمة** : (الحافظ محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر ، أبو بكر النيسابورى) :

٩٦ ـ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل التى وصف بها نفسه .

تعليق الدكتور محمد خليل هراس .

مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٨ م .

* **الخياط** : (أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان بن الخياط المعتزلى) :

٩٧ ـ الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد .

تعليق الدكتور نيبرج . دار الكتب المصرية ١٩٢٥م .

* **الخطابى** : (أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى) :

٩٨ ـ رسالة فى الغنية عن الكلام .

نشرها السيوطى فى صون المنطق . تحقيق د . على سامى النشار .

* **ابن خلدون** : (عبد الرحمن) :

٩٩ ـ تاريخ ابن خلدون ، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر .

طبعة ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م .

* **ابن خلكان** : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبى بكر) :

١٠٠ ـ وفيات الأعيان وأبناء الزمان .

تحقيق محمد عبد الحميد محى الدين ـ القاهرة ١٩٤٨م

(د)

* الدارمـــى : الامام

١٠١ ــ رد الامام الدارمى على بشر العنيد .
تحقيق محمد حامد الفقى ط السنة المحمدية ١٣٥٨هـ

* أبو داود :

١٠٢ ــ سنن أبى داود .
دار احياء السنة النبوية بيروت .

* دى بور :

١٠٣ ــ تاريخ الفلسفة فى الاسلام .

(ذ)

* الحافظ الذهبى : (أبو عبد اللــه شمس الدين محمد الذهبى) :

١٠٤ ــ تاريخ الاسلام وطبقــات المشاهير والأعــلام .
عنيت بنشره مكتبة القديس لحسام الدين المقدسى .

١٠٥ ــ تذكرة الحفـــاظ .
الطبعة الرابعة دار احياء التراث العربى بيروت لبنان .

١٠٦ ــ المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال .
حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب .

(ر)

* الرازى : (فخر الدين الرازى) :

١٠٧ ــ أساس التقـــــديس .
مطبعة كردستان مصر ١٣٢٨ هـ .

١٠٨ ـ مفاتيح الغيب تفسيره المعروف ،
ط ١٣٠٨هـ .

١٠٩ ـ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين .
مذيل بتلخيص المحصل للعلامة نصر الدين الطوسي
وحاشيته ، ومعالم أصول الدين للامام فخرالدين الرازي .

* ابن رشد : (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الاندلسي) :

١١٠ ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة .
تحقيق الدكتور محمود قاسم ـ الانجلو ١٩٦٤م .

١١١ ـ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .
١٩١٠م ط الخانجي .

* ابن رجب : (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي) :

١١٢ ـ فضل علم السلف على الخلف ،
ط مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٤٧ هـ .

* رزق الحجر :

١١٣ ـ ابن الوزير اليمني منهجه الكلامي .
ط الدار السعودية للنشر والتوزيع .

* الرصاص : (محمد بن الحسن الرصاص) :

١١٤ ـ الثلاثين مسألة .
تحقيق عبد السلام كتاني بيروت ١٩٧١م لبنان .

(ز)

* **الزركـــلى : (خير الدين الزركلى) :**

١١٥ ـ الاعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء •

مطبعة كوستاقوماس مصورة •

* **الزمخشـرى : (أبو القاسم جار اللـه محمود بن عمر) :**

١١٦ ـ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل •

نشر دار الفكر بيروت ١٩٧٧م •

* **زيد بن على :**

١١٧ ـ تاريخ حضـارة اليمـــن •

المطبعة السلفية القاهرة ١٣٩٦هـ •

* **الامام زيد :**

١١٨ ـ مسند الامام زيـــد

تخريج وتحقيق الواسعى عبد الواسع بن يحى

طبع القاهرة •

* **زهدى جار اللـه :**

١١٩ ـ المعتزلـــــة •

الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٧٤م •

* **الأزهـــرى :**

١٢٠ ـ تهذيب اللغـــة • تحقيق ابراهيم الابيارى •

ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م •

(س)

* **السيوطـــى : (أبوالفضل عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر جلال الدين السيوطـــى) :**

١٢١ ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور .

ط دار الفكر بيروت لبنان .

١٢٢ ـ صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام .

تعليق الدكتور على سامى النشار

مطبعـة السعادة الطبعة الأولى .

١٢٣ ـ الاتقان فى علوم القـــرآن .

مطبعـة الحلبى القاهرة دون تاريخ .

* **ابن سنان ثابت :**

١٢٤ ـ تاريخ أخبار القرامطـــة .

تحقيق د . سهيل زكار بيروت ١٩٧١م .

* **سيد سابق :**

١٢٥ ـ العقيـدة الاسلاميـــة .

دار الكتاب العربى بيروت لبنان الطبعة الثانيـة

سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

* **سليمان بن عبد اللـــه بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ) :**

١٢٦ ـ تيسير العزيز الحميد

المكتب الاسلامى الطبعة الخامسة .

(ش)

* **الشهرستانى : (عبد الكريم بن أبى بكر) :**

١٢٧ ـ الملل والنحل (تحقيق بدران) .

الطبعة الثانية مطبعة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٦م

١٢٨ ـ نهاية الاقدام .

نشرة جيوم سنة ١٩٣٤م .

* **الشوكانى : (محمد بن على الشوكانى) :**

١٢٩ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع .

الطبعة الأولى مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨هـ

١٣٠ ـ اتحاف الأكابر باسناد الدفاتر .

طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٨ هـ .

١٣١ ـ فتح القدير (تفسيره المعروف) .

ط الحلبية سنة ١٣٨٣ هـ .

١٣٢ ـ أدب الطلب ومنتهى الأدب .

١٣٣ ـ ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات .

ط دار النهضة العربية بمصر تحقيق ابراهيم هلال

الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ .

١٣٤ ـ ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول .

المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٧ هـ ، ومطبعة السعادة

١٣٦٥ هـ ، ومطبعة الحلبى سنة ١٣٥٦ هـ .

١٣٥ ـ تحفة الذاكرين فى شرح عدة الحصن الحصين .

ط الحلبى سنة ١٣٥٠ هـ .

١٣٦ ـ التحف فى مذاهب السلف •

ط المنيرية سنة ١٣٨٣ هـ •

١٣٧ ـ تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام • تحت اسم

" كشف الشبهات عن المشتبهات " •

تحقيق دكتور ابراهيم هلال •

١٣٨ ـ الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد •

ط المطبعة المنيرية ١٣٤٨ هـ بمصر ، ومطبعة أنصار

السنة المحمدية •

١٣٩ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار •

مطبعة الشئون الاسلامية بمصر ١٣٩٠ هـ •

١٤٠ ـ شرح الصدور فى تحريم رفع القبور •

المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٧ هـ •

١٤١ ـ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة •

ط الهند سنة ١٢٠٣ هـ • ثم بمصر المطبعة

المحمدية سنة ١٣٨٠ هـ •

١٤٢ ـ قطر الولى على حديث الولى •

تحقيق الدكتور ابراهيم هلال • ط دار الكتب الحديثة

سنة ١٣٩٥ هـ •

١٤٣ ـ القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد •

المطبعة المنيرية سنة ١٣٤٨ هـ •

١٤٤ ـ نيل الأوطار (شرح منتقى الأخبار) •

ط الحلبى سنة ١٣٩٦ هـ •

١٤٥ ـ أمناء الشريعـــة •

تحقيق دكتور ابراهيم هلال •دار النهضة العربيـــة

مصر سنة ١٣٩٦ هـ •

* الشنقيطـــى : (الشيخ أمين الشنقيطى ت ١٣٩٧ هـ) :

١٤٦ ـ أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن •

ط صبحى المدنى •

١٤٧ ـ دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب •

١٤٨ ـ منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات •

توزيع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة •

(ص)

* صالح رمضان محمود :

١٤٩ ـ ذكريات الشوكانى (رسائل للمؤرخ اليمنى محمد بن على الشوكانى)

تحقيق ومراجعة ط دار العودة بيروت لبنان

* صالح بن مهدى المقبلى :

١٥٠ ـ العلم الشامخ فى تفضيل الحق على الآباء والمشائخ •

الطبعة الأولى القاهرة ١٣٣٨ هـ •

* الصاحب بن عبـــاد :

١٥١ ـ نصرة المذاهب الزيدية •

تحقيق ناجى حسن بغداد ١٩٧٥م •

(ط)

* الطبـــرى : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى " ت ٣١٠ هـ ") :

١٥٢ ـ تاريخ الطبـــــرى ٠

مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩هـ٠

١٥٣ ـ تفسير الطبرى (جامع البيان من تأويل القرآن) ٠

تحقيق محمود محمد شاكر دار المعارف ١٣٧٤هـ٠

(ع)

* عمر رضا كحالة :

١٥٤ ـ معجم المؤلفيـــن ٠

نشر المثنى دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م

* عمر سليمان الأشقـر :

١٥٥ ـ العقيدة فى اللـــه ٠

مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٤م٠

* عبد الجبـار : (قاضى القضاة أبو الحسن بن أحمد بن الخليل بن عبد الله الأسد أبادى) :

١٥٦ ـ المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ٠

جـ ١ ، ٢ تحقيق الاب قنواتى ـ طبعـة أولـــى ـ

مطبعة مصر ١٣٨٢ هـ

١٥٧ ـ شرح الأصول الخمسة ـ تعليق الدكتور عبد الكريم عثمان ٠

مكتبة وهبة القاهرة ١٩٦٥م ٠

١٥٨ ـ المحيط بالتكليف ـ تحقيق عمر السيد عزمى ٠

المؤسسة العامة للتأليف والنشر ٠

* علي سامي النشار (دكتور) :

١٥٩ ـ مناهج البحث لدى مفكري الاسلام ٠

ط دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧م ٠

١٦٠ ـ تاريخ التفكير الفلسفي في الاسلام ٠

دار الفكر العربي القاهرة ١٩٤٧م ٠

* ابن عبد البر : (الامام المحدث أبو عمر يوسف بن عبد اللـه بن محمد بن عبد البر الأندلسي) :

١٦١ ـ جامع بيان العلم وفضله ٠

تحقيق عبد الرحمن عثمان ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٩٦٨م ٠

* عبد الرحمن محمد عثمان ٠

١٦٢ ـ ضبط ومراجعة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٠

مطبعة الاعتماد القاهرة ٠

* عبد اللـه بن محمد بن عبد الوهاب (المعروف بابن الشيخ) :

١٦٣ ـ جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ٠

تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا ٠

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ٠

* عدنان زرزور :

١٦٤ ـ الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير

الطبعة الأولى دمشق ١٩٧٢م ٠

* عبد العزيز بن يحى بن مسلم الكنانى :

١٦٥ ـ الحيـــــــدة .

نشر عبد العزيز بن عبد الرحمن آل شيخ ـ مطبعـــة الامام ، القاهرة بدون تاريخ .

* دكتور / عبد العزيز الفالح :

١٦٦ ـ قراءة فى فكر الزيدية والمعتزلة .

ط دار العودة بيروت سنة ١٩٨٢م .

* عبد اللـــه محمد الحيشى :

١٦٧ ـ مصادر الفكر العربى الاسلامى فى اليمن .

مركز الدراسات اليمنية صنعاء .

* على محمد زيد :

١٦٨ ـ معتزلة اليمـــــن .

مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ط دار العودة بيـــروت .

(غ)

* الغزالى : (أبو حامد محمد بن محمد الغزالى) :

١٦٩ ـ فيصل التفرقـة بين الاسلام والزندقـة .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا ط البابى الحلبى ١٩٦١م .

١٧٠ ـ تهافت الفلاسفـــة .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف الطبعـــة الثانية ١٩٥٥م .

١٧١ ــ قانون التأويل : تقديم الشيخ محمد زاهد الكوثرى .

ط الأنوار الطبعة الأولى ١٩٤٠م .

١٧٢ ــ الاقتصاد فى الاعتقـــاد .

ط صبيح ١٣٨٢ هـ .

١٧٣ ــ الجام العوام من علم الكلام .

جـ مجموعة القصور العوالى بتحقيق أبو العلاء .

١٧٤ ــ الحكمة فى مخلوقات اللــه تعالى .

جـ ٣ مجموعة القصور العوالى ط بيروت .

١٧٥ ــ الاربعين فى أصول الدين .

(ف)

* **الدكتورة : فضيلة الشامى :**

١٧٦ ــ تاريخ الفرقــة الزيدية .

طبعة الآداب النجف سنة ١٩٧٤م .

(ق)

* **القاسمى : (جمال الدين القاسمى الدمشقى :**

١٧٧ ــ تاريخ الجهمية والمعتزلة .

مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٣٣١ هـ .

١٧٨ ــ محاسن التأويل : (تفسير القاسمى) .

مطبعة مصطفى الحلبى الطبعة الأولى ــ دون تاريخ

* **ابن القاسم : (يحى بن الحسين) :**

١٧٩ ــ غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى .

تحقيق الدكتور سعيد عاشور ــ القاهرة ــ دار الكتـــب

العربى ١٩٦٨ م .

* ابن قتيبة : (أبو محمد عبد اللـه بن محمد) :

١٨٠ ـ تأويل مختلف الحـديث •

تحقيق محمد زاهر النجار ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٦٦م•

* القرطبـي :

١٨١ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) •

دار احياء التراث العربي الطبعة الثانية •

(ك)

* ابن كثير : (الحافظ عماد الدين أبو الفدا ، اسماعيل بن عمر بن كثيـر القرشي الدمشقي المعروف بابن كثير) :

١٨٢ ـ تفسير القرآن العظيم

ط عيسى البابي الحلبي بمصر الطبعة الرابعة •

١٨٣ ـ البداية والنهاية •

ط المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥١ هـ •

(ل)

* الألوسي : (العلامة محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠ هـ) :

١٨٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني •

مكتبة دار التراث ـ القاهرة •

(م)

* أبو زهـرة : (الشيخ محمد أبو زهرة) :

١٨٥ ـ الامام زيـد •

الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٥٩م•

١٨٦ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية .
الجزء الأول ـ نشر دار الفكر العربى ـ بالقاهرة
ط دار الثقافة .

١٨٧ ـ ابن حنبل حياته وعصره .
مطبعة مخيمر ١٩٤٨م .

١٨٨ ـ ابن تيمية حياته وعصره ، وآراؤه وفقهه .
دار الفكر العربى مطبعة الثقافة العربية .

١٨٩ ـ تاريخ الجدل .
مطبعة العلوم ١٩٣٤م .

* محمد عبده :

١٩٠ ـ رسالة التوحيد .
طبعة المنار ـ بدون تاريخ .

* محمد بن محمد زبارة :

١٩١ ـ نيل الوطر .
المطبعة السلفية ١٣٤٨ هـ .

* محمد جمال الفندى :

١٩٢ ـ الله يتجلى فى عصر العلم (مترجم) .
طبعة دار احياء الكتب بالقاهرة ١٩٦٠م .

* محمد ادريس الندوى :

١٩٣ ـ التفسير القيم لابن القيم .
حققه محمد حامد الفقى ـ دار العلوم الحديثة
بيروت لبنان .

* **محمد على الصابونى :**

١٩٤ ـ مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) .

دار القرآن الكريم للعناية بطبعه ونشر علومه ـ الطبعة السابعة بيروت ـ لبنان .

* **محمد مرتضى الزبيدى :**

١٩٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس .

منشورات دار الحياة .

* **دكتور : محمد السيد الجلنيد :**

١٩٦ ـ دقائق التفسير لابن تيمية .

جمع وترتيب وتحقيق ـ ٤ أجزاء ـ دار الانصار بالقاهرة .

١٩٧ ـ ابن تيمية وقضية التأويل .

شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

* **محمد عمارة :**

١٩٨ ـ رسائل العدل والتوحيد (مجموعة كتب للمعتزلة والزيدية) فى جزئين .

تحقيق دار الهلال القاهرة ١٩٧١م .

* **محمد ناصر الدين الألبانى :**

١٩٩ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة .

المكتب الاسلامى .

٢٠٠ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة . تحقيق صحيح الجامع الاصغر وزيادته .

المكتب الاسلامى .

* المسعودى :

٢٠١ ـ مروج الذهب .

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط السعادة ١٩٦٤م .

* المقريزى :

٢٠٢ ـ الخطط . ط بولاق بدون تاريخ .

* الشيخ المفيد :

٢٠٣ ـ أوائل المقالات .

الطبعة الأولى تبريز طهران ١٣٦٣ هـ .

* الدكتور / محمد حسن الغمارى :

٢٠٤ ـ الامام الشوكانى مفسرا .

دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة جدة

الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

* دكتور / محمود أحمد خفاجى :

٢٠٥ ـ العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ـ فى جزئين .

طبعة الأمانة ـ القاهرة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

* الشيخ مصطفى عبد الرازق :

٢٠٦ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية .

نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٦م .

* الملطى : (أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطى) :

٢٠٧ ـ التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع . تعليق محمد زاهد الكوثرى .

مكتبة المثنى بغداد ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

* د . محمد خليل هراس :

٢٠٨ - ابن تيمية السلفي .

ط دار الكتب العلمية بيروت .

* ملة على القاري :

٢٠٩ - شرح الفقه الأكبر للامام أبي حنيفة .

ط دار الكتب العربية القاهرة ١٣٢٧ هـ .

* مصطفى حلمي :

٢١٠ - قواعد المنهج السلفي .

دار الأنصار القاهرة ١٩٧١م .

* ميكال بان ذي خويه :

٢١١ - القرامطة . ترجمة وتحقيق حسني زينة .

ط دار ابن خلدون بيروت ١٩٨٠م .

* ابن منظور :

٢١٢ - لسان العرب .

دار المعارف المصرية .

* محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي :

٢١٣ - مختار الصحاح .

طبع المطبعة الأميرية بولاق مصر ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٨م .

* محمد عبد الله دراز :

٢١٤ - المختار من كنوز السنة النبوية .

عبد الله بن ابراهيم الانصاري - طبع على نفقة أمير قطر .

* **محمد فؤاد عبد الباقي :**

٢١٥ ـ مفتاح كنوز السنة • وضع فنستك •

ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي •

٢١٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم •

(ن)

* **النواوي : (محي الدين يحي بن شرف) :**

٢١٧ ـ شرح صحيح مسلم •

المطبعة المصرية دون تاريخ •

* **النوبختي :**

٢١٨ ـ فرق الشيعة •

طبعة النجف • تحقيق رتبرا التانبول ١٩٣١م•

* **ناجي حسن :**

٢١٩ ـ ثورة زيد بن علي •

مكتبة النهضة بغداد ـ ساعدت جامعة بغداد على طبعه •

* **أبو نعيم : (أحمد بن عبد الله الأصفهاني) :**

٢٢٠ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء •

مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م

* **الامام النسائي :**

٢٢١ ـ سنن النسائي •

دار احياء التراث العربي بيروت •

* ابن النـــديم :

٢٢٢ ـ الفهرست ـ دار روائع التراث مكتبة الخياط بيروت دون تاريخ .

(و)

* ابن الوزير : (محمد بن ابراهيم بن على) :

٢٢٣ ـ ايثار الحـق على الخلـق فى رد الخلافات الى المذهب الحـق .

طبعة شركة طبع الكتب العربية بمصر .

٢٢٤ ـ البرهان القاطع فى اثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع .

المطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ .

٢٢٥ ـ ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان .

طبعة المعاهد سنة ١٣٤٩ هـ .

٢٢٦ ـ الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم .

طبعة ادارة الطباعة المنيرية بمصر بدون تاريخ .

* الدكتور : أ . ى ونستك :

٢٢٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى (بمشاركة محمد فوءاد عبد الباقى)

مكتبة بريل فى مدينة ليدن سنة ١٩٢٦م .

++++++++++++++++++++

++++++++++++

++++++

(الفهـــــــــــرس)

فهرس الموضوعـــــات

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمـــــة	أ ـ ل

الباب الأول

الامام الشوكانى : حياته وعصره

الفصل الأول

الحالة السياسية فى عصر الشوكانى

تمهيـــــد	٣
الحياة السياسية	٤
علاقة اليمن بالدولة العثمانية ، وأشراف مكة وتهامة وآل سعود	٧
علاقة اليمن بالدولة العثمانية	٨
علاقة اليمن بأشراف مكـــة	٩
علاقة اليمن بأشراف تهامة والمخلاف السليمانى	١٠
علاقة الزيدية بآل سعود	١٢

الفصل الثانى

الحالة الدينية فى عصر الشوكانـــى

تمهيـــــد	٢٠
١ ـ أهل السنة	٢٠
٢ ـ الشيعـــة	٢١
٣ ـ الزيدية بعد الامام زيد	٢٢
٤ ـ الزيدية فى اليمن	٢٤

الموضـــوع	رقم الصفحة
٥ ـ الرافضـة	٢٥
٦ ـ الباطنيـة	٢٨
٧ ـ المعتزلة باليمن	٣١
٨ ـ الأشاعـــرة	٣٥
٩ ـ الصوفيـــة	٣٧
١٠ ـ تعقيـــب	٤٢
حركة التأليف فى اليمن فى عصر الشوكانى	٤٤

الفصل الثالـث

الشوكانى : نشأته وحياتـه

١ ـ نسبه وموطنه	٤٨
٢ ـ مولده ونشأته	٤٨
٣ ـ حياته العلمية	٥٠
أولا : دعوته الى العقيدة السلفية	٥٢
ثانيا : دعوته الى تطهير العقائد من مظاهر الشرك	٥٥
ثالثا : دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد	٥٨
٤ ـ توليه للقضاء العام	٦١

الفصل الرابـع

أساتذة الشوكانى وتلاميذه ومؤلفاته

١ ـ أساتذته	٦٤
٢ ـ تلاميـذه	٦٦

الموضـــوع | رقم الصفحة

٣ ـ مؤلفاتـه ٦٩
أ ـ المخطوطة ٦٩
ب ـ المطبوعـة ٨٢

الباب الثـــانى

آراؤه الاعتقاديـــــة

الفصل الأول

موقف الشوكانى من التـــأويل

التأويل فى لغة العرب ٨٧
دلالة التأويل فى القرآن ٩١
المحكم والمتشابه ٩٧
تحقيق القول فى آية آل عمران ٩٩
نتائج هذا التحقيق ١٠١
فيما يدخله التأويل ١٠٣
موقف الزيدية من التأويل ١٠٦
المحكم والمتشابه عند الزيدية ١١٢
مناقشة الشوكانى للزيدية فى التأويل ١١٥
ـ فى العقل عند الزيدية ١١٥
ـ فى موقفهم حيال النصوص ١١٧
ـ فى موقفهم حيال المحكم والمتشابه ١١٩

الموضـــوع رقم الصفحة

الفصل الثانى

الاستدلال على وجود اللـه ومنهجه فيه

تمهيـــد ١٢٢
المنهج الذى اختاره الشوكانى فى الاستدلال ١٢٤
أدلته على وجود اللـه ١٢٥
أولا : دليل الفطرة ١٢٦
ثانيا : الاستدلال بالآيات ١٣١
ثالثا : الاستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة ١٣٦
منهج الزيدية فى الاستدلال على وجود اللـه ١٤١
— معرفة اللـه عند الزيدية ١٤١
— كيف يستدل الزيدية على وجود اللـه ١٤٣
مناقشة الشوكانى للزيدية فى منهجهم ١٤٦
نقد العلماء لهذا المنهج الكلامى ١٤٨

الفصل الثالـــث

منهج الشوكانى فى الوحدانية

تمهيـــد ١٥٠
توحيد الربوبية ١٥٢
توحيد الالهية ١٥٦
— الوحدانية فى العبادة ١٥٧
— غاية القرآن الكريم بتقرير توحيد الالهية والبرهنة عليه ١٥٩

الموضـــوع	رقم الصفحة
ـ تحقيق توحيد الالهية بقطع ذرائع الشرك	١٦٤
ـ توحيد الأسماء والصفات	١٧٠
ـ العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة	١٧٤
ـ منهج الزيدية فى التوحيد	١٧٦
ـ مناقشة الشوكانى لهم فيما ذهبوا اليه	١٨٠
ـ رد السلفية وابطالهم لهذا المذهب	١٨١

الفصل الرابع

الصفات الالهية العقلية ومنهجه فى اثباتهــــا

تعريف الصفات الالهية العقلية	١٨٥
قواعد منهج الشوكانى فى هذه الصفات	١٨٦
اثبات الصفات الالهية العقلية	١٩٤
ـ صفة العلم	١٩٤
ـ صفة القدرة	١٩٧
ـ صفة الارادة : (الكونية والدينية)	١٩٩
ـ صفة الحياة	٢٠١
ـ صفتى السمع والبصر	٢٠٢
ـ صفة الكلام	٢٠٥
الصفات الالهية العقلية عند الزيدية	٢٠٩
مناقشة الشوكانى لهم	٢١٥
رد السلفية على هوءلاء النفاة	٢٢٠

الفصل الخامس

الصفات الالهية الخبرية

وموقف الشوكانى فى اثباتها

الموضوع — رقم الصفحة

منهج الشوكانى فى اثبات هذه الصفات ٢٢٣
أولا : مايوهم لونه تعالى فى جهة ٢٣٠
١ ـ صفة العلو ٢٣٠
٢ ـ الاستواء والنزول ٢٣٣
٣ ـ صفة النزول والمجىء ٢٣٧
ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء لله عز وجل ٢٤٠
١ ـ صفة الوجه ٢٤٠
٢ ـ صفة العين ٢٤٤
٣ ـ صفة اليد والساق ٢٤٥
ثالثا : مايوهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات وأن له عواطف ٢٤٧
ـ محبة الله ، وكراهية الله وبغضه ٢٤٧
موقف الزيدية من الصفات الالهية الخبرية ٢٥٢
أولا : مايوهم الجهة والمكان ٢٥٢
ثانيا : مايوهم نسبة الأعضاء ٢٥٣
مناقشة الشوكانى للزيدية فيما ذهبوا اليه ٢٥٦
رد أئمة السلفية على هؤلاء النفاة المعطلة ٢٦٢

الفصل السادس

أفعال العباد

تمهيد ٢٦٥

الموضـــوع	رقم الصفحة
اللـــه فاعل مختار	٢٦٨
القدر ومبدأ السببية	٢٧١
الآجال والمحو والاثبات	٢٧٧
الفرق بين الكونيات والدينيات	٢٧٩
الارادة الانسانية	٢٨٢
أفعال اللـــه وأفعال العباد	٢٨٧
الهداية والاضلال	٢٨٩
مذهب السلف فى أفعال العباد	٢٩٣
أفعال العباد عند الزيدية	٣٠٠
مناقشة الشوكانى للزيدية	٣٠٨
١ ــ المقصد الأول فى المناقشة	٣٠٩
٢ ــ المقصد الثانى فى المناقشة	٣١١
٣ ــ المقصد الثالث فى المناقشة	٣١٤

الفصل السابع

روءية اللـــه تعـــالى

موقف الشوكانى من روءية اللـــه تعالى	٣٢٠
أولا : اثبات الروءية بقوله تعالى : " **وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة** "	
أقوال الشوكانى وجمهور العلماء فيها	٣٢١
ثانيا : الروءية بقوله تعالى : " **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** " وما ورد فيها من الروايات	٣٢٦

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثا : موقف الشوكانى من نفاة الرؤية فى احتجاجهم ببعض الآيات	٣٣٠
ـ احتجاجهم بقوله تعالى : " لاتدركه الأبصار " والرد عليهم	٣٣٠
ـ احتجاجهم بقوله تعالى : لموسى عليه السلام " لن ترانى " والرد عليهم	٣٣٣
موقف السلفية من الرؤية	٣٣٥
أولا : سياق مافسر من الآيات فى الرؤية	٣٣٨
ثانيا : سياق ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم	٣٤٢
ثالثا : ماروى عن الصحابة رضى الله عنهم فى الرؤية	٣٤٦
موقف الزيدية من الرؤية	٣٤٨
مناقشة الشوكانى والسلفية " للزيدية " والرد على شبه المنكرين	٣٥٤
أولا : الشبه السمعية والجواب عنها	٣٥٥
ثانيا : الشبه العقلية والرد عليها	٣٦٢
الخاتمة	٣٦٧
أهم المصادر والمراجع :	
المراجع المخطوطة	٣٧٦
المراجع المطبوعة	٣٧٩
فهرس الموضوعات	٤٠٩